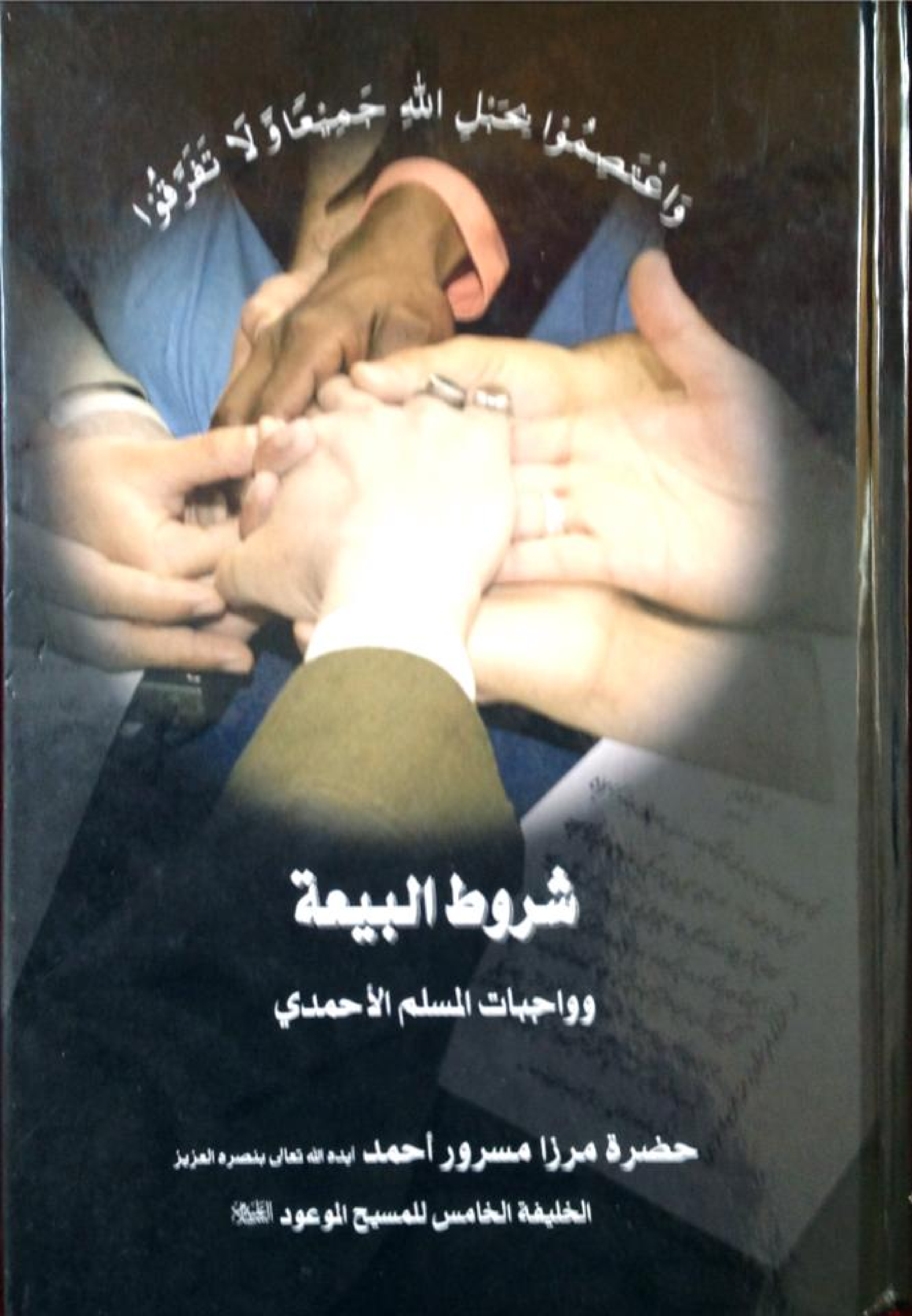


وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

شروط البيعة

وواجبات المسلم الأحمدي

حضرة مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود عليه السلام

شروط البيعة

وواجبات المسلم الأحمدي

في ضوء تعاليم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
وأقوال المسيح الموعود عليه السلام

حضرة ميرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

تعريب
محمد منير إدلبي

اسم الكتاب: شروط البيعة وواجبات المسلم الأحمدي
الطبعة الأولى باللغة الإنكليزية في المملكة المتحدة عام ٢٠٠٤
الطبعة العربية الأولى: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

Shurūṭul Bai'ah Wa Wājibāt Al-Muslim Al-Aḥmadī

conditions of Bai'at and Responsibilties of an Aḥmadi

(Arabic Translation)

By**:** Ḥaḍrat Mirza Masroor Aḥmad

Translated from English to Arabic by: Muhammad Munir Idilbi

First Published in UK in 2009
By: Al-Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in the UK by:
CPI William Clowes
Beccles
NR34 7TL

ISBN: 978-1-84880-410-4

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

هذا الكتاب يتضمن شرحًا لشروط البيعة العشرة للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية التي وضعها سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام. فقد تناولَ خليفتُه الخامس حضرة ميرزا مسرور أحمد – نصره الله– هذه الشروطَ بالشرح والتفصيل في العديد من خطب الجمعة والخطابات في الجلسات السنوية التي ألقاها في بداية عهده الميمون. ثم جُمعتْ في كتاب صدر باللغة الأردية، ثم تُرجم إلى لغات أخرى، منها الإنجليزية التي تُرجم عنها إلى العربية.

وقد قام حضرته –نصره الله– بشرح كل الشروط والتدليل عليها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وكلام الإمام المهدي عليه السلام، وقدّم نصائح مهمة وتوجيهات دقيقة فيما يتعلق بجزئيات كل شرط. ويتضمن الكتاب في آخره بعضا من قصص الأحمديين المخلصين ومواقفهم المميزة التي وفقهم الله لها، ليكونوا أسوة حسنة لإخوانهم. وهكذا أصبح هذا الكتاب مرجعا هاما لكل مسلم أحمدي قديم وجديد، حيث يستطيع من خلاله الاستفاضة من التوجيهات، ويرى مدى التزامه بشروط البيعة ويعمل على تصحيح مساره. فهذا الكتاب مرجع تربوي هام لا غنى عنه لأفراد الجماعة.

ولا يقتصر نفع هذا الكتاب على الأحمديين، بل يستطيع غير الأحمدي أن يسترشد به في شؤون حياته المختلفة، كما يمكن أن يدرك من خلاله مدى التزام أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية بالإسلام الصحيح النقي الذي جاء به سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ خاتم النبيين؛ عسى أن يقوده ذلك إلى الإيمان بحضرةِ الإمامِ المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.. إمامِ هذا الزمان والخادمِ الصادق والمحبِّ العاشق لسيدنا محمد المصطفى ﷺ.

وقد كان شرف تعريب هذا الكتاب من نصيب الأستاذ الفاضل محمد منير إدلبي، وقام بمراجعة الترجمة السادةُ الكرام: تميم أبو دقة وهاني طاهر وعبد المجيد عامر ومحمد طاهر نديم ومحمد أحمد نعيم، فجزاهم الله جميعًا أحسن الجزاء.

نسأل الله تعالى أن يجعل في هذا الكتاب بركة عظيمة، وأن يوفقنا جميعا لطاعة الله ورسوله ﷺ وخادمه عليه السلام وللخلافة الراشدة، وأن يوفقنا لكل ما يحب ويرضى فضلاً منه ورحمة. آمين.

الناشر

الشروط العشرة للبيعة

للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية

الشرط الأول

"أن يعاهد المبايع بصدق القلب على أن يتجنب الشركَ حتى الممات."

الشرط الثاني

"أن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يقرب الزنى وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميعَ طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًّا هامًّا."

الشرط الثالث

"أن يواظب على إقامة الصلوات الخمس بلا انقطاع تبعًا لأوامر الله ورسوله، وأن يداوم جهدَ المستطاع على أداء صلاة التهجد، والصلاةِ على النبي ﷺ، والاستغفارِ وطلبِ العفو من ربه على ذنوبه كل يوم؛ وأن يذكُرَ نعمَ الله ومِنَنَه بخلوص القلب كل يوم، ثم يتخذ مِن حمده وشكره عليها وِردًا له."

الشرط الرابع

"ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائر النَّفْس.. لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر."

الشرط الخامس

"أن يكون وفيًّا لله تعالى وراضيًا بقضائه في جميع الأحـــوال: حالـــةِ التَرَح والفَرَح، والعسرِ واليسر، والضنكِ والنعم؛ وأن يكون مـــستعدًّا لقبول كل ذلة وأذى في سبيله تعالى، وألا يُعرِضَ عنه ﷻ عند حلـــول مصيبة، بل يمشي إليه قُدُمًا."

الشرط السادس

"أن يكُفَّ عن اتِّباع التقاليد الفارغة والأهواء النفـــسانية والأمـــاني الكاذبة، ويخضع لسلطة القرآن المجيد على نفسه بكل معـــنى الكلمـــة، ويتخذَ قولَ الله وقولَ الرسول دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته."

الشرط السابع

"أن يُطلّق الكبرَ والزهو طلاقًا باتًّا، ويقضيَ أيامَ حياتـــه بالتواضـــع والانكسار ودَماثة الأخلاق والحلم والرِّفق."

الشرط الثامن

"أن يكونَ الدِّينُ وعزُّه ومواساةُ الإسلام أعزَّ عنده من نفسه وماله وأولاده ومن كل ما هو عزيز لديه."

الشرط التاسع

"أن يظلّ مشغولاً في مواساة خَلْق الله عامةً، خالصةً لوجه الله تعالى، وأن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلّ ما رزَقه الله من قوًى ونِعَم."

الشرط العاشر

"أن يعقِدَ مع هذا العبد عهدَ الأخوة خالصًا لوجه الله.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكُثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلِها العلاقاتُ الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابةٍ أو صداقةٍ أو خدمةٍ."

(انظر إعلان تكميل التبليغ ١٢ كانون الثاني، ١٨٨٩م)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّـــاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْـــتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (آمين).

كَتب إليّ بعضُ أفراد الجماعة: "لقد جدّدنا عهد بيعتنا على يـــدكم، وتعهَّدنا بالالتزام بشروط البيعة، ولكن ليس لدينا المعرفة التامّـــة بهـــذه الشروط العشرة، فرأيت أن أخطب حول هذا الموضوع بمناسبة الجلسة السنوية اليوم[1]. وبما أنّ الموضوع طويل فلن أستطيع تغطيةَ بيانِ جميـــع شروط البيعة الآن، ولكنني سأُغطّي القليل منها فقط، ولسوف أكمـــل هذا الموضوع في خطبةِ جمعةٍ تالية، أو في مناسبات أخرى إن شـــاء الله تعالى.

ما هي البيعة؟

السؤال الأول هو: ما هي البيعة؟

لبيان معنى البيعة سأقتبس بعض أحاديث الرسول ﷺ وبعضَ أقوال المسيح الموعود عليه السلام.

[1] – كان هذا في الجلسة السنوية عام ٢٠٠٣. (المترجم)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"المعنى الحقيقي للبيعة هو أن يبيع المرء نفسه؛ وإن جميع بركات البيعة وآثارها المفيدة مرتبطة بهذا الأمر تمامًا كبذرة تُبذر في الأرض بيد الفلاح، ولا يُعلم مصيرها. فإذا كانت البذرة جيدة وقادرة على النموّ فإنها تنمو بفضل الله تعالى، وبسعي المزارع حتى تُنتج الحبّةُ الواحدة أَلْفَ حبّة. وبالمثل فإنّ على المبايع أن يلتزم أولاً بالتواضع والتذلُّل، وأن يبعد نفسه عن أنانيته وأنفته، وعند ذلك يصير هذا الشخص قابلا للنموّ. ولكن مَن يُصرّ على أنانيته بعد بيعته فلن يحظى بأيّ فضل." (الملفوظات المجلد ٦ ص ١٧٣)

البيعة تعني أن يُسلم العبدُ نفسَه لله تعالى

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"البيعة تعني أن يُسلّم العبد نفسه لله عز وجل وكأننا بعنا أنفسنا لله تعالى. ومن الخطأ القول إنّ الخَطو على صراط الله تعالى سيُسبّب خسارة في النهاية لأيّ شخص؛ فالصادقون لا يخسرون مطلقًا، وإنما يعاني الخسارة الكاذبُ الذي ينقض من أجل الدنيا عهدَ البيعة الذي تعهد به. ومَن يرتكب مثل هذا العمل خوفَ الدنيا عليه أن يتذكّر أنه لن يستطيع أيُّ مَلِك أو سلطان في هذا العالم أن ينقذه من قبضة الموت عندما تحين لحظته، ولا بد أن يحضر أمام أحكم الحاكمين فسيسأله: "لماذا لم تؤمن بي ولم تُعظّمني؟" لذلك فإنّ الأمر الأساس بالنسبة إلى جميع المؤمنين

هو أن يؤمنوا بالله الذي هو مَلك السموات والأرض وأن يتوبوا توبة حقيقية." (الملفوظات المجلد ٧ ص ٢٩-٣٠)

إنَّ أقوال المسيح الموعود عليه السلام هذه توضّح تمامًا ما هي البيعة، فلو أدرك كل واحد منا أنّه لم يعُد الآن يملك نفسه وأنّ عليه الالتزام بجميع تعاليم الله عز وجل تحت جميع الظروف، وأن ينفّذها بكلّ صدق وإخلاص، وأن يجعل جميع أعماله وتصرّفاته خاضعة لرضا الله تعالى فهذه هي خلاصة شروط البيعة العشرة.

أقدم لكم الآن بعض الأحاديث التي تعالج موضوع البيعة بطرق مختلفة:

عن عائذ الله بن عبد الله: أنّ عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، وحوله عصابة من أصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه". (البخاري، باب علامة الإيمان حب الأنصار)

وجاء في حديث آخر عن عبادة بن الصامت قال: "بايعْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السّمع والطاعة في اليسر والعسر في المنشط والمكره، وأن لا

ننازع الأمر أهله وأن نقوم، أو: نقول بالحق حيثما كنّا لا نخاف في الله لومة لائم". (النسائي، باب البيعة على السمع والطاعة)

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة ١٣)

ثم قالت: "وما مسَّت يدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأة إلاَّ امرأة يملكها". (البخاري، كتاب الأحكام باب بيعة النساء)

وقبل أن يبدأ المسيح الموعود بأخذ البيعة فإنَّ الظروف التي تعرَّض لها الإسلام كانت قد شقَّت على بعض المسلمين الأتقياء، فشَعروا بأنّ الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه إنقاذ سفينة الإسلام من الغرق ويُكنُّ شفقة حقيقية على الإسلام هو حضرة ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، وأنه هو الإمام المهدي حقًّا. لذا فقد كان بعضُهم يرجونه ليأخذ البيعة منهم، لكنه كان يردّ عليهم قائلاً: "لستُ بمأمور".

ولقد كَتب عليه السلام مرّة للمولوي السيد عبد القادر عن طريق السيد مير عباس علي يقول:

"إنّ طبيعة هذا العبد تغلبها وحدانية الله تعالى وتفويض الأمر إليه....... وبما أنّ الله تعالى لم يوحِ إليّ شيئًا بشأن البيعة، فليس من

الحقّ أن أفعل ذلك بمبادرة من عندي، لعلّ الله يُحدث بعد ذلك أمرًا. عليك أن تستمرّ في الجهاد لتقوية الأخوّة في الإيمان وأن تُغذّي هذه الشجرة بماء الإخلاص والحب الطاهر؛ ولسوف تبرهن هذه الطريقة إن شاء الله بأنها مفيدة". (حياة أحمد، المجلد ٢ الجزء ٢ ص ١٢-١٣)

الأمر الإلهي بأخذ البيعة

بعد ستّ إلى سبع سنوات، وفي الربع الأول من عام ١٨٨٨م، أَمَرَ اللهُ ﷻ عبدَه المسيحَ الموعود عليه السلام بأخذ البيعة. جاء الأمر الإلهي بالكلمات التالية:

"إذا عزمتَ فتوكل على الله، واصنع الفُلكَ بأعيننا ووحينا - الذين يُبايعونك إنما يُبايعون الله، يد الله فوق أيديهم". (الإعلان، في ١ كانون الأول ١٨٨٨م)

لم يرغب المسيح الموعود في أن يدخل في بيعته كل فلان وعلان، بل كانت رغبته القلبية أن ينضم إلى هذه الجماعة المباركة أولئك المبارَكون الذين فُطِروا على الإخلاص والوفاء وليسوا ضعفاء في الإيمان، لذا فقد انتظر فرصة يميِّز اللهُ فيها المخلصين من المنافقين. وخَلَق اللهُ المجيد، بحكمته ورحمته التامّتين، تلك الفرصة في السنة ذاتها في شهر تشرين الثاني من عام ١٨٨٨م وذلك عند وفاة "بشير" الأول (ابن المسيح الموعود عليه السلام). حيث حدثَت، نتيجة لذلك، فتنة كبيرة وضجة عارمة ضدّ المسيح الموعود عليه السلام في طول البلاد وعرضها. فقد انفصل عنه

العديدُ من ذوي الإيمان الضعيف. فرأى المسيحُ الموعود عليه السلام في تلك المناسبة فرصة ملائمة ليبدأ بتأسيس الجماعة الإسلامية الأحمدية.

في ١ كانون الأول من عام ١٨٨٨م نشر حضرته إعلانًا عامًّا لأخذ البيعة، وبيَّن فيه أنه على الذين يأتون للبيعة أن يقوموا بأداء صلاة الاستخارة أولاً بحسب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. (انظر إعلان تكميل التبليغ ١٢ كانون الثاني، ١٨٨٩م)

وهذا يعني أنه كان عليهم أن يدعوا الله أوّلاً، ثم يقوموا بالاستخارة، ثم يأتوا للبيعة.

بعد نشر هذا الإعلان، انتقل المسيح الموعود عليه السلام من قاديان إلى "لودهيانة" وأقام في بيت الصوفي أحمد جان في المحلة الجديدة.

(حياة أحمد، المجلد ٣ الجزء الأوّل ص ١٥)

أهداف البيعة ومقاصدها

نَشر المسيحُ الموعود عليه السلام من "لدهيانة" إعلانًا آخر في ٤ آذار من عام ١٨٨٩ شارحًا فيه أهداف البيعة ومقاصدها والغاية منها، فقال عليه السلام:

"قد تأسس نظام البيعة هذا من أجل جمع الصالحين الأتقياء في جماعة فعالة واحدة، وذلك لكي تُحدث أثرًا مقدسًا في العالم. ولتكون وحدة هؤلاء الأتقياء في جماعة واحدة مصدر بركات وعَظمة ونتائج إيجابية للإسلام. وحتى يُسخَّروا لخدمات نبيلة وصالحة للإسلام ببركة اتفاقهم

على كلمة واحدة. وألاّ يكونوا مسلمين كسولين، بخلاء، وعديمي الفائدة؛ وألاّ يكونوا كالجهلة الذين بسبب اختلافهم وتفرّقهم وتصرفاتهم النابعة عن الفسق تسببوا في أذى عظيم للإسلام وفي تشويه وجهه الجميل وملامحه البديعة؛ ولا كالدراويش والنسّاك غير المبالين الغافلين عن حاجات الإسلام، والذين لا يملكون أيّ تعاطف مع إخوتهم، ولا حماسًا لخير بني البشر.

بل ينبغي أن يكونوا مواسين ومتعاطفين مع أفراد الأمة بحيث يصيرون مأوى للفقراء وآباء للأيتام. وأن يكونوا مستعدين في خدمة الإسلام لتضحية أنفسهم كالعاشق الولهان، وأن يسعوا جاهدين على أن تنتشر فيوضهم في العالم كلّه كي تنساب عينٌ فيّاضةٌ نقيةٌ طاهرةٌ من حبّ الله والعطف على البشرية من كلّ قلب، وتجتمع في مكان واحد ثم تفيض كالنهر الهادر... إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ أراد من إنشاء هذه الجماعة وازدهارها أن يُظهر قدرتَه الشاملة، لينتشر في العالم حب الله، والتوبة النصوح، والطهارة، والبر الحقيقي، والسلام، والصلاح، ومواساة الجنس البشري بأكمله. فستكون هذه الجماعة متميّزة من الله تعالى، ولسوف يمنح أبناءها القوّةَ من روحه هو، ويطهرهم من الحياة المدنّسة، ويُحدث في حياتهم تغييرًا نقيًا وطاهرًا.

وكما وعد في بشاراته المقدسة، فإنه سوف ينمّي هذه الجماعة بشكل عظيم هائل ويُدخل فيها آلافا من الصادقين. سيسقيها هو ذاته عَزَّ وَجَلَّ وينميها حتى تصير أعدادها وفيوضها مصدر تعجب لكلّ من يرى.

فإنهم كالسّراج الموضوع في شاهق ينشرون أنوارهم إلى جميع أطراف الأرض وجوانبها، ولسوف يُعَدُّون مِثالاً على بركات الإسلام العظيمة. وسينصرهم على الجميع في كلّ أنواع البركات وسيكون، حتى يوم القيامة، منهم أناس يوهَبون القبول الإلهي ونصره. هذا ما أراده الله الجليل أن يكون؛ إنه قدير يفعل ما يشاء. بيده القوة والقدرة كلّها." (مجموعة الإعلانات، المجلد ١ ص ١٩٦-١٩٨)

في الإعلان ذاته، قال المسيح الموعود عليه السلام لمن أراد البيعة أن يصل إلى (لودهيانة) بعد ٢٠ آذار ١٨٨٩.

بداية نظام البيعة

بالتوافق مع الإعلان أعلاه، أَخذ المسيحُ الموعود عليه السلام عهدَ البيعة في ٢٣ آذار عام ١٨٨٩م في بيت السيد الصوفي أحمد جان في المحلّة الجديدة. وكما روى السيد مُنشي عبد الله السنوري فقد تمّ إعداد سجلّ لتسجيل هذا الحدث التاريخي. وقد سُمّيت تلك البيعة "بيعة التوبة لتحصيل التقوى والطهارة".

كان المسيح الموعود عليه السلام، في تلك الأيام يأخذ البيعة بشكل فردي، فكان يدعوهم للبيعة واحدًا واحدًا في غرفة، وكان أوّل رجل أخذ عليه السلام منه بيعته هو حضرة مولانا نور الدِّين رضي الله عنه.

وفي تلك المناسبة وعَظ المسيحُ الموعود عليه السلام أولئك الذين قدّموا البيعة، قائلاً لهم: "بانضمامكم إلى هذه الجماعة، يجب أن تُحدثوا تحوّلاً

كاملاً في حياتكم ليكون إيمانكم بالله تعالى إيمانًا حقيقيًا، وليكون هو عونكم في جميع المصائب. يجب ألاّ تستهينوا بأوامره، بل عليكم أن تُنفّذوا كلّ أمرٍ من أوامره بالإجلال الواجب وأن تُبرهنوا على هذا الإجلال في أعمالكم.

اعلموا أنه من الشرك والإنكار لذات الله الانصرافُ الكامل إلى الأسباب الدنيوية والاعتماد الكلي عليها وعدم التوكل على الله. ينبغي الأخذ بالأسباب بقدرٍ لا يؤدي إلى الإشراك بالله تعالى. إنّني لا أمنعكم من استخدام الأسباب الدنيوية، ولكنني أمنعكم من الاتكال عليها. يجب أن تكون أيديكم منشغلة بالعمل، ولكنّ قلوبكم يجب أن تكون مرتبطة بالحبيب الحق."

ويقول عليه السلام أيضًا: "ألا إن البيعة التي قمتم بها، والعهد الذي قطعتم على أنفسكم الالتزام به، من السَّهل التلفظ به باللسان، ولكن الوفاء بهذا العهد صعب جدا، لأنّ الشيطان يسعى جاهدا ليجعل الإنسان غافلا عن دينه. فإنّ الشيطان يريه الدنيا وفوائدها في متناول يده، في حين يُريه الالتزام بالدِّين صعبا جدًّا وشاقًّا. وبهذه الطريقة يقسو القلب وتصير كلّ حالة تالية أسوأ من سابقتها. فإذا أردتم أن تُرضوا الله تعالى فاسعوْا بكل ما فيكم من عزيمة للوفاء بهذا العهد بالتجنب من الذنوب.

ويقول عليه السلام أيضًا: "لا تتفوّهوا بكلامٍ مثير للفتنة، ولا تنشروا الشر. اصبروا على الشتائم والسباب، لا تتعرضوا لأحد. وإن تعرض لكم أحد فتعاملوا معه بلطف وطيبة. قدموا نموذجا حسنا لطيب اللسان. التزموا

بجميع التعاليم بقلب صادق كي يرضى الله عنكم وليدرك الأعداء أيضًا أن هذا الشخص لم يعد على سابق عهده بعد البيعة. التزموا في المحاكم بشهادة صادقة؛ فكل من ينضم إلى هذه الجماعة عليه أن يلتزم الصدق بكل قلبه، وبعزيمة لا تلين". (ذكر الحبيب ص ٤٣٦-٤٣٨)

في يوم عيد في آذار ١٩٠٣، كان بعض الصحابة ﷺ حاضرين، فقال لهم المسيح الموعود عليه السلام: "استمعوا جميعًا يا مَن بايعتم اليوم، ويا أولئك الذين قد بايعوا من قبل،(لعل بعضهم قد حضر للمبايعة) إنني أحبّ أن أنصحكم بكلمات وجيزة، فاستمعوا إليها بانتباه. إن بيعتكم اليوم هي بيعة توبة. والتوبة نوعان: الأولى توبة من الأخطاء السابقة.. أي أن يصلح المرء نفسَه من الأخطاء التي ارتكبها سابقا، وأن يسعى لتقويم ما اعوجّ. والثانية أن يتجنب ارتكاب الأخطاء في المستقبل لينقذ نفسه من النار.

لقد وَعد الله تعالى بأنه يَغفر بالتوبة جميعَ الخطايا السابقة، بشرط أن تكون التوبة عن قلبٍ صادق، ونيّة صافية، ولا تحتوي على أية خديعة كامنة في زاوية من زوايا القلب. إنَّ الله يعلم سرائر القلوب وخفاياها؛ ولا يقدر على خداعه أحد. فلا تحاولوا خداعه. وتوبوا إلى حضرته بصدق كامل لا بالنّفاق. واعلموا أنّ التوبة ليست شيئًا إضافيًا أو غير ذي جدوى للإنسان، أو أن أثرها سيظهر يوم القيامة فقط، بل هي تُقوّم أمور الدِّين والدنيا معًا، وبها يتحقق للتائب راحة وسرور في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة." (الملفوظات المجلد ٥ ص١٨٧-١٨٨)

الشرط الأول

"أن يعاهد المبايع بصدق القلب على أن يتجنب الشركَ حتى الممات."

لا يغفر الله أن يُشرَك به

يقول الله تعالى في سورة النساء الآية ٤٩:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُون ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾

متحدثًا عن هذا البيان يقول المسيح الموعود عليه السلام:

".. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾، وهذا يعني أنّ الله يغفر كلَّ خطيئة إلاّ الشِّرْك. ولذلك عليكم أن تجتنبوا الشرك وألاّ تقربوه وأن تعدّوه شجرة محرمة". (ضميمة تحفة غولروية، الخزائن الروحانية ج ١٧ ص ٣٢٣- ٣٢٤ الهامش)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لا يعني الشرك هنا مجرد عبادة الأوثان ونحوها.. بل إن الاتكال الكلي على الأسباب المادية والاهتمام بأوثان الدنيا هذه هو الشرك بعينه". (جريدة "الحَكَم"، المجلد ٧ العدد ٢٤-٣٠ حزيران ١٩٠٣ ص ١١)

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٤)

ولقد خاف رسولُ الله ﷺ على أمته الشركَ، حيث نقرأ في الحديث:

عن عبادة بن نسي عن شداد بن أوس أنه بكى، فقيل له ما يبكيك؟ قال: شيئا سمعته من رسول الله ﷺ يقوله فذكرته فأبكاني: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول أَتخوَّف على أمتي الشرك والشهوة الخفية. قال قلتُ يا رسول الله أتُشركُ أمتُك مِن بعدك؟ قال نعم، أما أنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا حجرًا ولا وثنًا، ولكن يُراؤون بأعمالهم. والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه. (مسند أحمد)

الشرك أنواع

يتضح من هذا الحديث أنَّ المرء وإنْ لم ينغمس في الشرك الظاهر بعبادة الأوثان أو الشمس والقمر فإنّ لجوءه إلى الرياء واتّباع الشهوات هو شكلٌ من أشكال الشرك. فمثلا إذا ما تجاوز موظّفٌ حدودَ الطاعة الواجبة لصاحب العمل، فامتدحه بطريق التملق والمداهنة معتقدًا أنه مصدر رزقه الذي يعتمد عليه، فإنّ فعله ذاك نوع من الشرك أيضًا. وإذا ما تباهى شخصٌ بأبنائه معتقدًا بأنّ لديه الكثير من الأبناء الذين سوف يكبرون ويحصلون على وظائف يكسبون منها، فيعتنون به وبالتالي يقضي بقية حياته بيسر وراحة؛ أو ظنّ أنّ أحدًا من أقاربه أو أصحابه لن يقدر على منافسته بسبب أبنائه إذا كبروا (هذه العادة سائدة في القارة

الهندية بل في جميع دول العالم الثالث) فإنّ ذلك أيضًا يُعدّ من الشرك، فيعتمد بشكل كامل على أبنائه، ولكنهم قد يتحولون إلى عصاة، أو يموتون في حوادث، أو يصيرون معاقين، وبذلك يتلاشى الدعم الذي كان يتوقّعه من أبنائه وتتقطع أسبابه كلها.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"التوحيد ليس مجرّد أن تقول بلسانك "لا إله إلاّ الله" وأنت تُخفي في قلبك مئات الأوثان، بل إن كلّ من يعظِّم تدابيره أو خططه أو دهاءه بقدر ما يجب أن يعظّم الله بالعبادة؛ أو يعتمد على شخص آخر بقدر ما ينبغي أن يتوكل على الله وحده؛ أو يعظِّم نفسه بقدر ما يجب أن يعبد الله وحده، فهو عابد للأوثان عند الله تعالى؛ لأن الأوثان ليست فقط تلك التي تُصنع من ذهب أو فضة أو نحاس أو حجارة وتُعبد بصورة ظاهرية، بل إنّ كلّ شيء، وكلّ قول، وكلّ عمل يُعطَى أهميةً لا تليق إلاّ بالله عزّ وجلّ وحده، لهو وثن عند الله تعالى.... تَذَكّروا أنّ وحدانية الله التي يريد الله منّا الإيمان بها، والتي يعتمد عليها الخلاص والنجاة إنّما هي الإيمان بأنّ الله منـــزه في ذاته عن كلّ شريك، سواء كان وثنًا أو بشرًا أو شمسًا أو قمرًا، أو نفس الإنسان وذاته، أو مَكْرَه أو خداعه؛ وكذلك ينبغي للإنسان ألاّ يَعُدّ أحدًا قادرًا مثل الله، وألاّ يعُدّ أحدًا رازقًا غير الله، وألاّ يعتبر أحدًا قادرا على أن يعزّه أو أن يذلّه، وألاّ يعدّ أحدًا ناصرًا أو معينا؛ كما أن عليه أن يخلص لله وحده حبَّه وعبادته وخضوعه وآماله وخوفه.

ولا يمكن لوحدانية الله أن تكون كاملة من غير الخصوصيات الثلاث التالية:

أولاً، توحيد ذات الباري- أعني أن نَعتبر الأشياء الموجودة كلّها كالمعدوم بالمقارنة مع الله تعالى، وأن نعتبرها ميتة وباطلة.

ثانيًا، توحيد صفات الباري- أعني عدم الإقرار بالربوبية والألوهية إلا لذات الله، وأنّ الآخرين -الذين يظهرون رازقين ومحسنين- كلّهم ليسوا إلا جزءًا من النظام الإلهي الذي وضعه اللهُ وصنعه بيده تعالى.

ثالثًا، توحيد الحب والإخلاص والصفاء - أعني ألاّ نجعل أحدًا شريكًا لله في حبّنا وعبادتنا له والتفاني فيه عزّ وجلّ". (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية ج١٢ ص ٣٤٩-٣٥٠)

لقد شرحتُ هذا مسبقًا باختصار. وفي هذا الصدد يقول حضرة الخليفة الأوّل للمسيح الموعود عليه السلام ما يلي: "الشرك بالله أن تُشرك غيره في صفةٍ أو عمل أو عبادة. وأما العبادة فهي القيام بجميع الأعمال الصالحة لمرضاة الله فحسب.

إن الناس يؤمنون أنه ليس هناك خالق سوى الله عز وجل، كما يعتقدون بأنّ الموت والحياة إنما هما في يد الله الذي يملك القدرة عليهما والتصرف فيهما. ومع ذلك فهم يسجدون أمام غير الله سبحانه وتعالى ويكذبون ويطوفون حول غيره، وبدلا من أن يعبدوا الله فإنهم يعبدون غيره، وبدلاً من أن يصوموا لله فإنّهم يصومون لغيره، وبدلاً من أن يصلّوا لله فإنهم يصلّون

لغيره ويتصدقون في سبيلهم. ولذلك فقد أَرسل اللهُ رسولَه الكريم محمدًا ﷺ من أجل اجتثاث هذه الممارسات الزائفة". (خطبات نور ص ٧-٨)

الشرط الثاني

"أن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يقرب الزنى وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميعَ طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًّا هامًّا".

ذُكرت في هذا الشرط تسع خطايا، وعلى كلّ من يعدّ نفسه من جماعة المسيح الموعود عليه السلام أن يجتنب هذه الخطايا جميعًا.

الكذب أعظم الذنوب

حقًا إنَّ الكذب لأعظم الشرور. طلبَ رجل مرَّةً من النبي ﷺ نصيحةً تُعينه على التخلُّص من عيوبه الكثيرة التي ليس لديه قدرة على التخلّي عنها جميعًا مرّة واحدة. فقال له الرسول ﷺ عِدْني أن تصدُق دائمًا وألا تكذب مطلقًا. فبالتزامه الصدق استطاع التحرر من جميع خطاياه واحدة بعد أخرى. كلّما فكر في ارتكاب خطيئة، تَذَكّر أنه إذا ما قُبض عليه فسيَمثُل أمام رسول الله ﷺ وقد وعده بألاّ يكذب، وأنه لو اعترف بأنه ارتكب كذا وكذا فلربما يندم أو ينال العقاب. وتدريجيًا، استطاع هذا الرجل التحرُّرَ من جميع خطاياه بالتزامه قولَ الصدق فقط.

حقًا إنَّ الكذب لهو أصل السيئات كلها.

سأزيد الآن هذا البحث بيانًا. يقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج:٣١)

نجد هنا أنّ قول الزّور قد ذُكر مقرونًا بالشِّرْك.

ثم يقول الله تعالى: ﴿ألا لله الدِّين الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٤)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال رسول الله ﷺ: أربعٌ مَنْ كُنّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلّة منهن، كانت فيه خلّة من نفاق، حتى يدعها: إذا حَدَّث كَذب، وإذا عاهد غَدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر. (مسلم، كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق)

جميع هذه المساوئ تنبع عن الكذب.

وهناك حديث آخر: عن مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ:

عَلَيْكُمْ بالصّدْق، فَإِنّ الصّدْقَ يَهْدِي إِلَىَ الْبرّ، وَإِنّ الْبرّ يَهْدِي إِلَىَ الْجَنّة. وَإِيّاكُمْ وَالْكَذبَ، فَإِنّ الْكَذبَ يَهْدِي إِلَىَ الْفُجُور، وَإِنّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىَ النّارِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ صَدَقَ وَبَرَّ وَكَذَبَ وَفَجَرَ. (موطأ

الإمام مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء في الصدق والكذب)

وهناك حديث في مسند أحمد بن حنبل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة. (مسند أحمد)

هذه النقطة مهمة جدًا من أجل تربية الأطفال تربية حسنة. تذكّروا أنّ عليكم من أجل تدريب الأطفال تدريبًا خلقيًا ساميا ألاّ تتفوّهوا بالكذب ولو مزاحًا، وإلاّ فإنّ الأطفال سيتعلمون الكذب ويمارسونه في المحادثات اليومية، فيصير الكذب عادة راسخة في حياتهم، ومن ثَمَّ يفقدون تدريجيًا كلّ حساسياتهم وخجلهم أو إحراجهم ضدّ الكذب.

عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: إنّ الصّدق يهدي إلى البِرّ، وإنّ البِرّ يهدي إلى الجَنّة، وإنّ الرجل ليصدُق حتى يُكتب عند الله صِدّيقا؛ وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابًا. (البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما عملُ الجنة؟ قال: الصّدق؛ وإذا صدق العبد بَرّ، وإذا بَرّ آمن، وإذا آمن دخل الجنة. قال: يا رسول الله، ما عملُ النار؟ قال الكذب، إذا كذب فَجَر وإذا فَجَر كَفر وإذا كَفر دخل، يعني النار. (مسند أحمد)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد عَدّ القرآنُ الكريم قولَ الزور نجاسةً

ورجسًا فقال: ﴿فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾(الحج ٣١). لقد ذكر الله هنا الزور مقابل الأوثان، والزور وثنٌ حقًّا، وإلاّ لما تَرك أحدٌ الصّدق ومال إلى الكذب. وكما أنّ الوثن لا حقيقة له، كذلك لا يُجلّي قولُ الزور إلا بريقا زائفا. إنّ الذين يكذبون يفقدون مصداقيتهم إلى حد يظن المرء أنّ هناك شيئًا من الكذب والزور في قولهم حتى لو صدقوا. وإذا ما أراد المعتادون على الكذب التخلّي عن عادتهم تلك، فإنهم لن يجدوا ذلك سهلاً؛ إنما يتطلب ذلك منهم المجاهدة لزمن طويل حتى يعتادوا قول الصدق". (الملفوظات المجلد ٣ ص ٣٥٠)

ويقول المسيح الموعود أيضًا: "ومن هذه الحالات الطبعية الفطرية في الإنسان الصّدقُ. إنّ الإنسان لا يتوخّى الكذب مطلقًا ما لم يكن له داعٍ من دواعي الأهواء النفسانية، بل يجد في نفسه نوعًا من النّفور والاشمئزاز تجاه الكذب، ولذلك نجده يسخط على من ظهَر كذبُه ويزدريه.

غير أنّ هذه الحالة الطبعية في الإنسان لا تكون وحدها من الخُلُق في شيء إذ قد يتّصف بها الأطفال والمجانين أيضًا. فالحق أنّ الإنسان لا يكون صادقًا بالمعنى الحقيقي ما لم يبتعد كليةً عن الدّوافع النفسانية التي تصدّه عن قول الحق. إذ كيف يمكن أن يتفوّق الإنسان على الصّغار والمجانين لو تمسّك بالصدق فيما لا يضرّه كثيرًا، ولجأ إلى الكذب أو سكت عن قول الحق إذا كان في قوله الصدقَ خوف على عرضه أو ماله أو نفسه؟ أفلا نجد المجانين والصّغار دون سنّ البلوغ يصدقون مثل صدقه؟ لا يوجد في العالم من يكذب بدون داع. لذلك فالصّدق الذي

يتخلى عنه الإنسان خشية الضّرر لا يدخل في عداد الأخلاق الحقيقية. بل إنّ أفضل مناسبة لقول الحق هي تلك التي يهدّد فيها قولُ الحق نفسه أو ماله أو عرضه.

وتعاليم الله بهذا الصّدد هي كما يلي:

﴿فاجتنبوا الرّجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ (الحج:٣١).. أي تجنبوا عبادة الأصنام والقولَ الكذب.. بمعنى أنّ الكذب أيضا صنم يعتمد عليه الكاذب ولا يتوكّل على الله. فالكاذب يفقد بكذبه ربّه.

وقوله تعالى: ﴿ولا يأب الشّهداء إذا ما دُعُوا﴾(البقرة: ٢٨٣).. أي إذا دُعيتم لإدلاء الشّهادة بصدق فلا تمتنعوا عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾(البقرة: ٢٨٤)

وقوله تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾(الأنعام: ١٥٣).. أي إذا تحدّثتم فلا تتحدّثوا إلا بما هو حق وعدل تماما وإن كان قول الحقّ هذا ضدّ قريب لكم.

وقوله تعالى:﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ (النساء:١٣٦).. أي عليكم أن تثبتوا على الحقّ والإنصاف، وأن تكون كل شهادة منكم لله فقط. لا تكذبوا وإن أضرَّ قولُ الصّدق بأنفسكم أو بآبائكم أو بأقاربكم كالابن وغيره.

وقوله تعالى: ﴿ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾(المائدة: ٩).. أي يجب ألا تحُول عداوةُ قوم دون إدلائكم بالشّهادة بصدق.

وقوله تعالى: ﴿والصادقين والصادقات﴾(الأحزاب: ٣٦).. أي أنّ أهل الصّدق ذكورا وإناثا سوف ينالون أجورا كبيرة.

وقوله تعالى: ﴿وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر﴾(العصر: ٤)، وقوله تعالى: ﴿لا يشهدون الزور﴾(الفرقان:٧٣).. أي دأبهم أنهم ينصحون الآخرين أيضا لأن يقولوا الحقّ، ولا يجلسون في مجالس الكاذبين. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ١٠ ص ٣٦٠-٣٦١)

لا تقربوا الزّنا

يتضمن الشرط الثاني التزامًا باجتناب الزّنا، وبعدم الاقتراب منه. يقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سبيلاً﴾ (الإسراء ٣٣)

في حديث عن محمد بن سيرين أنّ الرسول ﷺ قد حثّ على ما يلي... ثم يروي حديثًا طويلاً يتضمن النصح بأنّ العفة والصدق هما الأفضل والأدوَم والأبقى إلى الأبد بالمقارنة مع الزنا والكذب. (انظر الدارمي، كتاب الوصايا، باب ما يُستحب بالوصية من التشهد والكلام)

نجد هنا أنّ الزنا والكذب قد ذُكرا معًا. وهذا أيضًا يوضّح كيف اعتُبر الكذب خطيّة كبيرة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"ابتعدوا عن كل ما يدفعكم حتى إلى التّفكير في هذه الفاحشة، ولا تسلكوا طرقًا فيها خطرُ الوقوع في هذه المعصية، فإنّ الذين يرتكبون

الزنى يبلّغون السيئةَ ذروتَها. إنّ سبيل الزنى سيء للغاية.. إذ يحول دون غايتكم ويُشَكِّل خطرًا شديدًا على هدفكم الأخير. وإن الذين لا يُتاح لهم الزواجُ.. عليهم أن يحافظوا على عفّتهم بطرقٍ أخرى؛ كأن يصوموا أو يقلّلوا من الطّعام أو يستهلكوا قواهم في أعمالٍ بدنيةٍ شاقة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ١٠ ص ٣٤٢)

لقد نَصَحَنا المسيحُ الموعود بوقاية أنفسنا بالابتعاد عن السّبل التي تسوقنا إلى الزنا، لكنَّ الشباب يتجاهلون هذه النصيحة أحيانًا، فهم يعتادون على مشاهدة أفلامٍ يجب ألاّ تُشاهَد لكونها منحطة الأخلاق، فاجتنبوها لأنها أيضًا نوع من الزّنى.

اجتنِبوا خيانة الأعين

ويُشير الشرط الثاني من البيعة إلى نوع ثالث من الشر والإثم، وهو خيانة الأعين، ولتجنّبها يجب على المرء أن يغضّ البصر.

عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى غَزْوَةٍ فَسَمِعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِى سَبِيلِ اللهِ، وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ».

قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ ذَاكَ: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، أَوْ عَيْنٍ فُقِئَتْ فِى سَبِيلِ اللهِ ﷻ». (الدارمي، كتاب الجهاد باب في الذي يسهر في سبيل الله حارسا)

وهناك أيضًا حديث آخر:

"عن عبادة بن الصامت أنّه قال قال رسول الله ﷺ: اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أَضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حَدّثتم، وأوفوا إذا وَعدتم، وأدّوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فُروجَكم، وغُضّوا أبصاركم، وكُفّوا أيديكم. (مسند أحمد)

"عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَات. قَالُوا يَا رَسُولَ الله: مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ. قَالُوا يَا رَسُولَ الله: فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ. (مسند أحمد)

كتب المسيح الموعود عليه السلام يقول:

"قد تبنّى القرآن الكريم الذي يقدّم التوجيهات المناسبة في ما يتعلّق بالرغبات الطبيعية ومناحي ضعف الإنسان، سبيلاً رائعًا في هذا الشأن، حيث يقول:﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ (النور ٣١)

إنّ كلمة "الفُروج"، هنا، لا تُشير فقط إلى الأعضاء التناسلية لدى الإنسان، بل تتضمن أيضًا جميع مَداخل جسده بما فيها الآذان؛ إذ قد مُنع هنا من الاستماع إلى أغاني النساء الأجنبيات. تذكّروا، لقد ثبت من خلال مئات التجارب والخبرات بأنّ الله حين يحرِّم شيئًا فلا يسع الإنسان إلا أن يتخلى عنه عاجلاً أم آجلاً". (الملفوظات المجلد ٧ ص ١٣٥)

يقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"لقد أَمر الإسلامُ الرجالَ والنساء على السّواء بالالتزام بهذه الشروط. وكما أنّ النساء مأمورات بارتداء الحجاب، كذلك الرجال مأمورون بالغضِّ من أبصارهم. فالصلاة والصوم والزكاة والحج وتمييز الحلال من الحرام واجتناب العادات غير الإسلامية بُغية تطبيق أوامر الله.. جميعها أمور تجعل باب "الإسلام" ضيّقًا جدًا. لذا لا يستطيع كلّ إنسان أن يدخل من هذا الباب". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٥ ص ٦١٤)

يجب أن يكون واضحًا للرجال أيضا بأنّ عليهم أن يغضّوا من أبصارهم. فالحياء ليس مفروضا على النساء فقط، بل هو مفروض على الرجال أيضًا.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إنّ الله تعالى لم يشَرِّع في الآيات المذكورة تعليمًا ساميًا يُكسب الإنسان خُلُق الإحصان أي العفاف فحسب، بل وصف أيضًا خمسة علاجات لذلك، هي: غضّ البصر.. أي صرْفُه عمّا لا يحل له رؤيته؛ وحفظُ السّمع عن صوت المحارم، وعدمُ الإنصات إلى أوصاف جمالهنّ؛ ومنعُ النفس عن كل ما يؤدي إلى هذا الإثم؛ والصومُ وما شابهه في حالة العزوبة.

وهنا نقول بكل تحدٍّ أنّ الإسلام وحده يمتاز بهذا التعليم الأسمى الشامل لكافة التدابير اللازمة، والمذكور في القرآن المجيد.

ثَمّة حكمةٌ جديرة بالذّكر، وهي أنّ الحالة الطبعية التي هي منبع الشّهوات، والتي لا يتحرّر منها الإنسان إلا بعد تحوّل كامل.. إنما تتمثّل في أنّ نزعاته الشّهوانية لا تلبث أن تضطرم عندما تُصادف مواقعَ الإثارة، أو بألفاظ أخرى: إنها تصبح في خطر شديد عندئذ.. لذلك لم يُبِح الله لنا أن ننظر إلى المحارم بلا حرج، ونتطلّع إلى زينتهنّ، ونشاهد رقصهنّ وما إلى ذلك حتى بالنّظر الطّاهر؛ وكذلك لم يَسمح لنا أن نسمع من الأجنبيّات الشّابات الغناء والموسيقى، أو نستمع لقصص حسنهن وجمالهن ولو بنيّة صالحة. كلاّ، بل وصَّانا ألا ننظر إلى المحارم وإلى أماكن زينتهنّ أبدًا، لا بالنّظر الطّاهر ولا بالنّظر الخبيث؛ وألاّ نسمع كذلك أصواتَهن ذات الألحان والغناء وألا نصغي إلى قصص جمالهنّ، لا بالنيّة الصّالحة ولا بغيرها، بل علينا أن ننفر من كل ذلك كما ننفر من الجيفة.. لكيلا نعثر، لأنّه لا بدّ وأن نتعرّض يوما للعثار بسبب هذه النّظرات الطليقة. فبما أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن تبقى أبصارنا وقلوبنا وخواطرنا جميعها مصونةً، لذلك فقد أرشدنا لهذه المبادئ السّامية. فأي شكّ في أنّ التّحرّر المطلق يؤدي إلى العثار والسّقوط؟ أوَ ليس من الخطأ الفاحش أن نضع أمام الكلب الجائع أرغفة ناعمة.. ثم ننتظر منه أن لا يمرّ بباله أي خاطر عن الرّغيف؟ لذلك فقد أراد الله تعالى ألاّ تتاح للقوى النّفسانيّة فرصةُ نشاط خفيٍّ أيضا، وأنْ لا يتعرّض الإنسان لموقف يهيِّج خواطرَ السّوء فيه". (فلسفة تعاليم الإسلام، المجلد ١٠ ص ٣٤٣-٣٤٤)

اجتنِبوا الفسق والفجور

الشرطُ الثاني يُلزِم المبايِعَ بأن ينقذ نفسَه من الفسق والفجور، يقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُم الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٨)

لقد ورد في حديث يتعلّق بهذا الموضوع:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يرفثْ ولا يفسقْ ولا يجهلْ، فإن جهل عليه فليقُلْ إنّي امرؤ صائم". (مسند أحمد)

وقال ﷺ أيضا: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر". (مسند أحمد)

"عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: إِنَّ التُّجَّارَ هُمْ الْفُجَّارُ. قَالَ رَجُلٌ يَا نَبِيَّ اللهِ أَلَمْ يُحِلَّ اللهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فَيَكْذِبُونَ وَيَحْلِفُونَ وَيَأْثَمُونَ. (مسند أحمد)

وأضاف الراوي قائلاً وقال رسول الله ﷺ: إنّ الفسّاق هم أهل النار. قيل: يا رسول الله ومَن الفسّاق؟ قال: النساء. قال رجل: يا رسول الله أَوَ لَسْن أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: بلى ولكنّهن إذا أُعطين لمْ يشكرن، وإذا ابتُلِينَ لم يصبرن. (مسند أحمد)

على رجال الأعمال أن يتفكّروا في ذلك، فإنَّ التعامل النّظيف شرط

في البيعة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"يؤكد القرآن الكريم على أنّ الأشرار الفاسقين يُعاقَبون قَبْل الكافرين..... هذه هي سنّة الله؛ فعندما تصير أمّةٌ ما شرّيرة فاسقة فاسدة الأخلاق، فإنّ الله يسلط عليها قوما آخرين". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٢ ص ٦٥٣)

ثم يقول عليه السلام:

"عندما تَجاوز الناس حدود الشرّ والفسق، واستخفّوا بأوامر الله وآياته، وضلّوا في الدنيا وزخرفها، جَلَبَ الله عليهم الدمار على أيدي هولاكو وجنكيز خان. ولقد جاء في بيان بعض الكتب أنه قد سُمع في ذلك الزمان صيحةٌ من السماء تقول:

"أيّها الكُفّار، اقتلوا الفُجّار".

وباختصار، فإنّ الأشرار والفاسقين هم أذل وأحقر من الكافرين عند الله تعالى." (الملفوظات، الإصدار الجديد، ج ٣ ص ١٠٨)

ثم يقول عليه السلام:

"إنّ دعاء الظالم والفاسق لا يُقبل لأنّه غافل عن الله، فالله لا يأبه به. إذا كان أحد لا يهتم بواجباته تجاه أبيه، فإنّ أباه أيضا لا يهتمّ به، فلماذا يأبه الله بمثل هؤلاء؟" (جريدة "بدر" ج ٢ عدد ١٣ فبراير/شباط ١٩٠٣ ص ٢٨)

اجتنِبوا الظلم

ويُلزم الشرطُ الثاني المبايِعَ أن يجتنب الظلم. يقول الله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (الزخرف ٦٦)

عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إيّاكم والظلم، فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة. واتّقوا الشّح فإنّ الشّح أَهلَكَ مَن كان قبلكم، حَمَلَهم على أن سَفَكوا دِماءهم واستحلّوا محارمهم. (مسند أحمد)

إنّ غصب ممتلكات الآخرين ظلم أيضًا، فعن ابن مسعود قال: قلتُ يا رسول الله أيّ الظّلم أعظم؟ قال: ذراعٌ مِن أرضٍ ينتقصه مِن حقّ أخيه؛ فليست حصاةٌ من الأرض أَخذَها إلا طُوِّقها يوم القيامة إلى قعر الأرض، ولا يعلم قعرها إلاّ الذي خلقها. (مسند أحمد)

يقصر بعض الناس أحيانا في أداء حقوق أخواتهم وإخوتهم وجيرانهم، أو يستولون على أراضيهم ويغصبون ممتلكاتهم بشكل غير شرعي. فأرجو منهم أن يتفكّروا في هذا. إنَّ الشروط التي بايعْنا عليها كأحمديين تتطلب منّا ألاّ نَغصب حقوقَ أَحد، وألاّ نظلم أحدًا. فعلينا أن نخشى الله كثيرًا في هذا الشأن.

جاء في حديثٍ عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع. فقال: إنّ المفلس مِن أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا،

وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فَنيتْ حسناتُه قبْل أن يُقْضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار. (مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم)

أرجو أن تتفكّروا في هذا الأمر جيدًا، فكلّ من كان متورطا في مثل هذه الأمور عليه أن يخاف الله. أَدعو الله أن يقي كلّ واحد منّا من المثول بين يديه تعالى مفلسًا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"على أفراد جماعتي، أينما كانوا، أن يُصغوا إلي بانتباه. إنّ الهدف من انضمامهم إلى هذه الجماعة وتعهدهم معي بالولاء والطاعة هو أن يبلغوا أعلى مستوى في الأخلاق الحسنة والسعادة والتقوى، وألا يقتربوا من الفساد والشر، وسوء الخُلق في تصرفاتهم. وعليهم أن يؤدوا الصلوات الخمس جماعةً؛ ولا يتفوّهوا بكلمة كذب، ولا يؤذوا أحداً بلسانهم. عليهم ألا يُذنبوا بارتكاب رذيلة، وألاّ يخطر في بالهم مجرد فكرة بأيّ أذى أو ظلم أو فتنة. عليهم أن يجتنبوا كلّ شكل من أشكال المعاصي والجرائم ومن كل ما نُهينا عنه من أهواء النفس والأفعال والأقوال والأعمال غير المشروعة. وعليهم أن يكونوا عباد الله عزّ وجلّ، طاهري القلوب، الحلماء المتواضعين. وعليهم ألا يسمحوا لأيّة بذرة سامّة أن تنموَ وتزدهر في تربة نفوسهم...

يجب أن يكون التعاطف مع الجنس البشري هدفهم الأول، وأن يتّقوا الله عزّ وجلّ ويخشوه. يجب أن يحفظوا أَلْسِنَتَهم وأيديهم وأفكارهم من كلّ نوع من الرجس، أو مما يُنافي الأخلاق. وعليهم أن يجتنبوا التمرّد أو الخيانة. يجب عليهم إقامة الصلوات الخمس يومياً بغير انقطاع. ويجب أن يجتنبوا الظلم، والاعتداءَ والرشوة وغصب أموال الآخرين وهضم حقوقهم، والتحيّزَ والمحاباة. عليهم ألاّ يُشاركوا في أيّة صحبة فاسدة شريرة، ولو ثبت فيما بعد أنّ واحداً من الذين يجالسونهم لا يطيع أوامر الله..... أو لا يهتم بأداء حقوق العباد، أو أنه ظالم أو مؤذ، أو سيئ السلوك، أو يريد أن يؤذي عباد الله باستمراره في بذاءة اللسان وسلاطته وسوء الكلام ويخدعهم بالبهتان والافتراء ضد الشخص الذي عقدتم معه عهد البيعة والطاعة، فمن واجبكم عندها أن تزيلوا هذه السيئة من بينكم وأن تعرضوا عن مثل هذا الشخص الخطر. ولا تهمّوا بإيذاء أي شخص من أي دين أو قوم أو جماعة، وكونوا للجميع من الناصحين المخلصين. واحذروا أن يكون أيُّ مؤذٍ أو فاسد أو شرير أو متمرِّد فاسق أو سيئ السلوك واحداً من أصحابكم أو المقيمين بينكم؛ لأنّ مثل هذا الشخص يمكن أن يكون سبب عثاركم في أيّ وقت...

هذه هي القضايا والشروط التي ظللت أحثّكم عليها منذ البداية، ومن واجب كلّ فرد من جماعتي أن يعمل بهذه الوصايا كلها. ويجب ألا يجد السلوك السيئ والسخرية والاستهزاء طريقا إلى مجالسكم. امشوا على الأرض بقلوب طيبة، وطبائع نزيهة، وأفكار نقية. اعلموا أنه ليس كلّ

شرّ جديراً بالمواجهة، لذلك عليكم أن تعوّدوا أنفسكم على العفو والصفح في معظم الأحيان، واتخذوا من الصبر والحلم منهجًا لكم.

لا تُهاجموا أحداً بغير وجه حق، وكونوا مسيطرين على انفعالاتكم سيطرة كاملة. وإذا دخلتم في نقاش أو بحث دينيّ، فيجب أن يكون حواركم متسما بلطف وأسلوب حضاري. وإذا أساء إليكم أحد فانسحبوا من مثل ذلك المجلس بإلقاء السلام عليه.

إذا ما اضطُهدتم أو شُتمتم، فاعلموا أنّ عليكم ألا تُقابلوا الحماقة بالحماقة، وإلا فإنّكم ستكونون مثلهم. يريد الله عزّ وجلّ أن يجعلكم جماعة تكون أسوة في الصلاح والصدق للعالم كلّه.

سارِعوا، إلى إبعاد كلّ من هو مثال للشر والأذى والاستفزاز والسلوك السيئ من صحبتكم. إنّ مَن لا يستطيع الإقامة بيننا بالتواضع والصلاح والتقوى والحلم ولطيف الكلام وحسن الطبع والسلوك، فعليه أن ينفصل عنّا بسرعة، لأنّ الله لا يريد أن يبقى مثل ذلك الشخص بيننا، وسيموت هذا في بؤس وشقاء لعدم التزامه بسبيل الصلاح. ولذلك فاحذروا! وكونوا طيّبي القلب متواضعين أتقياء حقاً. ستُعرفون من خلال التزامكم بالصلوات الخمس ومن الحالة الأخلاقية العالية. ومن كانت فيه بذرة الشرّ فلن يقدر على الالتزام بهذا الشرط". (مجموعة الإعلانات، المجلد ٣ ص ٤٦-٤٨ إعلان ٢٩ أيار ١٨٩ ص ٢)

اجتنِبوا الخيانة

يقول الله ﷻ عن الخيانة في القرآن الكريم:﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٨)

وثمة حديث بهذا الموضوع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تَخُنْ من خانك. (أبو داود، كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"والقسم الثاني من أقسام ترك الشر.. هو ذلك الخُلُق الذي يُعرَف باسم الأمانة.. أي تجنب إيذاء الغير بالاستيلاء على ماله بسوء النية وابتغاء الشر.

وليكن واضحا أن صفةَ الأمانة حالةٌ من حالات الإنسان الطبْعية، حتى إن الطفل الرضيع ذا السذاجة الطبْعية لصغر سنه، والذي لم يشرع بعد في العادات القبيحة.. ينفر مما لغيره لِدَرجة أنه قَلّما يرضع من غير أمه إلا بصعوبة بالغة. (فلسفة أصول تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠ ص ٣٤٤)

اجتنِبوا الفساد

يقول ربنا ﷻ في القرآن الكريم عن الفساد: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

الدَّارَ الآخرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٨)

عن معاذ بن جبل عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الْغَزْوُ غَزْوَانِ فَأَمَّا مَنِ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ وَأَطَاعَ الإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً وَعَصَى الإِمَامَ وَأَفْسَدَ فِي الأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ. (أبو داود، كتاب الجهاد، باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا)

وعن أسماء بنت يزيد أنّ رسول الله ﷺ قال: أَلا أُخبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ: فَخِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى. أَلا أُخبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ فَشِرَارُكُمْ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ الْمَشَّاؤونَ بِالنَّمِيمَةِ الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ. (مسند أحمد)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لا تشتبكوا في صراع أو اختلاف مع الذين يهجرونكم بسبب انضمامكم إلى جماعة أسَّسها الله عز وجل، بل - بدلاً من ذلك - ادعوا لأجلهم في السرّ أن يهبهم الله البصيرة والإدراك الذي وهبكم من فضله. برهنوا بأسوتكم الحسنة وسلوككم الحسن، على أنكم قد التزمتم الصراط القويم. اسمعوا! لقد بعثني الله لأَعِظكم بشكل متكرر أن تتجنبوا كلّ أنواع الفساد وإثارة الفوضى والشغب.

اصبروا على شتائم الآخرين، وادفعوا الشرّ بالخير. وإذا كان أحد عازما على إثارة الفتنة فالأنسب لكم أن تنسحبوا من ذلك المكان،

وردوا عليه بكلمات لطيفة... حين يبلغني أن أحدا من جماعتي قد اختصم مع أحد فلا أحب تصرفه هذا. وإنّ الله ﷻ أيضا لا يحب للجماعة - التي قَدّر لها أن تكون نموذجًا ومثالاً حسنًا للجنس البشري - أن تسلك غير سبل التقوى. إضافة إلى ذلك أقول لكم: إنّ الله ﷻ قد أكد على هذا الأمر كثيرًا جدًّا أنه إذا دخل أحد هذه الجماعة ثم لم يُبدِ الصّبر والحِلم والتسامح للآخرين فليتذكر أنه ليس من هذه الجماعة. إنّ السبب الأقوى لاستفزازكم وإثارتكم ربما يكون سماعكم أحدًا يسبّني بأقذر الشتائم، فأقول لكم أن تفوضوا ذلك الأمر إلى الله. لا يمكنكم أنتم أن تحكموا في هذا الأمر، بل فوِّضوا أمري إلى الله؛ وعليكم أن تتحلوا بالصبر حتى في مواجهة مثل ذلك السّب". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٤ ص ١٥٧)

اجتنبوا سُبل الفتنة والعصيان

يتطلب شرط البيعة الثاني من المبايِع أن يُبعد نفسه أيضًا من طرق البغي والتمرّد والفتنة والعصيان. يقول المسيح الموعود عليه السلام: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّين لِلّهِ﴾ (البقرة ١٩٤).. يعني قاتلوهم حتى تزول الفتنة والتمرد وتزول العوائق في سبيل الدين ويكون أمر الدين لله وحده.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ

يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٨)

يعني: القتال (في مكة المكرمة) أمر مشين، أما مَنْعُ الناس عن سبل الله والجحود له، وطَرْد الأتقياء من المسجد الحرام فهو أكثر شناعة عند الله. والفتنة، أي الإخلال بالأمن أسوأ من القتل." (جنغ مقدس (الحرب المقدسة) الخزائن الروحانية ج ٦ ص ٢٥٥)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"أرى أنّ الكثير من الجاهلين الأشرار من الهندوس وبعضهم من المسلمين أيضا يقومون ضدّ الحكومة ببعض الأعمال التي يُشتمّ منها التمرد والعصيان. بل أخشى أن يغلب هذا التمرد طبائعهم في وقت من الأوقات. ولذلك فإنني أعظ أفراد جماعتي الذين يقيمون في البنجاب (في شبه القارة الهندية) البالغ عددهم - بفضل الله - مئات الألوف بأنّ عليهم أن يتذكروا تعليمي هذا الذي لا أزال أكرره في خطبي وكتاباتي منذ السنوات الـــ ٢٦ الماضية تقريبا، بأنّ عليهم أن يكونوا مخلصين حقًّا لهذه الحكومة لأنها أحسَنَت إلينا.... تذكروا جيدًا أنّه لن يبقى في جماعتي من راودتْه فكرةُ تمرّدٍ ضدّ الحكومة. فمن الوقاحة الشنيعة عندي أن نكون جاحدين لحكومةٍ أنقذتنا من براثن الظالمين وتتطوّر جماعتنا في حكمها. يقول الله عز وجل في القرآن الكريم:﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾

في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

فكّروا فيما لو أنكم خرجتم من ظلّ هذه الحكومة، فأين ستجدون

ملجأً؟ سمّوا حكومة واحدة توافق على أن تمنحكم حماية في ظلّها. كلّ حكومة من الحكومات المسلمة تشحذ أسنانها للقضاء عليكم لأنّكم بالنسبة إليهم مرتدّون وكفرة. ولذلك فإنّ عليكم أن تكونوا شاكرين هذا الفضل الذي منحكم الله إيّاه.... إنّ نشر العقائد التي تقول إنّ مهديًّا سفّاكًا للدماء سوف يظهر ويقبض على جميع الملوك المسيحيين إنما هي أفكار مختلقة وهي التي سوَّدت قلوبَ معارضينا من المسلمين وجعلتها قاسيةً. ومن يعتقد بمثل هذه العقائد فهو يشكل خطرا كبيرا. ومثل هذه العقائد قد تُثير الجاهلين وتُحرّضهم على العصيان والتمرّد في وقت ما، بل سيكون ذلك حتما. ولذلك فإننا نجاهد كي يتخلّص المسلمون من مثل هذه العقائد.

تذكّروا أنّ الدِّين الذي يفتقر إلى التعاطف الإنساني لا يمكن أن يكون من الله. لقد علّمنا الله عَزَّ وَجَلَّ بلسان نبيه ﷺ: ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء. (مجموعة الإعلانات المجلد ٣ ص ٥٨٢-٥٨٥)

لا تَدَعوا الثوائر النفسانية تتغلب عليكم

ويلفت الشرط الثاني من البيعة أيضًا انتباه المبايع ألا يدع الثوائر النفسانية تتغلب عليه.

يقول المسيح الموعود عَلَيهِ السَّلام: "المرتبة الرابعة للخَلْق الروحاني هي ما بينها الله في الآية الكريمة: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾.. أي المؤمنون فوق الدرجة الثالثة أي الحائزين على المرتبة الرابعة هم الذين

يعصمون أنفسهم من الجذبات النفسانية والشهوات المحرمة. وهذه المرتبة أعلى من المرتبة الثالثة لأن مؤمن المرتبة الثالثة لا يؤتي إلا ماله الذي هو عزيز لدى نفسه، ولكن مؤمن المرتبة الرابعة يضحي في سبيل الله بما هو أحب وأعز لديه من المال أيضا أي شهواته النفسانية، لأن الإنسان يحب شهواته حبا جما حتى أنه ينفق ماله العزيز كالماء لقضاء شهواته، ويضيع آلافا مؤلفة من الدراهم في هذا السبيل ولا يعبأ بالمال مطلقا في سبيل استيفاء شهواته. كما يشاهَد أن الأشحّاء ذوي الجبلّة الخبيثة لا يدفعون لشدة بخلهم فلسا واحدا لفقير عار جائع، ولكنهم يدفعون ألوفا من الدراهم للمومسات لاستيفاء ملذاتهم وقضاء شهواتهم ويخرّبون بيوتهم بأيديهم. فاتضح من ذلك أن سيل الشهوات سيل جارف يكتسح نجاسة البخل أيضا، فثبت أن القوة الإيمانية التي يَعصم بها الإنسان نفسه من طوفان الشهوات النفسانية – كونها تدوس ثعبان النفس الأمارة – هي أقوى وأكبر وأشد وطْئًا على الشيطان من تلك القوة الإيمانية التي تزيل بخل الإنسان فينفق ماله في سبيل الله لابتغاء مرضاته. البخل يمكن أن يزول في مواضع الرياء واستيفاء اللذات النفسانية، ولكن الطوفان الحاصل من غلبة شهوات النفس طوفان عارم طويل المدى لا يزول أبدا بدون رحم الرب. وكما أن العظم أصلبُ وأشدُّ أعضاء الإنسان وأطولها عُمرًا، كذلك فإن هذه القوة الإيمانية الدافعة لهذا الطوفان أشدّ وأقوى وأطول عمرًا؛ حيث تدوس هذا العدوَّ العظيم بعد نضال طويل. ولكن هذا كله يتم بفضل الله وبرحمته، لأن طوفان شهوات النفس طوفان

عظيم ومخوف جدا لا يزول أبدا بدون رحمة الله الخاصة، ولذلك اضطر يوسف – عليه السلام – للاعتراف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. فكما ورد هنا ﴿إلا ما رحم ربي﴾، كذلك قد وردت كلمات مشابهة عند الحديث عن الطوفان الذي حدث في أيام نوح عليه السلام، حيث قال الله تعالى ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾. وهذه إشارة إلى أن طوفان شهوات النفس يشبه الطوفان الذي حدث في أيام نوح – عليه السلام – عظمةً وهيبة". (البراهين الأحمدية، المجلد الخامس، الخزائن الروحانية المجلد ٢١ ص ٢٠٥-٢٠٦)

وباختصار، فإنّ الرغبات الجسدية ستحاول دائما أن تهزمكم وتقهركم، فاجتنبوها راجين نَيْلَ رحمة الله. أما هذه الأيام فقد فُتحت سبُل كثيرة جديدة للإغراءات الجنسية، لذا فإننا نحتاج لأن ندعو الله ونتوب إليه راجين الحصول على رحمته أكثر من أيّ وقت مضى.

﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر:٤)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"آمِنوا بالله الذي يتفق على وجوده التوراة والإنجيل والقرآن معا. لا تتّخذوا من عندكم إلهًا لا برهان عليه بشهادة إجماعية من هذه الكتب الثلاثة. اقبلوا بما يشهد عليه العقل والضمير الإنساني وتشهد عليه كتب الله. لا تؤمنوا بالله بشكل يحدث اختلافًا بين كتب الله. لا تزْنوا، لا

تكذبوا، اجتنبوا النظر المحرّم، واتقوا سبل الفسق والفجور، والظلم، والخيانة والفساد والبغي. ولا تدعو الثوائر النفسانية تتغلب عليكم، أقيموا الصلوات الخمس وذلك لأنّ الطبائع الإنسانية تمرّ بمراحل خمسة من المحن. كونوا شاكرين لرسولكم الكريم وممتنّين له، وصلّوا وسلّموا عليه، لأنه هو الذي هداكم إلى سبيل معرفة الله في عصر الظلمات. تلك هي المبادئ التي هي المعالم والميزات البارزة لجماعتي. إنّ الطريقة التي تؤكّد بها هذه الجماعة على التعاطف الإنساني، وتَجَنّب إيذاء الناس، والامتناع عن معارضة أولي الأمر لا توجد لدى المسلمين الآخرين الذين مبادئهم مختلفة عن مبادئنا بسبب أخطائهم، الأمر الذي لا يحتاج شرحًا الآن". (ضميمة ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥ ص ٥٢٤-٥٢٦)

الشرط الثالث

يتعهد المبايع: "أن يواظب على إقامة الصلوات الخمس بلا انقطاع تبعًا لأوامر الله ورسوله، وأن يداوم جهدَ المستطاع على أداء صلاة التهجد، والصلاةِ على النبي ﷺ، والاستغفارِ وطلبِ العفو من ربه على ذنوبه كل يوم؛ وأن يذكُرَ نعمَ الله ومِنَنَه بخلوص القلب كل يوم، ثم يتخذ مِن حمده وشكره عليها وِردًا له."

التزموا بالصلوات الخمس

إنّ أوّل نكتة مذكورة في هذا الشرط هي أنّ على المبايع أن يواظب على الصلوات اليومية الخمس طبقًا لأمر الله تعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ. إنّ الله تعالى قد أمر الرجال والنساء -حتى الأطفال الذين بلغوا العاشرة من العمر- أن يؤدّوا الصلوات في أوقاتها. ولقد أُمر الرجال بإقامة الصلوات اليومية الخمس في جماعة، وأن يرتادوا المساجد ويَعمروها، وأن يسعوا لنيل فضل الله. لا جواز في ترك الصلاة. وأمّا في حال السفر أو المرض، فهناك بعض التخفيف، إذ يمكن جَمْع الصلوات أو قصرها. ويتبيّن مدى أهمية صلاة الجماعة من الأمور المذكوره أعلاه

وإن كان قد رُخص للمسلم في حالة المرض ألاّ يذهب إلى المسجد للصلاة بالجماعة.

سوف أقرأ عليكم الآن بعض المقاطع، ولكن ينبغي على كلّ مبايع، وقد تعهد ببيع نفسه، أن يحاسب نفسه إلى أي مدى يطيع هذا الأمر القرآني الجلي والواضح؟ فمن واجب كلّ أحمدي أن يُذكّر نفسه بذلك. عليكم أن تفحصوا أنفسكم، وأن تُراقبوا أعمالكم بأنفسكم. فإذا ما بدأنا جميعًا بفحص أنفسنا، فإنّ ثورة كبيرة يمكن أن تتحقق وتحدث.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم في سورة النور: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(النور: ٥٧)، وفي سورة طه يأمرنا الله تعالى قائلاً: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾(طه: ١٥)، علاوة على آيات قرآنية أخرى عديدة تحث على إقامة الصلاة. ولسوف أقدّم لكم الآن حديثًا شريفًا في هذا الصدد.

عن جابر قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترْك الصلاة. (مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة)

وقال الرسول ﷺ: ... وجُعِلَتْ قُرة عيني في الصلاة. (النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء)

عن أبي هريرة أن رَسُولَ الله ﷺ قال: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبدُ

يَوْمَ القِيَامةِ مِنْ عَمَلِه صَلاتُه، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فإِن انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَة شَيئًا قَالَ الرَبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالى: انْظُرُوا هَلْ لعبدي من تَطَوعٍ فَيُكمِلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَة، ثُمَّ يَكُونُ سَائرُ عَمَلِه عَلَى ذَلِكَ. (الترمذي، كتاب الصلاة، باب إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة)

وعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كلّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِه شَيْءٌ؟ قالوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِه شَيْءٌ، قالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بِهِنّ الْخَطَايَا. (متفق عليه)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "أقيموا الصلاة، أقيموا الصلاة. فإنها مفتاح كلّ سعادة". (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٥٤٩)

ويقول عليه السلام أيضًا: "الدعاء مخ الصلاة وروحها". (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٤١)

ويقول أيضًا: "فيا مَن تعتبرون أنفسكم من جماعتي، إنكم لن تُعَدّوا من جماعتي في السماء إلا إذا سرتم في دروب التقوى حقا وصدقا. فأَدُّوا صلواتِكم الخمس بخشية وخضوع كأنكم ترون الله تعالى، وأتِمُّوا صيامكم بصدق القلب لوجه الله تعالى، وكلّ مَن وجبتْ عليه الزكاة فليؤدِّها، وكلُّ مَن وجب عليه الحج فليحجّ ما دام ليس هناك مانع. افعلوا الخيرات على أحسن وجه، واتركوا الشر كارهين له. اعلموا يقينا

أنه لن يصل إلى الله أي عمل خالٍ من التقوى." (سفينة نوح، الخزائن الروحانية ج ١٩ ص ١٥)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "ما هي الصلاة؟ إنها دعاء يُتوسل به إلى الله بالتسبيح والتحميد والتقديس والاستغفار. لذلك إذا صليتم فلا تقيّدوا في دعواتكم بالألفاظ العربية مجردة كالمغفلين من الناس، إذ إن صلواتهم واستغفارهم ليس إلا تقاليد فارغة من الحقيقة. بيد أنكم حين صليتم لا بأس عليكم إذا رفعتم التضرعات بلسانكم أثناءَ دعواتكم العامة علاوة على آيات القرآن الذي هو كلام الله والأدعية المأثورة التي هي كلام الرسول ﷺ. فعسى أن يأخذ هذا التضرع وتلك المناجاة في قلوبكم مأخذه". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩ ص ٦٨-٦٩)

ويقول المسيح الموعود أيضًا: "الصلاة قوة بها تحنو السماء على الإنسان. إنّ الذي يقيم الصلاة كما هو حقها يشعر أنّه قد مات، وأنّ روحه قد ذابت، ووقعتْ على عتبة الله.... البيت الذي تُقام فيه الصلاة بهذه الطريقة لا يواجه الخراب مطلقاً. جاء في حديث: 'لو فُرضت الصلاة على قوم نوح لما هلكوا'.

ليس الحجّ إلا بتوافر الشروط، ولا الصيام ولا الزكاة إلا بالشروط، أما الصلاة فليست لفرضيتها أية شروط. وسائر الفرائض المذكورة تؤدّى مرّة في السنة، ولكن الصلاة مفروضة خمس مرات يوميا. فما لم تؤدَ الصلاة بكامل متطلباتها، لن تُكتسب البركات التي تحملها، وبالتالي

لن تستفيدوا من هذه البيعة شيئا". (الملفوظات، الإصدار الجديد، ج ٣ ص ٦٢٧)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: "الصلاة واجبة على كلّ مسلم. جاء في الحديث الشريف أنّ بعض الذين قَبلوا الإسلام طلبوا من رسول الله ﷺ أن يعفيهم من فريضة الصلاة لأنهم تجّار، ولأنّ لهم ماشية يرعونها فلا يكونون واثقين أحياناً من طهارة ثيابهم، ولا يجدون فرصة للصلاة. فرفض الرسول ﷺ طلبهم وقال لهم: لا خير في دين لا صلاة فيه.

ما هي الصلاة؟ إنما هي المناجاة في حضرة الله والاعتراف بالضعف عنده وطلب العون منه في قضاء جميع الحوائج. هي الوقوف أحيانًا أمامه لعظمته ولتنفيذ أوامره، وأحيانًا السجود أمامه في خضوع تام، ورفع الحاجات كلّها إليه، فالصلاة أن تمدح الله كمتسوّل، وأن تثير رحمتَه ببيان عَظَمَتِه وجلاله ثم تطلب منه حاجتك. فالدين الذي ليس فيه صلاة ليس دينا على الإطلاق.

الإنسان محتاج إلى عون الله كل حين وآن، فعليه أن يطلب منه دوما سبل رضاه وفضله؛ إذ لا يمكن للإنسان إحراز أي نجاح إلا بالتوفيق منه. اللهمّ وفقنا أن نكون لك بشكل كامل ونرضيك سالكين سبل رضاك. الصلاة عبارة عن حبّ الله، وخشيته، وانشغال القلب بذكره، وهذا هو الدين الحق.

وعليه فإن الذي يريد أن يتحرر من أداء فريضة الصلاة لم يتعدَّ قدر البهائم التي لا يهمّها إلا الأكل والشرب والنوم. هذا ليس من الدين في

شيء، بل هي سيرة الكفار. ولا شكّ في أنّ المثل الشائع: "لحظة الغفلة هي لحظة الكفر" مثلٌ صادق وصحيح". (جريدة "الحَكَم" المجلد ٧ عدد ٣١ مارس ١٩٠٣ ص ٨)

كيف يمكن الاستمتاع بالصلاة؟

يقول المسيح الموعود عليه السلام مَن لا يجد متعة في الصلاة فعليه أن يتوسل إلى الله ويدعوه قائلاً: إلهي، أنت تعلم كم أنني أعمى لا أبصر، وإنني في هذه اللّحظة كالميت. وأعلم أنني عمّا قريب سأُدعى فأمتثل بين يديك، ولن يقدر أحد على أن يحول بيني وبين ذلك. ولكن قلبي أعمى ويخلو من المعرفة. فأنزلْ عليه شعاعاً من نور فيبعث فيه حبّك والشوق إليك. أَنْعِم عليّ بفضلٍ من لدنك يا رب حتى لا أُبعَث يوم القيامة أعمى ولا أكون من فاقدي البصر.

عندما يدعو العبد بهذا الشكل، ويُثابر عليه، فسيأتيه وقتٌ يرى فيه نزول شيء عليه من السماء، وسيذيب قلبه ويهبه الحضور في الصلاة." (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٢ ص ٦١٦)

واظِبوا على التهجد

يطالب الشرط الثالث من البيعة المبايع أن يؤدّي صلاة التهجد. يقول تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء ٨٠)

عَن بلالٍ أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَال: عليكمْ بقيامِ اللَّيْلِ فإنَّهُ دأبُ

الصالحينَ قَبلكمْ، وإنَّ قيامَ اللَّيْلِ قُربةٌ إلى اللَّهِ، ومَنهاةٌ عَن الإثمِ، وتكفيرٌ للسَّيِّئاتِ، ومطردةٌ للدَّاءِ عَن الجسدِ. (الترمذي، كتاب الدعوات باب في دعاء النبي ﷺ)

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: يَنـــزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له! من يستغفرني فأغفر له! من يسألني فأعطيه! فلا يزال كذلك إلى الفجر. (مسند أحمد)

يبعث إليَّ كثير من أفراد الجماعة رسائل يطلبون فيها الدعاء. فإذا ما مارسوا بأنفسهم طريقة الدعاء هذه، فسيرون بركات الله تنـــزل عليهم مدرارًا.

عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: إن اللّه تعالى قال: من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إلي مما افترضتُ عليه. وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه: فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيتُه، ولئن استعاذني لأعيذنّه. (البخاري، كتاب الرقاق باب التواضع)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: رَحِمَ اللّه رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أَبَت نَضح في وجهها الماء. رَحِمَ الله امرأةً قامت من الليل فصلّتْ وأيقظتْ زوجها، فإن أبى نَضَحتْ في وجهه الماء. (أبو داود، كتاب التطوع باب قيام الليل)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"على أفراد جماعتنا أن يلتزموا بإقامة صلاة التهجد. وعلى من لا يقدر على فِعل المزيد أن يؤدّي ركعتين كحدٍّ أدنى، لأنه سيحصل على فرصةٍ يدعو فيها بعض الأدعية. إن الدعوات التي تُرفع في مثل هذا الوقت تتحلى بتأثير عجيب، لأنها تُرفع بألم وحماس حقيقيين. إذ لو يكن هنالك ألم خاصّ وحرقة يستشعرها القلب، لما كان للمرء أن يستيقظ أو يقوم من نوم مريح؟ فالقيام في هذا الوقت يخلق ألماً يستشعره القلب مما يبعث على الحرقة والاضطراب والاضطرار في الدعاء مما يؤدي في النهاية إلى استجابته. ولكن من الواضح أنّ مَن يتكاسل في الاستيقاظ ليلاً يكون مفتقراً إلى الألم والحرقة المذكورين، لأن النوم الهادئ يشير إلى عدم الألم والحرقة. ولكن الذي يستيقظ من النوم فهذا يبرهن على أنه يُعاني ألماً لا يدعه ينام بل يؤرقه". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٢ ص ١٨٢)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"قوموا في جوف الليالي، وادعوا الله عز وجل أن يهديكم إلى سبله. إنّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أيضًا تدرَّبوا خطوةً خطوةً. ماذا كانوا من قبل؟ كانوا كبذرة بَذرها فلاّح فسقاها النبي الكريم بدوْره ودعا لها. كانت البذرة سليمة والتربة خصبة، فبالسقاية أعطت ثمارًا ممتازة فساروا على صراط محمد صلى الله عليه وسلم متأسين بأسوته، ولم يأبهوا بليل أو نهار.

عليكم أن تتوبوا بقلب صادق. قوموا للتهجد. ادعوا الله تعالى.

قوّموا قلوبكم. تخلّوا عن ضعفكم. واجعلوا أقوالكم وأعمالكم وفقا لرضا الله تعالى". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد الاول ص ٢٨)

داوِموا على الصّلاة على النبيّ ﷺ

يطالب الشرط الثالث التزامَ المبايع بالصلاة على النبيّ محمّد ﷺ بحماس صادق. يقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول. ثم صلوا علَيّ، فإنّه من صلّى علَيّ صلاة، صلّى الله عليه بها عشرًا. ثم سَلُوا الله لي الوسيلة. فإنّها منـــزلة في الجنة لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله. وأرجو أن أكون أنا هو. فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة. (مسلم، كتاب الصلاة، باب قول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ)

على كلّ واحد أن يحفظ في ذهنه أنه من أجل كسب رضا الله، وليفوز بحبه، ولتنال دعواتنا قبولاً منه، فإننا بحاجة إلى أن نتخذ النبي الكريم ﷺ وسيلة للوصول إلى الله. والطريقة المثلى لتحقيق ذلك - كما تخبرنا الأحاديث - هي أن نكثر من الصلاة عليه ﷺ. ولقد حثّ المسيحُ الموعود عليه السلام على الإكثار من الصلاة على النبيّ ﷺ وذلك بقول:

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيتَ على إبراهيم

وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد. اللهمّ بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إنّك حميد مجيد.

عن عامر بن ربيعة أنّ رسول الله ﷺ قال: ما من عبد يصلي عليّ إلا صلّتْ عليه الملائكة ما دام يصلّي علَيّ. فليُقِلّ العبدُ من ذلك أو لِيُكْثِر. (مسند أحمد وابن ماجة)

وعَن عُمَرَ بن الخَطَّابِ قَالَ: إنَّ الدُّعاءَ مَوقُوفٌ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّي عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ. (الترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ)

وعَن عَبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: أَوَلى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَليَّ صَلاةً. (المرجع السابق)

يتحدث المسيح الموعود عليه السلام عن خبرته الشخصية فيقول:

حدث ذات مرة أنني ظللت مستغرقا في الصلاة على النبي - ﷺ - فترة من الزمن، لأنني كنت على يقين أن سبل الله تعالى دقيقة جدا، ولا يمكن الاهتداء إليها بدون وسيلة النبي ﷺ، كما يقول الله تعالى ﴿وابتَغُوا إليه الوسيلةَ﴾. ثم بعد مدة رأيتُ في حالة الكشف أن سقّاءَينِ قد جاءا ودخلا بيتي، أحدهما دخل من الطريق الداخلي والآخر من الطريق الخارجي، وعلى أكتافهما قِرَبٌ من نور، ويقولان: هذا ما صلَّيْتَ على محمدٍ". (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية المجلد ٢٢ ص ١٣١ الحاشية)

ثم يقول حضرته:

"إنّني أرى أن الفيوض الإلهية تتجه بشكل أنوار رائعة إلى النبي ﷺ

بفضل الصلاة عليه ثم تسري وتنجذب في صدر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ثم تخرج في قنوات وجداولَ كثيرة لا تُحصى وتَصِل إلى كلّ من يستحقّها بحسب طاقته. من المؤكّد أنه لا يمكن أن ينال أحد أي فضلٍ من الأفضال بدون وساطة النبي الكريم ﷺ. ما هي الصلاة على النبي ﷺ؟ إنما هي عبارة عن تحريك عرشه الذي تَصدر منه جداول النور هذه. إنّ على الذي يرغب في الحصول على فضل الله ﷻ أن يكثر من الصلاة على الرسول ﷺ ليحرّكَ فضل الله تعالى". (جريدة الحَكَم، شباط/فبراير ١٩٠٣/٢٨ ص ٧)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام: "الإنسان في الحقيقة عبد لله ومملوك له. وعلى العبد أن ينفّذ أوامرَ السيّد جميعها. وبالمثل إذا أردتم الحصول على الفيوض المحمدية فعليكم أن تصيروا عبيدًا له. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ (الزمر: ٥٤)

إنّ كلمة (العبد) هنا تعني الخادم المطيع والمملوك وليس مجرد الإنسان. ولكي تصير عبدًا للنبي الكريم ﷺ، عليك أن تُصلّي عليه، وألاّ تعصي من أوامره شيئا، وأن تُنفّذ جميع تعاليمه". (جريدة بدر، المجلد ٢ العدد ١٤ يوم ٢٤ نيسان ١٩٠٣ ص ١٠٩)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: "اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله بعدد همّه وغمّه وحُزنه لهذه الأمّة، وأَنْــزِلْ عليه أنوار رحمتك إلى الأبد". (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦ ص ١١)

داوِموا على الاستغفار

يتطلب شرط البيعة الثالث من المبايع المداومة على الاستغفار. يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(نوح: ١١-١٣)

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاستَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ٤)

هناك حديث حول هذا الموضوع: عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: أَنْزَلَ الله عليّ أمانَين لأمتي: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤) فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة. (الترمذي، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الأنفال)

عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: "مَن لَزِمَ الاستغفار جَعل اللهُ له من كلّ ضيقٍ مخرجًا، ومن كلّ همٍّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب. (أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار)

يقول المسيح الموعود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

"... الاستغفار، الذي تتقوى به جذور الإيمان، ورد في القرآن الكريم على معنيَين: الأول: ترسيخُ حب الله في القلب - من خلال الصلة به تعالى - وردعُ صدور الذنوب التي تثور في حالة الابتعاد عنه تعالى، وطلب العون من الله تعالى من خلال التفاني فيه.

هذا هو استغفار المقربين الذين يَعتبرون الانفصال عن الله هلاكًا ولو لطرفة العين. إنهم يستغفرون ليثبّتهم الله على حبه.

والنوع الثاني من الاستغفار هو التخلص من الذنوب والفرار إلى الله، والسعي لترسيخ حب الله في القلب كالشجرة الثابتة في التربة، وذلك لكي يتربى المرء تربية طيبة، فيتجنب من جفاف الخطيئة والهلاك.

سُمّي هذان النوعان بالاستغفار لأن لفظة (غفر)، التي منها تُشتَق كلمة الاستغفار، تعني (التغطية) أو (الإخماد). وبكلمات أخرى، فإنّ الاستغفارَ يعني الرجاءَ من الله أن يستر خطايا العبد المستغفر الذي يظل متفانيا في حب الله تعالى، وألاّ يسمح لجذور الطبيعة البشرية بالافتضاح، بل يغطيها في رداء ألوهيته ويعطيه نصيبا من قدوسيته. ولو أنّ جذرًا ما قد فُضح بسبب أية خطيئة، فالمرجو منه تعالى أن يستره ثانية ويُنقذه من نتائج افتضاحه. وبما أنّ الله هو مبدأ الفيوض، ونوره مستعد دائمًا لتبديد كافة أنواع الظلمة، فإنّ السبيل الوحيد لمعرفة الصراط المستقيم هو أن نمدّ يدينا كلتيهما باتجاه نبع النقاء هذا خوفًا من هذه الحال المريعة، راجين أن يتدفّق هذا النبع باتجاهنا بقوة ويكتسح جميع النجاسات دفعة واحدة. وليس ثمة تضحية أكبر لإرضاء الله من أن نقبل الموت لأجله وأن نُلقي بأنفسنا أمامه". (سراج الدين عيسائي كى جار سوالون كا جواب (أي الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي) المجلد ١٢ ص ٣٤٦ -٣٤٧)

يقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا: "... إذا استعان هؤلاء بالله

واستغفروه فحينئذٍ يمكن أن يزول ما بهم من ضعف بتأييد من روح القدس ويستطيعون أن يجتنبوا الذنوب كما يجتنبها رسل الله وأنبياؤه، وأما إذا تاب الآثمون واستغفروا الله نفعهم الاستغفار وتجنَّبوا مغبّة الإثم، أي نجوا من العذاب، لأن الظلمة لا يمكن أن تبقى بعد إشراق النور. وأما الذين لا يستغفرون الله بعد جرائمهم ولا يستعينون به، فينالون الجزاءَ على سوءِ فعلهم حتمًا". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٤)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا: "بعض الناس يدرك حقيقة الذنب وبعضُهم لا يدركها، لذلك فإنّ الله تعالى قد جعل الاستغفار لزامًا على الإنسان دومًا كي يستمر في طلب حماية اللهِ من جميع الخطايا - الظاهرة والخفية، المعلومة والمجهولة، وسواء ما ارتكب منها باليد أو بالرجل أو بالأنف أو بالعين. في هذه الأيام، يجب الابتهال إلى الله بتركيز خاص على دعاء آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٤). قد قُبل هذا الدعاء مسبقًا. فلا تُمضِ عمرَك في غفلة. كلّ من يجتنب الحياة الغافلة لا يُتوقع أن يُصاب بأيّ بلاء لا يطاق، لأنّ البلاء لا ينـــزل من دون إذن إلهي. وفي هذا الشأن فقد أوحى الله إليّ الدّعاء التالي: "ربِّ كلّ شيء خادمُك، ربِّ فاحفظني وانصرني وارحمني" (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٢، ص ٥٧٧)

الاستغفار والتوبة

يقول المسيح الموعود عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾: "تذكّروا، قد وُهب المسلمون تعليمين - الأول من أجل الحصول على القوّة؛ والثاني من أجل الإظهار العملي للقوة. فالاستغفار هو من أجل الحصول على القوّة. وهو يُسمّى أيضًا بالاستمداد والاستعانة. يقول الصوفيون إنما تُكتسب القوّة والطاقة الجسدية بالتمرين، كذلك الاستغفار هو تمرين روحي تحصل الروح من خلاله على القوة، ويحقق القلبُ به الثبات. إنّ على من يرغب في الحصول على القوّة أن يُمارس الاستغفار.

إنّ معنى "غَفَرَ" هو "غطّى" و "سَتر". فبالاستغفار يحاول الإنسان تغطية وكبت أهوائه التي تحول دون وصوله إلى الله. وهكذا فمعنى الاستغفار هو تغلّب الإنسان على العناصر السامّة التي من شأنها أن تهلكه، وأن ينفّذ أحكام الله تعالى بصورة عملية متجنبا العقبات التي تحول دون العمل بها.

تذكّروا أنّ الله عز وجل قد خلق نوعين من العناصر في البشر. أولّها: العنصر السّام، الذي يُفَعِّله الشيطان. والثاني هو العنصر الترياقي. عندما يتكّبر المرء ويعدّ نفسه جديرًا بالاعتبار، ولا يسعى لطلب العون من النبع الترياقي الشافي، عندها يتغلب عليه العنصر السامّ. ولكن عندما يعدّ نفسه ذليلا وحقيرا ويشعر في عمقه الحاجةَ إلى العون الإلهي، يخلق الله له

عندئذ نبعًا فتتدفّق روحه منسابة. هذا هو معنى الاستغفار، يعني أن يحوز المستغفِر هذه القوّة فيتغلّب على العنصر السّام". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ١، ص ٣٤٨-٣٤٩)

احمدوا الله دائمًا

يتضمن الشرطُ الثالث من البيعة العهدَ بأن يظلّ المبايِع حامدًا الله وشاكرًا له طوال عمره. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:﴿الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (سبأ: ٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: كلّ أمْر ذِي بالٍ لا يُبْدأُ فِيهِ بالحَمْدِ لِلّهِ فهو أَقْطَعُ. وفي رواية "بَحَمْدِ اللّهِ"، وفي رواية "كلّ كلامٍ لا يُبْدأُ فِيهِ بالحَمْدِ لِلّهِ فَهُوَ أجْذَمُ". (أبو داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام وابن ماجة، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح)

عن النعمان بن بشير قال قال النبي ﷺ على المنبر: "من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر." (مسند أحمد)

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسول اللّه ﷺ أخذ بيده وقال:

"يا معاذ، واللّه إنِّي لأحبك. فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كلّ صلاةٍ تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

(أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إذا تفكّر الإنسان بعمق، وجد أنّ جميع أنواع الحمد والصفات الحسنى لله تعالى وحده. ولا يستحق أيُّ كائن سواه الحمدَ والثناء بصورة حقيقية، سواء أكان إنسانًا أم مخلوقًا آخر. ولو تفكّر الإنسانُ متخليا عن الأنانية، فسينكشف عليه بالبداهة، أنّ الذي يُعتبر جديرا بالحمد والثناء عليه فإنما يُعتبر كذلك إما لكونه قد خلق شيئا في زمن لم يكن فيه لهذا الشيء أي وجود أو أثر، أو لأنّه قد هيأ أسبابا ضرورية لبقاء الحياة والحفاظ على الصحة في حين لم يكن لأي شيء وجود ولا أثر يدل عليه، أو رحم ذلك الكائنَ فصان كيانه في زمن كان بالإمكان أن تحل به مصائب كثيرة، أو يستحق الحمد والثناء لكونه لا يدع جهود العامل تضيع سُدى، بل يجزيه عليه جزاء أوفى، لا شك أن دفع الأجر للأجير واجب، ولكن الذي يدفع له أجره كاملا يعتبر محسنا أيضا. وهذه جميعها صفات سامية تجعل المتّصف بها جديرًا بالحمد والثناء حقًّا.

والآن لو فكرتم لأدركتم أنّ جميع هذه المحامد تخص الله وحده، لأنّه هو وحده يتصف بجميع هذه الصفات بتمامها وكمالها؛ ولا يملكها أحد غيره.... وباختصار، فإنّ الله تعالى وحده هو الجدير بالحمد بصورة أكمل وأعلى وليس ثمة أحد يستحقّ في حد ذاته بشيء مقابله. وإذا ما استحقّ شخص آخر الحمد، فيكون ذلك الحمد مجرّد حَمدٍ ثانوي. ومن رحمة الله عز وجل، أنه رغم كونه تعالى أحدًا لا شريك له، قد أشرك بعض

الآخرين في تلك المحامد بشكل ظلي غير حقيقي". (روئيداد جلسه دعاء، الخزائن الروحانية ج١٥ ص٥٩٨- ٦٠٢)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام في موعظة عامّة للجماعة:

"فإن كنتم تحبون أن يمدحكم الملائكة أيضا في السماء فتحمّلوا الإيذاء وابقوا فرحين سعداء. اسمعوا الشتائم واشكروا الله، وواجِهوا أنواع الخيبة والخسران ولا تقطعوا صلتكم بالله. إنكم جماعة الله الأخيرة، فاعملوا أعمالا صالحة هي قمّة في كمالها. كل من يتكاسل فسوف يُطرد من الجماعة كشيء رديء وسوف يموت بحسرة، ولن يضرَّ الله شيئًا. ألا إني أخبركم بكل سرور أن إلهكم لموجودٌ حقًا، ولا شك أن الجميع من خلْقه لكنه يصطفي مَن يختاره عز وجل ويأتي إلى من يأتيه ويُكرم من يعظمّه. تعالوا إليه بقلوب مخلصة، وألسنة وأعين وآذان مطهرة، ولسوف يتقبّلُكم. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٥)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"لا تظنوا أن الله تعالى سوف يضيعكم، أنتم بَذْرةٌ بَذَرَها الله تعالى في الأرض بيده. يقول الله تعالى: إن هذه البَذْرة سوف تَنْمُو وتَزْدَهِرُ وتَتَفَرَّعُ في كل طرف، ولَسَوْف تصبح دَوْحَة عظيمةً. فطوبى لمن يؤمن بقول الله تعالى ولا يخاف الابتلاءاتِ العارضة، لأنه لابد من الابتلاءات أيضا لكي يختبركم الله مَن منكم صادق في ادعائه للبيعة ومن هو كاذب. والذي يَزِلّ بسبب الابتلاء لن يضر الله شيئا، والشقاوة سوف

تُوصله إلى الجحيم، لو لم يُوْلَد لَكان خيرًا لــه. ولكن الذين يصبرون إلى نِهايَة المَطافِ في حين تأتي عليهم زلازل المصائب وتَهُبُّ عليهم عواصِفُ الابتلاءات، وتَسْخَرُ منهم الأقوامُ وتستهزئ بهم، وتُعاملُهم الدنيا بمنتهى الكراهية؛ فأولئك الذين سوف يفوزون في آخرِ الأمر، وتُفتَح عليهم أبوابُ البركاتِ على مِصْراعَيْها.

لقد قال اللهُ تعالى مخاطبا إيَّايَ أن أُخْبر جماعتي بأن الذين يؤمنون إيمانا لا تشوبُهُ شائبةٌ من شوائب الدنيا، وليس ذلك الإيمان مُلوَّثا بالنفاق أو الجُبنِ وليس خاليًا من الطاعة، فأولئك هم المَرْضِيُّون عند الله تعالى. ويقول الله تعالى إنهم هم الذين قدمُهم قدمُ صِدْقٍ." (الوصية، الخزائن الروحانية، المجلّد ٢٠، ص ٣٠٩)

أَدعو الله تعالى أن يوفّقنا للتمسّك بهذه المواعظ، وأَدعوه أن يجعلنا أحمديين صادقين بكل معنى الكلمة، وأن يجعلنا ثابتين على عهد بيعتنا والعاملين به. كما ندعوه أن يجعلنا طائعين لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله الكريم ﷺ بِحقٍّ. ونتوسّل إلى الله أن يُعيذنا من ارتكاب أيّ فِعل يكدر صفو جماعة المسيح الموعود الحبيبة ونقاءَها.

اللهم اغفر لنا خطايانا، واستر عيوبنا، وعُدَّنا دائمًا بين الطائعين والمخلصين لك، واجعلنا يا ربّ نتمسّك بثبات وقوّة بعهد الوفاء والبيعة، واكتبنا في أحبائك، ووفق ذرياتنا للتمسك بهذا العهد. اللهم لا تخذلنا أبدا، وأنعم علينا بمعرفتك الحقيقية.

يا أرحم الراحمين ارحمنا، واقبل جميع دعواتنا، واجعلنا ورثة جميع

الدّعوات التي دعاها المسيح الموعود لجماعته وللذين سينضمّون إليها فيما بعد.

(ملخص الخطاب النهائي في الجلسة السنوية المنعقدة في بريطانيا في ٢٧-٧-٢٠٠٣)

...إنه لموضوع مهمّ جدًّا، وما أحوجنا إليه في هذا العصر الذي يُبعدنا رويدا رويدا عن زمن المسيح الموعود عليه السلام. إننا نشعر بالفخر إذا كنا من نسل وذرية صحابيّ من أصحاب المسيح الموعود عليه السلام، ولكننا غافلون عن التضحيات التي قدّمها أجدادُنا وأسلافنا. وبالرغم من أننا ما زلنا مرتبطين بأسلافنا بالقرابة الدموية، ولكن مستوى الروحانية لدى كثير منّا قد انحطّ وانتكس. ومن الطبيعي أن يَحدث بعض التقصير والضّعف كلّما ابتعد الناس عن عصر النبوّة. ولكنّ الجماعات التي تريد التقدم لا يجلس أفرادها عاطلين بمجرّد إلقاء اللوم على الظروف والأوضاع. بل هم، على العكس، يتابعون نضالهم وجهادهم. نحن سعداء أن هناك بشائر ونبوءات تتعلق بنا أنه من المقدر أن ننشر تعاليم الرسول ﷺ في أنحاء العالم بعد انضمامنا إلى جماعة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، بشرط أن نبقى متمسكين بوحدانية الله تعالى. وأن نلتزم بهذا التعليم، ونرسخه في ذرياتنا.

سأقدّم لكم الآن مقطعا من كلام المسيح الموعود عليه السلام لتوضيح ما تَوقّعه حضرتُه من أولئك الذين بايعوه. وبعد ذلك سوف أتناول الشرط الرابع للبيعة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إنّ بيعة التوبة على يديّ تتطلّب نوعًا من الموت لِتوهبوا ولادةً جديدة في حياة جديدة. ما لم تكن البيعة بصدق القلب فلا معنى لها.

يريد الله منكم أن تقوموا بهذا العهد من صميم قلوبكم. فإنّ الذي يقبلني بقلب صادق، ويتوب توبة نصوحا من ذنوبه فإنّ الله الغفور الرحيم يغفر له خطاياه بكلّ تأكيد. وهكذا يعود كيوم ولدته أمّه، ثم تقوم الملائكة بحفظه وحمايته." (الملفوظات، المجلد ٣، ص ٢٦٢)

(مقتبس من الخطاب الختامي في الجلسة السنوية في ألمانيا في ٢٤-٨-٢٠٠٣)

الشرط الرابع

يتعهد المبايع "ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائر النَّفْس. . لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر."

يتضح من هذا الشرط أنّ على الأحمدي ألا يسبِّب لأحد من الناس أيّ أذًى من جراء ثورة غضبه أو أنانيته أو غيرته المزعومة، لا بيده ولا بلسانه. إنَّ واجب المسلم الأحمدي ألا يؤذي أيّ مسلم. ويتحتم علينا الالتزام بهذا الشرط بشكل خاص لأنّ المسلمين ينتسبون إلى سيدنا ومولانا النبي الكريم محمد ﷺ، فلا نستطيع أن نفكِّر في الإساءة إليهم، بل نخرّ أمام الله تعالى القويّ العزيز طالبين نصره على علمائهم الذين هم وصمة عار على جبين الإسلام الجميل، والذين قد تجاوزوا جميعَ الحدود في عدائهم لإمام العصر المسيحِ الموعود والإمام المهديّ عليه السلام. وإننا لنسجد عى عتبة الله متوسلين إليه أن يبطش بهم. ولا نفعل ذلك لضغينة في نفوسنا تجاههم، أو لغضب على أحد منهم، بل لأنّ رسول الله ﷺ قد أعلن أنهم شرٌّ مَن تحت أديم السماء؛ ولا نعمل إلا بأحكام الله عز وجل الذي يأمرنا بكظم الغيظ قائلا:﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ

﴿الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)

جاء في رواية أنّ عبدًا للإمام الحسين رضي الله عنه نال حريَّته ببركة هذه الآية الكريمة. فقد روي أنه قد سكب سائلا ساخنًا (ربما كان ماءً) على حضرة الإمام رضي الله عنه من دون قصد، فنظر إليه الإمام غاضبًا. ولَمّا كان العبد ذكيًا وسريع البديهة وعارفًا بالقرآن الكريم أيضًا، فسرعان ما قرأ قولَ الله تعالى:﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال الإمام الحسين رضي الله عنه: نعم، لقد كظمتُ غيظي. ففكَّر العبد أنّ الإمام قد سيطر على غضبه ظاهريًّا، فلعلَّ ذلك الغضب ما زال في قلبه، وقد يُعاقبه على خطأ آخر فيما بعد، فتلا الجزء التالي من الآية:﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. فقال الإمام الحسين: قد عفوتُ عنك. وبذلك فقد ضَمِنَتْ معرفةُ العبد وسرعة بديهته فوائد عاجلة، فتلا الجزء الثالث من الآية: ﴿والله يُحِبُّ المحسنين﴾، فأجابه الإمام: اذهب فأنت حر لوجه الله.

كان العبيد في تلك الأيام يُباعون ويُشترون، وكان من الصّعب جدًا أن يحصل أحدهم على حريّته بهذه السهولة. إنّ حدة ذكاء العبد ومعرفته بالقرآن الكريم قد أكسبتاه حريّته من سيّده الذي كان تقيًا يخشى الله. هذا هو تعليم الإسلام.

عليكم بالعفو والرفق

لقد تحدث المسيح الموعود عليه السلام عن النوع الثاني من الأخلاق التي لها علاقة بإيصال الخير فقال:

الخُلُق الأول منها هو العفو عن المخطئ؛ والمراد من إيصال الخير في هذا المقام هو أن المخطئ يُلحق بأحد ضرارا ويستحقّ أن يُلحَق به الضرر مثل ما ألحقه بغيره كأن يَرفع المتضرر قضية ضده ليعاقَب أو يسجَن أو يغرَم، أو أن ينتقم منه بيده هو؛ ولكن لو عفا عنه شريطة أن يكون العفو هو الأنسب فذلك بمثابة إيصال الخير إليه. ويرشدنا القرآن المجيد إلى هذا الخُلُق بقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران:١٣٥)

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى:٤١).. أي إنّ أهل البر هم أولئك الذين يمسكون عن الغضب عندما يتطلّب الموقف منهم ذلك، ويغفرون للنّاس حسب مقتضى الحال، وإذا عاقبوا المعتدي كان عقابهم بمثل ما اعتدى عليهم. فمن عفا عن ذنب أحد عفوا يترتّب عليه الإصلاح ولا يجعله يتمادى في الشر.. أي يكون العفو في محلّه تمامًا.. فسوف يثاب على ذلك. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠ ص ٣٥١)

هناك حديث مشهور عن رسول الله ﷺ سَمِعَه الكثيرون، حيث قال الرسول ﷺ مشيرًا إلى صدره: "التقوى ههنا"، وهذا يعني أنه إذا كان للتقوى الحقيقية التي لا مثيل لها وجود في أيّ مكان، فإنما كانت في قلب محمد ﷺ، إذ لم يكن في قلبه شيء سوى التقوى.

ولهذا أقول لكم أيها الناس، يا جماعة المؤمنين، إنّ التوجيه الدائم لكم هو أنّ الأسوة التي عليكم أن تتأسوا بها هي أسوة النبي محمد ﷺ.

فحاسبوا أنفسكم لتروا ما إذا كنتم تبذلون جهودا صادقة لتعمروا قلوبكم بالتقوى متأسين بأسوته ﷺ، وما إذا كنتم تخشون الله تعالى، وبالتالي تواسون خلق الله وتعملون على خيرهم.

والآن أقدّم لكم الحديث كله: عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

لا تَحاسدوا، ولا تَناجشوا، ولا تَباغضوا، ولا تَدابروا، ولا يَبِعْ بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئٍ من الشرّ أن يُحَقِّر أخاه المسلم. كلّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه ومالُه وعِرضُه. (مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله)

لا تؤذوا أحدًا

وَرَدَ في الشرط الرابع من البيعة أنّ على الأحمدي ألاّ يسبب لأحد أذى لا بيده ولا بلسانه ولا بأيّة وسيلة أخرى.

وسأشرح لكم الآن هذا الشرط على ضوء حديث رسول الله ﷺ الذي قرأته آنفًا:

ولْنُركِّزْ أولاً على: "لا تحاسدوا"، فإنَّ الحسد يتطور في النهاية إلى عداوة، لأنّ مَن يملأ الحسدُ قلبَه يفكر دائمًا في إيذاء الشخص الذي يحسده. فالحسد مرض يُهلِك الحاسدَ نفسه علاوة على إلحاقه الضرر بالمحسود. وإن منشأ الحسد أمور تافهةٌ عادةً، حيث يحسد الواحدُ غيرَه

لأنه أكثر منه علما أو مالا، أو لأن بيته أفضل من بيته، أو لأن أولاده أكثر كفاءة. أما النساء فتحسد إحداهنّ الأخرى بسبب حليّها مثلا، حتى أن البعض يتحاسد في أمور الدين أيضًا. فبدلا من أن يغبطوا بعضهم على صلاحهم وخدمتهم للدين، ويتسابقوا في الخيرات يحاولون عرقلة خدماتهم، برفع الشكاوى الباطلة ضدهم.

قد تَحْدُث الشجارات حول أشياء تافهة، فنرى أحيانًا أنه إذا منع مسؤول طفلاً من شغبه المتكرر في اجتماع للجماعة وحذّره بشيء من الشدة إذا كرّر فعلته، شمّر والده الجالس بقربه فورا عن ساعديه، وأهان المسؤولَ. إنّ أمثال هؤلاء الآباء لا يخالفون بعملهم هذا شرطًا من شروط البيعة، ولا يفسدون أخلاق أولادهم فحسب، بل يقللون أيضا في أذهان ذرياتهم من احترام نظام الجماعة وتمييزَ العمل الحسن من السيئ.

ثم يعظنا الرسولُ الكريم ﷺ بقوله: "ولا تباغضوا". وعلينا الانتباه إلى أنّ العداوات قد تبدأ بأمور تافهة، فتُملأُ القلوب بالغيظ والحقد والكراهية. ويظلّ بعضُهم متربِّصًا دائمًا ببعض منتظرًا فرصة الانتقام منه. في حين أنّ موعظة الرسول الكريم لنا هي ألاّ نكنّ عداوة لأحد، وألاّ نسعى بمكرٍ ضدّ أحد.

لقد ورد في الحديث أن صحابيّا سأل رسولَ الله ﷺ ذات مرة أن ينصحه بكلمات وجيزة لا ينساها. فقال له الرسول الكريم ﷺ: لا تغضب، ثم قال له ثانية: لا تغضب. فحينما تترسخ في ذهن الإنسان

ضرورة اجتناب الغضب، فإنّ الحسد والمكر يتبدّدان تلقائيًا.

وهناك عادة أخرى تتعلّق بإيذاء الآخرين، أو بإفساد مشاريعهم وصفقاتهم التجارية، كالمزايدة على عقدٍ أُبرم بين طرفين. هذا الحديث الشريف يأمرنا أن نمتنع عن مثل هذه الأعمال، حيث يَعرضُ شخصٌ سعرًا أعلى للحصول على شيء ما، وذلك فقط من أجل إفساد وتخريب عملٍ أو تجارة شخص آخر، في حين لا يكون له ثمة ربح شخصيّ يتحقق من تلك الصفقة. وهذا ينطبق أيضا على خِطبة الرجل على خِطبة غيره، فعلى الأحمديين أن يحفظوا هذا التحريم في أذهانهم.

ثم يقول النبي ﷺ لا تظلموا ولا تنظروا إلى أحد باحتقار، ولا تهينوا أحدا. إذا كان الظالم والمضطهِد لا ينال قرب الله تعالى فكيف يمكن للمرء أن يدخل في عهد البيعة مع الإمام المأمور من الله تعالى لينال فضل الله ﷻ وهو يغصب حقوق الآخرين ظلما؟ أوْ لا يؤدي حقوق إخوته أو لا يعطي أخواته نصيبهن من الإرث، فقط لكونهنّ قد تزوجن في عائلة أخرى، خشية ألا تقع ممتلكات العائلة في أيدي الآخرين؟ وهذه العادة شائعة في القرى وفي المناطق الريفية. وهناك من يضطهدون زوجاتهم ولا يؤدون حقوقهنّ. وثمة زوجات لا يحترمن حقوق أزواجهن. وهناك الكثير من التصرفات من هذ القبيل التي ليست إلا ظلما. وتُشير كثير من هذه الأعمال إلى أن أصحابها يحقرون الآخرين ويعتبرونهم أذلاء مهانين. فكيف يمكنكم ارتكاب مثل هذه الأعمال في حين تزعمون أنكم قد بايعتم، وتزعمون أنكم تهجرون هذه الأعمال

الفاسدة المسيئة؟

ومن تعاليم الإسلام الواضحة حرمة احتقار المسلم أخاه المسلم. وكذلك إن دم المسلم وماله وعرضه حرام على مسلم آخر. فما دمتم تدّعون التمسك بالتعاليم الإسلامية أكثر من غيركم بعد قبولكم إمام الزمان، كيف يمكن أن يُقبل صدورُ مِثل هذه الأعمال منكم؟ وكيف يمكن أن تُعتبروا من جماعة المسيح الموعود عليه السلام والحال هذه؟

سوف أعرض عليكم الآن بعض الأحاديث التي توضّح كيف كان أصحاب الرسول ﷺ يتصرّفون وكيف أنّهم لم يتركوا هذه الأمور على عواهنها، وما هي التغييرات التي أحدثوها في نفوسهم بعد قبولهم الإسلام.

كان أبو ذر الغفاري يسقي على حوض له فجاء قوم فقالوا: أيّكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه؟ فقال رجل: أنا؛ فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقّه؛ وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له: يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال لنا: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع. (مسند أحمد، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه)

وفي حديث آخر يقول الراوي: دخَلْنا عَلَى عُرْوَةَ بن مُحَمّد ابنِ السّعْديّ، فَكلَّمَهُ رَجُلٌ فأَغْضَبَهُ، فَقَامَ فَتَوَضّأ ثمّ رَجَعَ وَقَدْ تَوَضّأ. فقالَ حدَّثني أَبي عن جَدّي عَطِيّة، قالَ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: إنّ الْغَضَبَ منَ الشّيْطَانِ، وَإِنّ الشّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النّارِ، وَإِنّما تُطْفَأُ النّارُ بالمَاءِ، فإِذَا

غَضِبَ أَحَدُكُم فَلْيَتَوَضّأْ. (مسند أحمد، حديث عطية السعدي ﷺ)

وفي حديث آخر:عَن زيادِ بنِ عِلاقَةَ عَن عمِّهِ قُطبة بن مالك قَالَ: كَانَ ﷺ يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من مُنكَرَاتِ الأخْلاقِ والأعمالِ والأهواءِ. (الترمذي، كتاب الدعوات باب دعاءِ أم سلمة)

والآن أقدّم لكم بيان المسيح الموعود في هذا الشأن، وماذا يَتوقّع من أفراد الجماعة. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"على أفراد جماعتي، أينما كانوا، أن يُصغوا إلي بانتباه. إنّ الهدف من انضمامهم إلى هذه الجماعة وتعهدهم معي بالولاء والطاعة هو أن يبلغوا أعلى مستوى في الأخلاق الحسنة والسعادة والتقوى، وألا يقتربوا من الفساد والشر، وسوء الخُلق في تصرفاتهم. وعليهم أن يؤدوا الصلوات الخمس جماعةً؛ ولا يتفوّهوا بكلمة كذب، ولا يؤذوا أحداً بلسانهم. عليهم ألا يُذنبوا بارتكاب رذيلة، وألاّ يخطر في بالهم مجرد فكرة بأيّ أذى أو ظلم أو فتنة. عليهم أن يجتنبوا كلّ شكل من أشكال المعاصي والجرائم ومن كل ما نهينا عنه من أهواءِ النفس والأفعال والأقوال والأعمال غير المشروعة. وعليهم أن يكونوا عباد الله عزّ وجلّ، طاهري القلوب، الحلماء المتواضعين. وعليهم ألا يسمحوا لأيّة بذرة سامّة أن تنموَ وتزدهر في تربة نفوسهم...

يجب أن يكون التعاطف مع الجنس البشري هدفهم الأول، وأن يتّقوا الله عزّ وجلّ ويخشوه. يجب أن يحفظوا ألْسِنَتَهم وأيديهم وأفكارهم من

كلّ نوع من الرجس، أو مما يُنافي الأخلاق. وعليهم أن يجتنبوا التمرّد أو الخيانة.

يجب عليهم إقامة الصلوات الخمس يومياً بغير انقطاع. ويجب أن يجتنبوا الظلم، والاعتداءَ والرشوة وغصب أموال الآخرين وهضم حقوقهم، والتحيّزَ والمحاباة. عليهم ألاّ يُشاركوا في أيّة صحبة فاسدة شريرة، ولو ثبت فيما بعد أنّ واحداً من الذين يجالسونهم لا يطيع أوامر الله..... أو لا يهتم بأداء حقوق العباد، أو أنه ظالم أو مؤذ، أو سيئ السلوك، أو يريد أن يخدع عباد الله باستمراره في بذاءة اللسان وسلاطته وسوء الكلام والبهتان والافتراء ضد الشخص الذي عقدتم معه عهد البيعة والطاعة، فمن واجبكم عندها أن تزيلوا هذه السيئة من بينكم وأن تعرضوا عن مثل هذا الشخص الخطر. ولا تهمّوا بإيذاء أي شخص من أي دين أو قوم أو جماعة، وكونوا للجميع من الناصحين المخلصين. واحذروا أن يكون أيُّ مؤذٍ أو فاسد أو شرير أو متمرِّد فاسق أو سيئ السلوك واحداً من أصحابكم أو المقيمين بينكم؛ لأنّ مثل هذا الشخص يمكن أن يكون سبب عثاركم في أيّ وقت...

هذه هي القضايا والشروط التي ظللت أحثّكم عليها منذ البداية، ومن واجب كلّ فرد من جماعتي أن يعمل بهذه الوصايا كلها. ويجب ألا يجد السلوك السيئ والسخرية والاستهزاء طريقا إلى مجالسكم. امشوا على الأرض بقلوب طيبة، وطبائع نزيهة، وأفكار نقية. اعلموا أنه ليس كلّ

شرّ جديراً بالمواجهة، لذلك عليكم أن تعوّدوا أنفسكم على العفو والصفح في معظم الأحيان، واتخذوا من الصبر والحلم منهجًا لكم.

لا تُهاجموا أحداً بغير وجه حق، وكونوا مسيطرين على انفعالاتكم سيطرة كاملة. وإذا دخلتم في نقاش أو بحث دينيّ، فيجب أن يكون حواركم متسما بلطف وأسلوب حضاري. وإذا أساء إليكم أحد فانسحبوا من مثل ذلك المجلس بإلقاء السلام عليه.

إذا ما اضطُهدتم أو شُتمتم، فاعلموا أنّ عليكم ألا تُقابلوا الحماقة بالحماقة، وإلا فإنّكم ستكونون مثلهم. يريد الله عزّ وجلّ أن يجعلكم جماعة تكون أسوة في الصلاح والصدق للعالم كلّه.

سارِعوا، إلى إبعاد كلّ من هو مثال للشر والأذى والاستفزاز والسلوك السيئ من صحبتكم. إنّ مَن لا يستطيع الإقامة بيننا بالتواضع والصلاح والتقوى والحلم ولطيف الكلام وحسن الطبع والسلوك، فعليه أن ينفصل عنّا بسرعة، لأنّ الله لا يريد أن يبقى مثل ذلك الشخص بيننا، وسيموت هذا في بؤس وشقاء لعدم التزامه بسبيل الصلاح. ولذلك فاحذروا! وكونوا طيّبي القلب متواضعين أتقياء حقاً. ستُعرفون من خلال التزامكم بالصلوات الخمس ومن الحالة الأخلاقية العالية. ومن كانت فيه بذرة الشرّ فلن يقدر على الالتزام بهذا الشرط". (مجموعة الإعلانات، المجلد ٣، ص ٤٦-٤٨ إعلان ٢٩ أيار ١٨٩ ص ٢)

ويزيد المسيح الموعود عليه السلام في بيانه فيقول:

"على الإنسان ألاّ يتباهى بنفسه وألا يكون وقحا أو مسيئا إلى

المخلوقات. عليه أن يتعامل معهم بالحب والحسنى، وألاّ يكنِّ نيّة سيئة تجاه أحد لأسباب شخصية. عليه أن يتصرّف بالشدة أو بالرفق بحسب ما تتطلبه المناسبة أو الظروف". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد الخامس، ص ٦٠٩)

عليكم بالحلم والتواضع

يقول المسيح الموعود عليه السلام عن الحلم والتواضع:

"... توبوا قبل أن يأتي عقاب الله فيُغلق باب التوبة دونكم. لماذا لا يخشى الناسُ قوانينَ الله في حين أنّهم يخافون قوانين هذا العالم؟

عندما تَحل المصائب، فلا بد من تحمُّلها. وعلى كلّ واحد أن يسعى لينهض للتهجد ويدعو دعاءَ القنوت في الصلوات الخمس أيضًا. توبوا من كلّ ما قد يجلب عليكم غضب الله. والتوبة تعني التخلّي عن جميع السيئات وعن كلّ ما يناقض رضا الله تعالى، كما أنها تعني العمل على إحداث تغيُّر حقيقي والمضي قُدما والالتزام بسبل التقوى والصلاح. وفي هذا تكمن رحمة الله تعالى.

يجب أن تهذبوا عاداتكم واجتنبوا الغضب مستبدلين إيّاه باللّطف والحِلم والتواضع. وبالإضافة إلى الالتزام بالأخلاق الحسنة عليكم أن تُعطوا الصدقات أيضا قدر المستطاع. يقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرا﴾(الدهر: ٩)

أي سعيًا للحصول على رضا الله، يُطعمون الفقراء والأيتام

والمحتاجين، مؤمنين بأننا نقوم بهذه الأعمال فقط لوجه الله ﷻ، ونخاف شرّ ذلك اليوم المريع.

فأقول لكم باختصار: ادعوا وتوبوا، واستمرّوا في أداء الصدقات، كي يعاملكم الله بفضله ويرحمكم".

(الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد الأول، ص ١٣٤-١٣٥)

ثم يقول عليه السلام:

"أيها الأحبة، تمسكوا بهذا الأصل، عامِلوا الناس برفق، فالرفق يزيد الإنسان فطنة، والحِلم يعمِّق التفكير. ومن لم يلتزم بهذا المبدأ فليس منّا. ومن لا يستطيع من جماعتنا تَحَمّل السبّ والفظاظة من قِبل خصومنا فيمكنه اللجوء إلى المحاكم. ولكن لا يليق به أن يردّ على الفظاظة بمثلها، وأن يثير الخصام. تلك هي الموعظة التي وَعَظْنا بها جماعتنا؛ وإننا نتبرأ ممن لا يؤمن بها ونُعلن أنّه ليس من جماعتنا". (مجموعة إعلانات، المجلد ٢، ص ٤٧٢)

الشرط الخامس

"أن يكون (المبايع) وفيًّا لله تعالى وراضيًا بقضائه في جميع الأحوال: حالة التَرَح والفَرَح، والعسرِ واليسر، والضنكِ والنعم؛ وأن يكون مستعدًّا لقبول كل ذلة وأذى في سبيله تعالى، وألا يُعرِضَ عنه ﷻ عند حلول مصيبة، بل يمشي إليه قُدُمًا ."

يقول تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٨)

يقول المسيح الموعود عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة: "أي أن أفضلَ الناس مَن يتفانون في ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويشترون رضوانه بنفوسهم؛ وهؤلاء هم الذين تشملهم رحمةُ الله..... يقول الله في هذه الآية إنما ينال النجاةَ من كل الآلام مَن يبيع نفسه في سبيلي ونيل مرضاتي، ويُثبِت ببذل نفسه أنه صار لله تعالى، ويرى أنه لم يُخلق إلا لطاعة الله وخدمة المخلوق". (فلسفة التعاليم الإسلامية، الخزائن الروحانية ج١٠ ص ٣٨٥)

ثم يقول عليه السلام: "إن عبد الله المحبوب يفدي نفسه في سبيله تعالى ويشري بها مرضاته ﷻ. أولئك هم الذين يخصّهم الله برحمته الخاصّة."

(فلسفة التعاليم الإسلامية، الخزائن الروحانية ج١٠ ص٤٣١)

ثم يقول عليه السلام: "ومن الناس من يبيعون أنفسهم آملين أن يرضى الله عنهم...". (بيغام صلح (أي رسالة الصلح)، الخزائن الروحانية ج ٢٣ ص ٤٧٣)

ولقد بشّر الله أمثالَ هؤلاء الناس، بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٨-٣١). والذين يُسْلِمون أنفسهم لإرادة الله، ويتحملون في سبيله تعالى كلّ مشقة وبليّة، فلا يتركهم الله من غير جزاء مطلقًا. هناك الكثير بيننا ممن هم ضعفاء فتصدر منهم أخطاء كثيرة ويرتكبون الذنوب، ولكن إذا ما روّضنا أنفسنا على الإذعان لمشيئة الله والتسليم لإرادته تعالى، وإذا ما كنّا مستعدّين دائمًا لتحمل كل مصيبة في سبيله فعلا، و لم نكن مثل النساء الناحبات اللاتي يُعْوِلن عاليًا عند أدنى مصيبة، فالله تعالى يبشر في القرآن الكريم مثل هؤلاء الصابرين.

معاناة المسلم كفّارة عن خطاياه

"عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ. (البخاري، كتاب المرضى باب مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ الْمَرَضِ)

في حديث آخر: عن صهيب بن سنان، قال قال رسول الله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه خير. وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيرًا له وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيرا له". (مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير)

في بعض الأحيان يبتلي الله عبده بأولاده. ويكون عويلٌ مفرط عند موتهم، وخاصّة بين النساء. والحمد لله الذي منح الجماعة الإسلامية الأحمدية أمهات صابرات وراضيات بمشيئة الله ﷻ، ولكن في بعض الأحيان تصلنا الشكاوي أيضا وخاصّة من قبل قليلي الثقافة، ولقد شهدتُ في الواقع أيضًا بعض الحالات حيث يتفوه المثقفون أيضا بكلمات فيها جحود.

يجب الانتباه إلى الحديث الذي يذكر عهد البيعة الذي كان يأخذه سيدنا رسول الله ﷺ من الصحابيات، يقول الحديث: حدثني أسيد بن أبي أسيد، عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أَخذ علينا رسولُ الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه، وألا نخمش وجهًا، ولا ندعو ويلا، ولا نشق جَيْبًا، وأن لا ننشر شعرًا. (أبو داود، كتاب الجنائز باب في النوح)

الصبر عند الصدمة الأولى

عن أنس بن مالك ﷺ قال: مَرّ النبيُّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: 'اتقي الله واصبري' قالت: إليك عني، فإنّك لم تُصب بمصيبتي. ولم

تعرفه، فقيل لها: إنّه النّبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى. (البخاري، كتاب الجنائز باب زيارة القبور)

وهناك أمر مهم آخر في الشرط الخامس من البيعة وهو أن يظلّ المبايع ثابتًا وراسخًا مهما اشتدّت به الظروف، ومهما طال به زمن الصعوبات، ومهما برزت له مغريات الدنيا، ومهما كانت الفوائد من النشاطات الدنيوية متنوعة ماثلة أمامه، ومها كانت المغريات من القوى الدنيوية قوية تحرضك على أن تخوض في بعضها أو تقوم بنوع معين من التجارة يدر عليك أموالا طائلة فتتحسن أحوالك المادية، ثم تتبرع أيضا للجماعة وتقوم لها بخدمات أخرى، ومن جانب آخر تبقى أحمديا أيضا فلا بأس في ذلك. فإنّ كلّ هذه فتن دجالية تبعدكم عن الله تعالى وعن الجماعة. فقد قال المسيح الموعود عليه السلام بأنه يجب أن تتجنبوها ما دمتم قد بايعتم، ولا تُضلنّكم هذه المغريات. حافظوا على إخلاصكم لله تعالى. فلو خضعتم له سبحانه وتعالى لكنتم من جماعتي حقا، ولنلتم ما نويتم. وفي هذا الصدد هناك موعظة جميلة من الرسول الكريم ﷺ وهي كما يلي:

"عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: كنتُ خَلْفَ النبيّ ﷺ يومًا فقال: يا غُلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كلمات: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّهِ؛ وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد

كَتَبَهُ اللّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. (الترمذي، أبواب صفة القيامة)

وفي رواية أخرى: "احْفَظِ اللَّهَ تَجدْهُ أمامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللّه في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أنَّ ما أخْطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ، وَمَا أصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. وفي آخره: وَاعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسرًا. (رياض الصالحين، باب المراقبة)

لم يفعل رسولُ الله ﷺ شيئًا مغايرًا لرضا الله ﷻ، ومع ذلك فقد كان يدعو الله بحماس بالغ لينال رضاه ﷻ.

عَن مُحمّدِ بنِ إِبْرَاهيمَ التّيْميّ أَنّ عَائشَةَ قالَتْ: كُنْتُ نَائمَةً إلى جَنْبِ رَسولِ الله ﷺ فَفَقَدْتُهُ منَ اللّيْلِ فَلَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى قَدَمَيْه وَهُوَ سَاجدٌ وهُوَ يَقولُ: أعُوذُ برِضَاكَ منْ سَخَطكَ، وَبمُعَافاتكَ منْ عُقُوبَتكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِك. (الترمذي، كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد)

وجاء في حديث آخر:عن عبد الوهاب بن الورد عن رجل من أهل المدينة، قال:

كَتب معاوية إلى عائشة أن اكتبي إليّ كتابا توصيني فيه ولا تكثري عليّ قال: فكَتبتْ عائشة إلى معاوية: سلام عليك. أما بعد فإني سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: من التمس رضا اللّه بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط اللّه وَكَلَه اللّه إلى الناس والسلام عليك. (الترمذي، كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان)

أنتم آخر جماعة أسّسها الله تعالى

كتب المسيح الموعود عليه السلام وهو ينصح جماعته في صدد البقاء على صلة وطيدة للوفاء بالله تعالى:

لا بدّ أن تمتحنوا بأنواع من الحزن والمصائب كما امتحن المؤمنون قبلكم. فانتبهوا جيدا حتى لا تتعثّروا!! إن الأرض لا تقدر على أن تلحق بكم ضررا إن كنتم على صلة متينة مع السماء. كلّما تعرّضتم لضرر فإنما هو بأيديكم أنفسكم وليس بأيدي الأعداء. ولو زالت كرامتكم الأرضية كلّها لوهب الله لكم كرامة في السماء لا تزول أبدا. فلا تخذلوه. ولا بد من أن تؤذوا وتحرموا من كثير من أمانيكم. فلا تقلقوا في هذه الظروف لأن إلهكم يبتليكم فيما إذا كنتم صامدين في سبيله أم لا. فإذا كنتم تحبون أن يمدحكم الملائكة أيضا في السماء فتحمّلوا الإيذاء وابقوا سعداء فرحين. اسمعوا الشتائم واشكروا الله، واجهوا أنواع الخيبة والخسران ولا تقطعوا الصّلة. إنكم جماعة الله الأخيرة، فقوموا بأعمال صالحة تكون قمّة في كمالها. كل من يتكاسل فسوف يُطرد من الجماعة كشيء رديء وسوف يموت حسرةً، ولن يضرَّ اللهَ شيئًا. ألا إني أخبركم بكل حبور أن إلهكم لموجودٌ حقًا وإن كان الكُلّ من خلْقه لكنه يصطفي مَن يختاره عزّ وجلّ ويأتِي إلى من يأتيه ويُكرم من يعظمّه. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٥)

ثم يقول حضرته:

"ينبغي علينا أن نُرضي الله تعالى. وهذا يتطلّب الإخلاص والصدق والوفاء، ويجب ألا تكون جهودنا مقصورة على الكلام فقط. عندما يرضى الله عنّا فإنه يُبارك أعمالَنا وشؤوننا ويفتح أبواب فضله وبركاته... ليس من السّهل عبور هذه البوابة الضيّقة، بوابة الصدق والإخلاص والوفاء. لا يمكننا مطلقًا أن نتباهى أننا نتلقى رؤى أو إلهامات ثم نجلس عاطلين ممتنعين عن بذل الجهود. إنّ الله ﷻ لا يحب ذلك". (جريدة "بدر"، المجلد ٣، العدد ١٨-١٩، أيار ٨- ١٦، ١٩٠٤ ص ١٠)

ثم يقول عليه السلام:

"كلّ مؤمن صادق يمرّ في مثل هذه الظروف. وإذا ما صار لله بكلّ الإخلاص والوفاء، فإنّ الله يصير وليّه. وأمّا إذا كان ضعيفَ الإيمان، فإنّ ثمة أخطارًا تتربص به. ليس لنا علم بأسرار قلوب الناس... ولكن أيّ عبد يكون خالصا لله فإنّه يحظى بحفظه وحمايته. وبالرغم من أنَّ الله هو ربّ كلّ إنسان، ولكنه يتجلّى خصوصًا لأولئك الذين يُسلمون أنفسهم له ﷻ. وأن يُسلم المرءُ نفسَه لله يعني أن يفني نفسه كليًّا، وألا يبقى منها شيء. لذلك فإنني أُخبر أفرادَ جماعتي مرّة بعد أخرى: بأنّ عليهم ألاّ يتباهوا ببيعتهم. فإذا لم تتطهر القلوب فلا فائدة من مجرّد وضع أيديهم في يدي... ولكنّ الذي يعقد عهدًا صادقًا، تُغفر له خطاياه الكبيرة أيضا، ويحظى بحياة جديدة ". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد الثالث، ص ٦٥)

المنتمون إلى المسيح الموعود عليه السلام لا يمكن أن يُفصلوا عنه

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

فإذا كان منكم مَن لا يريد السير معي فلينفصل عني. إني لا أدري كم سأقطع من الغابات المخيفة والبراري الشائكة، فلِمَ يُرهق أصحاب الأقدام الناعمة أنفسهم معي عبثًا؟ إن الذين هم مني فلن يخذلوني أبدًا بسبب السباب والمصائب والمحن والبلايا السماوية، أما الذين ليسوا مني فهم يدّعون بصداقتي عبثًا، لأنهم سيُفصَلون عني عن قريب، وسيكون مآلهم أسوأَ من حالهم. هل نخشى الزلازل، وهل ينتابنا الخوف من الابتلاءات في سبيل الله؟ وهل يمكن أن نُفصَل عن الله بسبب أيّ ابتلاء يأتي من إلهنا الحبيب؟ بالتأكيد لا، ولكن لن ننجح في ذلك إلاّ بمحض فضله ورحمته. فليغادر من يريد المغادرة فوداعا له. ولكن عليهم أن يتذكروا أنهم بعد ظنهم السيئ، وقَطْعِ العلاقة، إذا ما رغبوا في الرجوع إليّ ثانية، فإنّ هذا الميل لن ينال ذلك الإكرام من الله تعالى كما يُكرَم الأولياء، لأنّ وصمة الظنّ السيئ (بالله تعالى) وخيانته إنما هي وصمة شنيعة جدا. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٣-٢٤)

الوفاء الكامل والثّبات

منذ مئة عام أظهر رجلان من الجماعة الإسلامية الأحمدية ثباتًا ووفاء مثاليين. وأبدَيا إخلاصا مثاليا في الوفاء بهذا العهد. فقد تمّ إغراؤهما بشتى المغريات لينبذا عهد البيعة، إلاّ أنَّ هذين البطلين الثابتين لم يأبها قط بتلك

المغريات، وظلاّ مخلصَينِ لعهدهما. ولقد أشاد بهما المسيحُ الموعود عليه السلام أيما إشادة. إنهما الشهيدان صاحبزادة سيد عبد اللطيف، و عبد الرحمن خان رضي الله عنهما.

أقدّم لكم الآن مقطعًا من كلام المسيح الموعود عليه السلام يتحدّث فيه عنهما رحمهما الله، فيقول:

"فكِّروا بإيمان وعدل، كيف يمكن لجماعة قائمة على الغش والكذب والخداع - كما يُزعم - أن يتحلى أفرادها بذلك الثبات وتلك الشجاعة، حيث يرضون بأن يُقتلوا رشقًا بالحجارة غير آبهين بأهلهم وأولادهم مطلقًا، ويفدون بأرواحهم بهذه البسالة، ولا يحيدون عن هذا الطريق رغم الوعود المتكررة بإطلاق سراحهم بشرط فسخ البيعة. كذلك قد ذُبح الشيخ عبد الرحمن في كابول، ولكنه لم يحتجّ و لم يتوسل لأحد بإطلاق سراحه مقابل فسخ البيعة. وهذه هي آية الدين الحق والإمام الصادق، فعندما تتيسر للمرء معرفتهما الحقيقية، ويُشرَب قلبُه وروحُه حلاوة الإيمان، فلا يخاف القتل في هذا السبيل. أما الذين يكون إيمانهم سطحيا فقط و لم تسرِ حلاوة الإيمان في كيانهم، فيمكن أن يرتدّوا مقابل إغراء تافه مثل يهوذا الإسخريوطي. وهناك أمثلة كثيرة على هؤلاء المرتدين في حياة كلّ نبي. فالحمد لله أنَّ معي جماعة كبيرة من المؤمنين المخلصين، وكلّ واحد منهم بمنـــزلة آية لي. وهذا من فضل الله ونعمته. "ربِّ إنّك جنَّتِي، وَرَحمتُكَ جُنَّتِي، وآياتُكَ غِذائي، وَفَضلُكَ

رِدائي". (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢ ص ٣٦٠-٣٦١)

إنّ تاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية على مدى مئة السنة يشهد أنّ مثل هذه الأمثلة للإيمان والإخلاص كانت ولا تزال تتكرَّر باستمرار. لقد تحمل أفراد الجماعة خسائر في الأرواح والممتلكات، واستُشهد كثير منهم. فقد قُتل الأولاد أمام أعين الآباء والآباءُ على مرأى من أولادهم، فهل ترك الله تعالى تلك الدماء المهراقة دون الجزاء؟ كلا! فلقد أنـــزل رحمته على ذرّياتهم أكثر من ذي قبل. والكثير من الحاضرين هنا، أو المنتشرين في بلاد عديدة قد شاهدوا ذلك بأم أعينهم. بل أكثرهم ورثوا تلك النِّعَم والبركات. هذه هي تيجة الإخلاص والوفاء اللّذين أبديتموهما لله، والطريقة التي حافظتم بها على عهد البيعة والديهم، وقُتل الآباء على مرأى من أولادهم. فهل ترك الله - الذي هو الأعظم في مجازاة الإخلاص - الذي قطعتموه مع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

ولكن يجب ألا تنسوا عهد البيعة هذا حين يأتي وقت الرخاء، ولا تدَعوا أجيالكم القادمة أيضا تنساها. كونوا أوفياء مع إلهنا الحبيب دومًا، كي تبقى نعمه وبركاته مستمرة في النـــزول على ذرياتكم. أورثوا ذرياتكم صلة الوفاء والإخلاص هذه.

الشرط السادس

يتعهّد المبايع: "أن يكُفَّ عن اتِّباع التّقاليد الفارغة والأهواء النفسانية والأماني الكاذبة، ويخضع لسلطة القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذَ قولَ اللهِ وقولَ الرسول دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته."

هنا يطلب المسيح الموعود عليه السلام أن تعقدوا معي عهد البيعة على ألا تتّبعوا العادات والتقاليد غير الإسلامية التي أضافها الناس إلى عقيدتهم بسبب أثر البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها. لقد تمَّ تبنّي تلك العادات بتأثيرٍ من أديانٍ ومعتقدات أخرى. فمثلا، ثمّة عادات تافهة طائشة تتجلّى أثناء احتفالات الزواج - مثل التباهي بإظهار الأقمشة الفاخرة والأشياء التي تعطيها عائلة العريس للعروس، أو إظهار جهاز العروس. إنَّ الإسلام يوصي بإعلان المهر عند عقد القران فقط. أمّا سائر التقاليد الأخرى فهي عبث تافه.

والغاية من إظهار كلٍّ من طرفي الزواج جهازَ العروس وغيرها من الأشياء علانيةً هي رغبة الأثرياء في التباهي والرياء بأنهم قد أعطوا

أولادهم أكثر مما أعطى نُظراؤهم لأولادهم عند زواجهم. وهذا كلّه تنافس وتفاخر ورياء ليس إلا.

هناك كثير منكم الذين قد منّ الله تعالى عليهم بأفضاله الكثيرة ورزقهم سعة من المال بعد مجيئهم إلى هنا مهاجرين. وإنَّ ذلك لإحدى بركات الانضمام إلى جماعة المسيح الموعود ؏، ونتيجة للتضحيات التي قدّمها آباؤكم والأدعية التي قاموا بها في حضرة الله. ولكن بعضًا منهم - بدلا من أن يسجدوا لله شاكرين على أفضاله ونعمه وينفقوا في سبيله - يصبحون فريسةً لتعظيم أنفسهم وضحيةً للتباهي بالتبذير والإسراف في الزيجات.

يُهدر كثير من الطعام في ولائم الزواج، والكثير من الأطباق تُحَضّر للرياء فحسب. ونتيجة لذلك فإنّ الآباء من غير الموسرين يضطرّون للاقتراض كي يؤمِّنوا جهازًا كبيرًا للرياء. ومن ناحية ثانية إن آباء البنات يستقرضون ليعطوهن جهازا كبيرا خوفًا من انتقادات أفراد عائلة الأنسباء، ولئلا يُقال إنَّ بناتهم لم يجلبن معهنّ جهازا كبيرا. يجب على عائلة العريس أن تخشى الله ولا تُكره عائلة العروس على الاستدانة للحفاظ على أنانيتهم الزائفة. فكيف تتصرفون هكذا بعد إعلانكم الانضمام إلى جماعة المسيح الموعود ؏ والعمل بشروط البيعة العشرة بكلِّ ما فيها من عهود؟

لقد بيّنت باختصار تقليدا واحدا يُمارس أثناء الزواج. ولو شرحت الموضوع أكثر لظهرت للعيان أمثلة مخيفة تسفر عن نتائج رهيبة فيما

يتعلق بتقاليد الزواج.

عندما تتوسع دائرة التقاليد الشائعة فإنّها تُعمي ضحيتَها، وتجعلها تسقط كلّيًا وبالتدريج في قبضة الرغبات الشهوانية في حين يتعهّد المبايع أنه سينتهي عن اتّباع التقاليد والعادات والأهواء والأماني الكاذبة وسيكون خاضعًا لسلطان الله تعالى والرسول الكريم ﷺ.

ماذا يتوقّع الله ورسوله منّا؟ والجواب هو أن نهجر العادات التافهة وأن نلتزم بأوامر الله ﷻ. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص ٥١)

لقد أمر الله في هذه الآية أمرًا واضحًا يجب أن يجعلنا خائفين لأن الذين يتّبعون أهواءهم لن يهديهم الله أبدًا.

فمن ناحية ندعي أنّنا قد عرفنا إمام الزمان وقبِلناه، ومن ناحية ثانية ما زلنا متمسكين بجميع العادات والأهواء الكاذبة بالرغم من عهدنا في البيعة على يد الإمام أننا سنتخلى عنها. على كلّ واحد منّا أن يتفحّص نفسه متفكّرًا: هل نحن نتقهقر بخطواتنا؟ فإذا ما كنّا مخلصين لعهد البيعة ونخاف ربّنا، ونجتنب أهواءنا وشهواتنا، فإننا نتوب إلى إلهنا الحبيب ونحمده، وهو يبشرّنا بالجنة. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات ٤١- ٤٢)

والآن سأقدّم لكم بعض الأحاديث المتعلّقة بالطقوس والعادات:

"عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد". (البخاري، كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور)

وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوتُه واشتدّ غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبّحكم ومسّاكم. ويقول: بعثتُ أنا والسّاعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: أما بعد، فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها. وكلّ بدعة ضلالة. (مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة)

وعن عمرو بْن عوف المزنيّ. قال حَدَّثني أَبِي، عَنْ جدي: أَن رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: من أحيا سنّةً من سنّتي فعمل بِهَا النَّاس، كَانَ لَهُ مثل أجر من عمل بِهَا لاَ ينقص من أجورهم شيئًا. ومن ابتدع بدعة فعمل بِهَا، كَانَ عَلَيْهِ أوزار من عمل بِهَا لاَ ينقص من أوزار من عمل بِهَا شيئًا. (ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب من أحيا سنة قد أميتت)

يجب نبذ البدع والتقاليد

وباختصار، فلقد أخبرَنا النبي ﷺ في الأحاديث المذكورة آنفًا أنّ تلك البدع التي لا علاقة لها بالإيمان، والتي تُبعد المرء عن الإيمان، والتي تمثل استخفافا بأوامر الله ورسوله، لجديرة جميعها بالنّبذ والرد، ولا فائدة منها

ويجب اجتنابها. أبعدوا أنفسكم عنها، ولا تقربوها لأنها تُفسد الإيمان تدريجيًا، كما رسّخت البدع أقدامها في الأديان الأخرى فأفسدتها، وكان هذا مقدّرًا حدوثه، لأنه كان من المقدّر للإسلام أن يبقى هو الدِّين الحيّ الوحيد. ولكنكم إذا ما تفكرتم في الأمر جيدًا فستجدون الأديان الأخرى-كالمسيحية مثلا مع أنها ديانة معروفة- قد تسرَّبت فيها عادات محلية على اختلاف البقاع والبلاد وباتت جزءًا منها. ونشاهد مظاهرها في أفريقيا بشكل واضح. فعندما يُفتح باب البدع، تتسرب إلى الدين بدعات متجددة.

ولقد حذّر الرسول الكريم ﷺ المبتدعين بشدة، وكان ﷺ شديد القلق تجاه هذا الموضوع. فقد ورد في الحديث: إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى. (مسند أحمد، حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه)

أنتم تعيشون، هذه الأيام، في مجتمعات غربيّة يسودها الكثير من العادات والتقاليد الخاصة بها التي من شأنها أن تبعدكم من الدين، وهي تحجب جمال التعاليم الإسلامية. إنّ لبريق الأمور الدنيوية جاذبية أكثر بكثير فتبهر الأبصار؛ ولذا فثمة حاجة لِحَذَرٍ شديد لدى كلّ خطوة. فبدلا من تبنّي عاداتهم الخاطئة، علينا أن ننشر تعاليم الإسلام الجميلة. يجب أن تكون لكل أحمدي شخصية قوية بحيث لا تؤثر فيه الثقافة الغربية تأثيرًا سلبيًا بأيّ شكل كان. فعلى النساء مثلا الالتزام بالحجاب بحسب التعاليم الإسلامية، وفي ذلك يكمن احترامهن ومكانتهن البارزة

في المجتمع. وعندما تلتزم امرأة بالحجاب طواعية وتخبر بنفسها عن فوائد هذا التعليم الإسلامي، بدلا من أن يذكرها الرجال، فسيكون لها أثر أكبر بكثير. النسوة اللواتي يلتزمن بالحجاب يحصلن على فرَص أكثر بكثير للتبليغ بناء على بروزهن الفريد في المجتمع. إن هذه القضية تتطلب انتباهًا كبيرًا.

وهناك كثير من الشرور الأخرى في المجتمع الغربي. فإن تبنّيكم إياها متعذرين بأنكم مضطرون لذلك لكونكم تعيشون في هذا المجتمع هو حقًا حالة باعثة على القلق. فأنت تخطئ مثلا حين تصادق شخصًا يتعاطى المسكرات، وتصحبه إلى مطعم أو حانة قائلا في نفسك: هو يشرب الكحول ولكنني سأشرب القهوة أو شرابا آخر، فلا بد من أخذ الحذر إلى أقصى الحدود. فقد تتأثّر به يومًا ما فتحاول شرب جرعة واحدة فقط، ثم، لا سمح الله، يصير الشرب عادة لديك. تذكّروا دائمًا الحديث التالي، واحفظوه في أذهانكم:

عن أبي برزة عن النبي ﷺ قال: إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى. (مسند أحمد، حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"ما لم يَسْعَ الإنسان حقًّا ويعمل جاهدًا، لا يستطيع الحصول على كنـــز المعرفة الإلهية التي يتضمنها الإسلام والتي تجلب موتًا على الحياة الملوثة بالخطيئة والتي يرى بها الإنسان ربه ويسمع صوته. يقول الله عز وجل

بكلّ وضوح: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات ٤١-٤٢)

من السهل على المرء أن يتفاخر ويتباهى بأنّه يؤمن بالله ثم يكون بالرغم من هذا الزعم، مفتقرًا كلّيًا إلى الأثر الذي يُحدثه الإيمان الحقيقي. إنّ مثل هذا الزعم يكون مجرّد كلام فارغ لا قيمة له. فليس لدى أمثال هؤلاء الناس اعتبار لله، والله لا يأبه بهم. (جريدة "الحَكَم"، المجلد التاسع، العدد ٢٩، آب ١٧ عام ١٩٠٥ ص ٦)

ثم يقول عليه السلام:

فالمراد من نهي النفس عن الهوى هو التفاني في الله. الأمر الذي من خلاله يفوز الإنسان برضا الله سبحانه وتعالى وينال الجنة في هذا العالم". (جريدة بدر، المجلد الأول، آب ٣، ١٩٠٥، ص ٢)

القرآن الكريم دليلنا إلى التعاليم الإسلامية

إنّ اجتناب العادات والتقاليد والأهواء النفسانية جزء من التعاليم الإسلامية. وإن مرشدنا لفهم هذا التعليم هو القرآن الكريم. وحقيقة الأمر أنه إذا ما تبنّى المؤمنُ القرآنَ الكريم كمصدر للهداية في حياته اليومية، فإنّ جميع شروره ومفاسده ستبدأ بالاختفاء بشكل تلقائي، وسيخلو قلبه من الرغبات الشهوانية لأنّه سيتطهّر بهذا الكتاب المقدس الذي أنــزله اللهُ عز وجلّ على قلب محمد صلى الله عليه وسلم النقيّ محيطا بجميع جوانب الحياة الإنسانية ومكمِّلا الشريعة. ثمّ شرح الرسول صلى الله عليه وسلم تلك التعاليم وفسّرها من خلال ممارساته

وأفعاله وأقواله كلّما دعت الحاجة إلى ذلك. وذلك هو السبب الذي حدا بالمسيح الموعود عليه السلام إلى أن يعلّمنا قبول القرآن بشكل كامل. ولذلك فإنني أريد تقديم شواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وبعض كتابات المسيح الموعود عليه السلام المتعلّقة بهذا الموضوع.

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٨)

وثمة حديث يقول:عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ. وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ أَوْ خَبِيثٌ وَرِيحُهَا مُرٌّ. (البخاري، كتاب فضائل القرآن باب إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكّل به أو فخر به)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "القرآن الكريم مفعم ببصائر عميقة من الحكمة. وهو يفوق الكتاب المقدّس في كل شيء وفي تعليم البر الحقيقي. وإنَّ السراج الذي يُري الإلهَ الحق الذي لا يتغير إنما يحمله القرآن وحده. والله وحده يعلم كم من الناس كانوا سيقعون ضحية لعبادة المخلوقات لو لم ينــزل القرآن. الحمد لله أنّ الوحدانية التي كانت قد اختفت من العالم قد أعاد الله تأسيسها من جديد".

(تحفة قيصرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢ ص ٢٨٢)

حياتكم في التمسك بالقرآن الكريم

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لا تتخذوا القرآن الكريم مهجورًا، لأنّ فيه تكمن حياتكم. إنّ الذين يعظّمون القرآن الكريم ويُكرمونه سيُكرَمون في السماء. والذين يفضّلون القرآن على كلّ حديث وقول سيُوهبون الأفضلية في السماء. ليس ثمة كتاب للبشر على وجه الأرض إلاّ القرآن؛ ولا رسول ولا شفيع لبني آدم إلاّ محمد ﷺ". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٣)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"يجذب القرآنُ الكريم أتباعَه الصادقين بخواصه الروحانية والنورِ الكامن فيه. فهو يُنير قلوبَهم، ثم يُظهر آياتٍ عظيمة ويؤسس صلة قوية مع الله لا يمكن قطعها بالسيف البتّار. فهو يفتح عينَ القلب ويغلق مستنقع الخطيئة القذر ويشرِّف ببركات المحادثة اللذيذة مع الله ويهب العلوم الغيبية ويُخبر الدّاعي بكلامه باستجابة دعواته. وكلّ من يعارض التابعَ الحق للقرآن الكريم، يُريه الله عزّ وجلّ أنّه مع عبده الذي يتبع كلامه".

(عين المعرفة، الخزائن الروحانية ج ٢٣ ص ٣٠٨-٣٠٩)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"كونوا حذرين، ولا تخطُوا خطوةً واحدة خلاف تعليم الله وهدْي القرآن. أقول والحق أقول لكم إن مَن يُهمِل أبسطَ حُكمٍ من أحكام

القرآن السبعمئة فإنه يسدّ على نفسه باب النجاة بيده. إن القرآن قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلاّ ظلاله. لذلك فاقرؤوا القرآن بالتدبر، وأحِبّوه حبًّا جمًّا، حبًّا ما أحببتموه أحدًا، لأن الله قد خاطبني قائلا: "الخير كله في القرآن". إِي وربي إنه لحقٌّ. فوا أسفًا على الذين يقدّمون عليه غيرَه.

إنّ مصدرَ فلاحكم ونجاتكم هو القرآن. وما من حاجة من حاجاتكم الدينية إلا وتوجد في القرآن. وإن القرآن سيصدِّق دعوى إيمانكم أو يكذِّبه يوم القيامة. ولا يستطيع كتاب غير القرآن - تحت أديم السماء - أن يهديكم بلا واسطة القرآن. لقد أحسن الله إليكم إحسانًا عظيمًا إذ أعطاكم كتابًا كالقرآن. أقول لكم صدقًا وحقًا بأن الكتاب الذي يُتلى عليكم لو تُلي على النصارى لما هلكوا, وإنّ هذه النعمة والهداية التي أوتيتموها لو أوتيها اليهود بدل التوراة لما كفر بعضُ فِرَقهم بيوم القيامة. فاقدروا هذه النعمة التي أوتيتموها. إنها لَنعمة غالية للغاية، وإنها لثروة عظيمة. فلو لا القرآن لكانت الدنيا كمضغة قذرة. إن القرآن هو الكتاب الذي لا تساوي الهدايات الأخرى مقابله شئيا. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٦-٢٧)

على كلّ واحد منا أن يحاسب نفسه إلى أيِّ مدى يحبّ القرآن الكريم ويطيع أوامره ويعمل على تطبيقها في حياته. ثمة طرق متنوعة لإظهار الحب. إنّ أهمّ شيء يجب على الأحمدي هو أن يُلزِم نفسه

بتلاوة، اثنين إلى ثلاثة ركوعات[٢] من القرآن الكريم، على الأقل كل يوم. ثم يأخذ الخطوة التالية ويقرأه مع ترجمة معانيه ومع قراءة القرآن الكريم يوميًا مع الترجمة، تترسخ تعاليمه الجميلة بشكل لا شعوري في الطبقات العميقة من العقل.

وثمة أمر آخر بيّنه المسيحُ الموعود عليه السلام في الشرط السادس من البيعة، وهو الالتزام بأوامر الله تعالى ورسوله كقانون للحياة في كلّ قضية، ووجوب الرجوع إليها كلّما دعت الحاجة. ولكن هذه الأمور لا تتم بمجرد ثرثرة لسان، بل إذا فكرتم في الإيفاء بهذا العهد بجديّة فلا بدّ أن يصيبكم قلق شديد، يقول ربنا عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ (النساء: ٦٠)

ويقول تعالى أيضًا: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)

ويقول أيضًا:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:٢)

في هذه الآيات، يأمرُنا الله تعالى أن نطيع أوامره بشكل جادّ، وأن

---

[٢] – يُقسم القرآن الكريم لتيسير تلاوته إلى ثلاثين جزءًا وكلّ جزء مقسّم إلى عدد من الركوعات تختلف بين جزء وآخر. (المترجم)

نطبقها ونمارسها بإخلاص. وعليكم أن تُبدوا الطاعة الكاملة لأمرائكم ولنظام الجماعة. عندئذ فقط يمكن القول إنكم قد وفّيتم بواجباتكم تجاه البيعة بصدق وإخلاص. وفيما يلي أقدّم لكم بعض الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع.

عن عبادة بن الصامت قال: بايعْنا رسولَ الله ﷺ على السمع و الطاعة في المنشط والمكره. (البخاري، كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمامُ الناسَ)

وعن العرباض بن سارية قال: صلّى بنا رسولُ اللّه ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فَوَعَظَنا موعظة بليغة ذَرَفَتْ منها العيون، وَوَجِلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول اللّه كأنّ هذه موعظة مودّعٍ، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى اللّه والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء المهديِّين الراشدين، تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ. (الترمذي، كتاب العلم باب ما جاءَ في الأخذ بالسنة، وأبو داود، كتاب السنة باب في لزوم السنّة)

نحن الأحمديين الذين ندعي بطاعة كاملة للنبي الكريم محمد ﷺ، ونُعلن إيماننا به يجب أن نضع هذه النصيحة وهذا الحديث في الاعتبار دوما.

عن أنس، عن النبي ﷺ قال: ثلاثٌ مَن كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان:

أن يكون الله ورسوله أَحَبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحِبّ المرءَ لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار. (البخاري، كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "انظروا! يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)

السبيل الوحيد للفوز بحب الله تعالى هو الطاعة الكاملة للنبي الكريم محمد ﷺ؛ وليس ثمة سبيل أخرى توصلكم بالله. يجب أن يكون هدفُ الإنسان النهائي دائمًا الاهتداءَ إلى الإله الواحد الذي لا شريك له. وعليه اجتنابُ الشِّرْك بالله والبِدعات وطاعةُ الرسول الكريم ﷺ، وعدمُ اتّباع أهوائه ورغباته الدنيا. اسمعوا! أقول لكم ثانية: لا يمكن للإنسان أن ينجح بأيّ طريق أخرى غير اتباعه الطريق الحقّ لمحمد رسول الله ﷺ.

ليس لنا إلا رسول واحد؛ ولم ينــزل عليه إلا قرآن واحد، وبطاعته يمكننا الاهتداء إلى الله عز وجل. إنّ جميع البدَع التي يمارسها الدراويش، والأذكار والتعازيم التي ابتدعها أهل الزوايا، إنما هي جميعها أدوات لإضلال الإنسان من الصراط المستقيم؛ فاجتنبوها. لقد حاول هؤلاء الناس أن يكسروا خَتْمَ خاتمَ النبيين ﷺ، وصَنعوا لأنفسهم شريعةً مختلفة.

عليكم أن تتذكروا أنّه لا مفتاح لِفتح باب نِعم الله وبركاته إلا الالتزام بتعاليم القرآن المجيد، واتّباع الرسول الكريم ﷺ، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان. ومخطئٌ مَن يبتدع طرقا أخرى تاركا هذه السبل. ألا إنّ

الذي لا يعمل بحسب أوامر الله تعالى ورسوله بل يبحث عن طرق أخرى للوصول إليهما سيموت خائبا خاسرا". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٣، ص ١٠٢- ١٠٣)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا: "يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)

الطريق الوحيدة لنيل رِضا الله عز وجل هي أن نطيع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم طاعة صادقة. نرى أنّ الناس أسيرون في طقوس وتقاليد متنوعة. عندما يموت شخص ما مثلا يلجأون إلى طقوس وبدعات مختلفة في حين كان عليهم أن يدعوا للمتوفّى. فإن هذه العادات ليست منافية لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم فقط بل تمثل أيضا الإساءة له صلى الله عليه وسلم، إذ هي تعني أنّ تعاليمه لا تُعَدّ كافية ونهائية، وإلا فلا حاجة لابتداع تلك العادات." (الملفوظات، المجلد ٣، ص ٣١٦)

ثم يقول عليه السلام: "هذه الحياة المؤقتة سوف تنتهي، سواء في الضيق أو في الرخاء والسّعة. ولكن مسألة الآخرة هي أمر صعب شديد الصعوبة. فهي الإقامة الأبدية التي لا تنقطع. فإذا رحل إليها الإنسان حين كان قد سوّى حسابه مع الله، وكان خوفُ الله قد تمكّن من قلبه وتاب وظل مجتنبا عن كلِّ ما سماه الله تعالى ذنبا، فإنّ فضل الله سيهديه. ولسوف يكون راضيًا عن ربّه، ويكون ربُّه راضيًا عنه. ولكن إنْ لَمْ يفعل الإنسان ذلك، وأمضى حياته في غفلة فستكون نهايته بائسة. لذا يجب أن تقرروا عن البيعة ما هو الهدف منها وما تزوِّدكم به من فوائد. فإذا

بايعتم من أجل أهداف ومقاصد دنيوية فقط، فلا فائدة منها. ولكن إذا كانت بيعتكم من أجل الدِّين ورضا الله فهي إذن مباركة ومصحوبة بأهدافها ومقاصدها الحقيقية تُرجى منها تلك المنافع والنتائج التي تُنال من البيعة الحقة." (الملفوظات، المجلد ٦، ص ١٤٢)

ندعو الله أن يُوفّقنا لقبول المسيح الموعود عليه السلام من الأعماق كإمام لهذا العصر. ويوفقنا أيضا لنصبح تلك الجماعة التي أراد تأسيسها لإقامة مملكة الله ورسوله في هذا العالم. وسعى لها بكل إخلاص وتركيز وَنَصَحَنا بذلك. وأن نحقق الوفاء الكامل لشروط البيعة. وندعو الله أن نعمل عليها ونجعلها أمام أعيننا دائمًا. فيجب ألاّ يصدر منا عمل يديننا بمخالفة تعليم من تعاليم المسيح الموعود عليه السلام. وندعو الله تعالى أيضا أن يوفقنا لمحاسبة أنفسنا باستمرار. نسأل الله تعالى العون في ذلك.

اليوم بعون الله تعالى، وبعد الدعاء ستنتهي هذه الجلسة. ندعو الله تعالى أن يوفقكم لتتمتعوا ببركاتها طوال السنة بل على مدى الحياة كلّها[٣]. وندعوه عز وجل أن يطوّر رابطة الحبّ لله ورسوله والمسيح الموعود عليه السلام والخلافة، ويهذّبها ويحفظها في قلوب أجيالنا القادمة وأن يستر أخطاءنا وتقصيراتنا الماضية، ويغفر لنا ويبقينا بخالص فضله ضمن جماعة أحبابه.

اللهمّ يا إلهنا! أنت الغفور الرحيم.. اغفر لنا خطايانا.. وارحمنا..

[٣] - الإشارة هنا هي إلى الخطاب الختامي في الجلسة السنوية للجماعة الإسلامية الأحمدية التي عُقدت في ألمانيا في ٢٤/٢٣/٢٢ آب عام ٢٠٠٣. (المترجم)

واحمنا في ستر مغفرتك ورحمتك.. لا تُبعدنا عنك، آمين، يا ربّ العالمين.

(مقتبس من الخطاب النهائي في الجلسة السنوية في ألمانيا في ٢٤-٨-٢٠٠٣)

الشرط السابع

يتعهّد المبايع: "أن يُطلّق الكبرَ والزهو طلاقًا باتًّا، ويقضيَ أيامَ حياته بالتواضع والانكسار ودَماثة الأخلاق والحلم والرِّفق."

الكِبر أكبر المصائب بعد الشرك

بعد أن أبدى استكباره وغطرسته، كان الشيطان قد قرّر منذ البداية أن يبذل كلّ ما في وسعه لمنع الناس من أن يكونوا عباد الرحمن. وقد قرّر إيقاع الجنس البشري في فخّه وحبائله بطرق شتّى، وأن يجعل الإنسان مغرورًا بنفسه إذا قام بأي عمل صالح. وإن هذه النخوة والزهو يجرّان الإنسان إلى أن يكون متكبرا فيحرم من ثواب ذلك العمل الصالح.

وبما أن الشيطان كان قد قرر من أول يوم أنه سيغوي الإنسان كما أنه بنفسه قد عصى لأمر الله مستكبرا، لذا فإنه يستخدم الأداة ذاتها بأشكالها المختلفة ليُضِلّ الإنسان عن الصراط المستقيم. ولا ينجو منه إلاّ عباد الله الرحمن، الذين هم عباده المخلصون والمنشغلون بعبادته؛ فهؤلاء يبقون، عمومًا، سالمين من أذى هجمات الشيطان.

على الأحمدي ألاّ يستهين بهذا الأمر فيظن أنه قد قبل عند البيعة

شرطًا بألاّ ينغمس في الكِبر والغرور وأنه سيدع الكِبر كلّية وهذا يكفيه. كلا! بل إن هذا الأمر ليس بهيّن، للكِبر أشكال مختلفة كثيرة. فالشيطان يُهاجِم الجنسَ البشري مستخدمًا طرقًا مختلفة. إنها حالة مخيفة للغاية، ولا يمكن للإنسان أن ينجو منها إلاّ بفضل الله ﷻ. ولذلك، فقدّ قدّم المسيحُ الموعود ؑ، في الشرط السابع من البيعة أيضًا، طريقا للحصول على فضل الله تعالى. فقال إذا تخليتم عن الكبر ولم تملأوا هذا الفراغ بالتواضع والحلم، فإنّ الكِبر سوف يُهاجمكم ثانية. ولذلك فإنّ عليكم الالتزام بالتواضع، لأنّ الله تعالى يُحِب هذا السبيل.

لقد أبلغ المسيحُ الموعود ؑ التواضعَ ذروتها التي لا يوجد لها مثيل. وذلك هو السّبب في أنّ الله تعالى كان راضيًا عنه كثيرًا إلى حدّ أنه تعالى قد قال له في وحي (باللغة الأردية): "لقد أعجبَ اللهَ أساليبُ تواضُعك!"

كم بالحري لنا -نحن الذين ندعي بأننا قد بايعنا المسيح الموعود ؑ وقد قبلناه كإمام العصر- أن نتحلى بهذا الخُلق.

ليس ثمة مبرّر يدعو الإنسان للتكبّر والتعالي. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا﴾ (الإسراء: ٣٨)

تُبيِّن هذه الآية بوضوح أنه ليس للإنسان على الإطلاق ما يجعله مغرورًا أو مختالا. فبماذا يمكنه أن يغترّ؟ بعض الناس يظنّون أنهم ملوك

الوقت والزمان ولا يرغبون بالخروج من دوائرهم المحدودة التي يقيمون داخلها، ويحسبون أنفسَهم شيئًا عظيمًا. سأقدّم في هذا الصدد مثالَ أصغرِ دائرة وهي دائرة المحيط العائلي. إن بعض الرجال يظلمون زوجاتهم وأولادهم لدرجة تقشعر منه الأبدان. تكتب إليّ بعض الفتيات قائلات بأنّهنّ منذ طفولتهن يشهدن معاملة القمع والظلم من قِبل آبائهن تجاه أمهاتهن وتجاههن أيضا حتى بلغن سن الرشد، وأهن لا يستطعن الآن تحمل المزيد من هذه المعاملة. لقد اعتادت تلك الفتيات الفرارَ إلى غُرَفهنّ والاختفاء فيها حالما يأتي آباؤهن ويدخلون البيت. ولو صدف أن قالت الأمّ أو أيّ واحد من البنات أيّ شيء يُناقض رغبة الأب، فإنه يصير في غاية القسوة، وينهال عليهن ضربًا!

الغُرور فقط هو الذي يجعل أمثالَ هؤلاء الآباء يرتكبون هذه الأعمال القاسية جدًا. إنّ معظم هؤلاء يُحافظون على صورة لطيفة لهم خارج بيوتهم فيعتقد الناس أنه ليس هناك من هو أنبل منهم، وهكذا يشكل الغرباء فكرة جميلة عنهم. ولكن نتيجةً لاستكبار وغرور وغطرسة بعض مَن يحتفظ بتلك النـــزعات داخل بيوتهم وخارجها، وتكون حالتهم معروفة للجميع بشكل واضح. وكنتيجة لذلك، عندما يَبلغ أولادُ أولئك الرجال المتغطرسين وأصحاب الأخلاق السيئة سنَّ الرشد - وخصوصًا الذكور - فإنهم يُبدون ردّ فعل على قسوة وفظاظة آبائهم تجاه أمهاتهم وأخواتهم. ويبدؤون بمصادمة آبائهم وعندما يصير الأب بمرور الوقت ضعيفًا فإنّ الأولاد ينتقمون منهم.

هناك أمثلة كثيرة لمثل هؤلاء المتكبرين على مستويات مختلفة بما فيها مستوى البيت والعمل. وإذا تأملتم في مختلف المستويات فإنكم ستكتشفون باستمرار مثل هذه الأمثلة من الاستكبار والغطرسة في جميع المجالات.

الشكل الأكبر من هذا الاستكبار يُلاحَظ على مستوى البلاد والشعوب، إذ إنّ بعض الأمم والبلاد والحكومات تنظر إلى الأمم الأخرى بعين الاحتقار بسبب الاستكبار، فهم يحتقرون الأمم والبلاد الفقيرة. وهذا هو السبب الأوّل للاضطرابات والمشاكل في العالم اليوم. فلو اختفى الاستكبار لاختفت الاضطرابات وأوجه الفساد المنتشر اليوم تلقائيا. غير أنّ الأمم والحكومات المستكبرة لا تُدرك أنها ستختفي عن وجه الأرض تمامًا عندما يقرِّر الله ﷻ تدمير نـــزعة الاحتقار في المستكبرين.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(لقمان: ١٩)

كما هو واضح من هذه الآية الكريمة، فإنّ الله تعالى يأمرنا بألاّ نمشي في الأرض مختالين فخورين مُبدين الغرور والاستكبار والغطرسة، فإنَّ الله لا يحبّ الذين يمشون في الأرض بعناد وتكبُّر. فبعض الناس يقفون أمام تابعيهم ومرؤوسيهم بتكبّر عادة، لكنهم يبدون التذلّل والتواضع والخضوع البالغ أمام رؤسائهم. إنّ شرّ النّفاق واضح في مثل هؤلاء الأشخاص. وهكذا فإنّ صفة التكبّر تولّد شرورًا كثيرة أخرى وبطء،

وتدريجيًا تنغلق أمامهم جميع طرق الفضيلة بشكل كامل. إنّ مثل هؤلاء الناس ينجرفون بعيدًا عن الدِّين وعن نظام الجماعة أيضًا. وكلما ازداد استكبارهم، ازدادوا بُعدًا عن الله وبركاته ونِعمه وعن رسوله الكريم محمد ﷺ.

جاء في حديث لسيدنا رسول الله ﷺ:عن جابر: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: إنَّ مِن أحبِّكُم إليَّ وأقربكُمْ منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أَحاسِنَكُمْ أخلاقًا، وإنَّ من أبغضِكُم إليَّ وأبعدكُم منِّي يومَ القيامةِ الثرثارونَ، والُمتشدِّقونَ والمتَفَيهقُونَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، قد عَلِمنا الثرثارينَ والُمتشدِّقِين فما المتفيهِقُونَ؟ قال: الُمتكبِّرُونَ. (الترمذي، أبواب البر والصّله باب في معالي الأخلاق)

وعن ابن مسعود ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ثلاث هنَّ أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن. إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على ألا يسجد لآدم. وإياكم والحرص. فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة. وإياكم والحسد، فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدًا. (الرسالة القشيرية، باب الحسد)

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر. قال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْر بَطَر الحقّ وغمط الناس. (مسلم، كتاب الإيمان باب تحريم الكِبْر وبيانه)

وجاء في حديث آخر: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: تحاجّت النّار والجنة. فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم. فقال الله للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي. ولكلّ واحدة منكم ملؤها. (مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء)

ندعو الله أن يوفّق كلّ أحمدي للحصول على رحمة الله تعالى من خلال السير في سبل التواضع والحلم والتلطّف، وأن يكون جديرًا بجنة الله تعالى؛ كما نسأله تعالى أن يجعل كلّ بيت طاهرًا من رجس الكِبْر والغطرسة.

جاء في حديث شريف:عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: العزّ إزاره والكِبرياء رداؤه. فمن ينازعني، عذبته. (مسلم، كتاب البر والصلة باب تحريم الكبر)

لن يدخل الجنة متكبّر

إنَّ الكِبْرَ يغوي الإنسانَ في نهاية المطاف ليقوم بمجابهة الله تعالى. وإذا قضى اللهُ ﷻ بأنه لن يغفر لِمَن يُشرِك به، فكيف يغفر إذًا لِمَن يزعم أنه أصبح بنفسه ندّا لله؟ إنه الاستكبار الذي خلق أناسًا مثل فرعون. ولقد سمعتم عن النهاية التي لاقاها هؤلاء الذين هم على تلك الشاكلة، ولقد

شهدتم مثلهم حتى في هذا العصر. إنه حقًا سبب يدعو إلى الخوف؛ فعلى كلّ أحمدي أن يحاول اجتناب الكِبْر حتى وإن شغل أضيقَ حَيّزٍ من النّفس لأنه لا يلبث أن ينمو وينتشر ليشمل الإنسان كلّه. قد أنذَرَنا اللهُ تعالى بأنّ الكِبرياء إزاره وقال:أنا ربّ العالمين؛ والعَظَمَة لي؛ فاقبلوا ذلك وكونوا متواضعين. ولو حاولتم تخطّي هذه الحدود، فستُعاقَبون. ولو كان في قلوبكم مثقال حبةٍ من خردل من كِبر، فالعقاب الشديد هو مصيركم. وإلى جانب ذلك الإنذار فقد بشّر أيضا أنه إذا كان في قلوبكم ذرة من الإيمان سأنقذكم من عذاب النار. كما ورد في الحديث: عَنْ عَبْد الله قَالَ، قَالَ رَسُول الله ﷺ: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقَال ذرّة مِن خردل مِن كِبر. ولا يدخل النَّار من كان في قلبه مثقَال حبة مِن خردل مِن إيمان. (ابن ماجة، المقدمة باب في الإيمان)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "الحقّ أقول لكم: ليس ثمة يوم القيامة بعد الشرك شرّ مثل الكِبر. إنه الشرّ الذي يُهين الإنسان في كلا العالمين. تكافئ رحمةُ الله كلّ من يؤمن بوحدانيته عز وجل إلاّ المتكبّر. فالشيطان أيضًا زعم بأنه يؤمن بوحدانية الله. ولكن بما أنه كان متكبرا وكان محتقِرًا آدمَ الذي أحبّه الله. انتقَده الشيطانُ فَهَلَك، وأحاط طوق اللعنة بعنقه. وهكذا فإنّ أوّل خطيئة أهلكت شخصًا إلى الأبد كانت حقًا الكِبر". (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥ ص ٥٩٨)

ثم يُتابع المسيح الموعود عليه السلام فيقول:

"وإِن كان في جانحة من جوانحكم الكبرُ أو الرياء أو العُجب أو

الكسل فلستم بشيء يصلح للقبول. ولا يخدعنّكم الزعم أن ما أخذتم من بعض الأمور قد حققتم به الهدف المنشود، وذلك لأنَّ الله يريد أن يحدث في أنفسكم تغيّرٌ تام، ويريد منكم موتًا يحييكم بعده." (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩ ص ١٢)

صلة عميقة بين الكِبْر والشيطان

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

" هناك أناس هم أدنى مرتبةً من أنبياء الله بمئات الألوف من الدرجات، ومع ذلك إذا صلّوا لبضعة أيام أصابهم الكبر، وبدلا من أن تتزكّى أنفسهم بالصيام وأداء الحج، يزدادون تكبّرًا ورياء. تذكّروا أنّ التكبر يأتي من الشيطان ويجعل الإنسان شيطانًا، وما لم يهجره المرء ويتخلَّ عنه فإنه ينمو في صدره، ويصير عائقًا يحول دون قبوله الحق ونيله الفضل الإلهي.

يجب ألاّ يتكبّر المرء بأيّ شكل على الإطلاق، لا في ما يتعلق بالمعرفة، ولا في الثروة، ولا في المرتبة والدرجة، ولا في الطبقة والطائفة والنسب لأنه غالبًا ما ينشأ ويتطوّر التكبّر بسبب هذه الاعتبارات. وما لم يُزكِّ المرءُ نفسَه من نوازع الكِبر والغرور هذه، فلن يُعتبر عند الله من الصالحين، ولن ينال تلك المعرفة الله التي تحرق نوازعَ الأهواء التافهة لأنّه (الغرور) من الشيطان، ومكروه لدى الله عز وجل...

والمراد من قوله عليه السلام إنَّه لا بد من الانتباه إلى بعض الأمور الأساسية

وتجنبها. يظنُّ بعض الناس أنفسهم، بعد أدائهم الصلاة لبضعة أيام، أنهم قد صاروا أبرارا وصلحاء؛ وهم يُظهِرون على وجوههم تعابير غريبة تنمّ عن الكِبْر والتباهي. لابدّ أنكم قد قابلتم بعض هؤلاء الأفراد ذوي الأثواب المسبلة، وفي أيديهم السّبحات الطويلة، وهم يخرجون من المساجد. إنّ مظهرهم وسلوكهم يُبدي الكِبْر والتعالي. فنحمد الله ونشكره شكرا كثيرا على أن الجماعة الإسلامية الأحمدية خالية من أمثال هؤلاء. ولدى عودتهم من الحجّ تجد الكثير من الدعاية لهم بغية إعلاءِ شأنهم. لكنَّ الحقيقة أنهم يُصلّون ويصومون ويؤدّون فريضة الحجّ بغرض الرياء والتباهي والتظاهر بالتفوُّق، وليتحدث الآخرون عن كونهم أكثر الناس صلاحًا وتقوى. كلّ ذلك التباهي والتفاخر ينشأ عن الكِبْر، كما أنّ الكِبْر ينشأ عن التباهي. يقول المسيح الموعود عليه السلام، إنّ بعض الناس يتكبرون بسبب طائفتهم ونسبهم قائلين: إنّنا من عائلة عريقة وكبيرة، وفلانٌ من طبقة متدنية، فكيف له أن يكون مساويًا لنا؟ ولقد حذّرَنا المسيح الموعود عليه السلام من ذلك وقال إنّ للكِبر أنواعًا كثيرة، فاحذروها لئلاّ تحرمكم من معرفة الله تعالى وترميكم بعيدًا عن عتبات قُربه فتقعوا في شراك الشيطان.

يقول المسيح الموعود أيضًا: "إن الطريق المثلى للتزكّي في رأيي هي أن يتخلى الإنسان من كل نوع من التكبر والتفاخر، ومن المستحيل أن تَجِد طريقًا أَفضل منها. فعليه ألا يتكبر سواء بعلمه أو بنسبه أو بثروته. عندما يوهب المرء بصيرة من الله، فإنّه يستطيع أن يرى أنّ كلّ نور –

يمكن أن يخلصه من الظلمة - إنّما ينـــزل من السماء. إنّ الإنسان في حاجة إلى نور سماوي بشكل دائم. فحتى العين لا تستطيع الرؤية من غير النور السماوي الذي يأتي من الشمس. وبالمثل، فإنّ النور الداخلي الذي يُبدد كلّ نوع من الظلمة ويُزيلها، ويولّد في الإنسان نور التقوى والتزكّي، هو أيضًا ينـــزل من السماوات. الحقّ أقول لكم إنّ تقوى الإنسان وإيمانه ونقاءه كلّه ينـــزل من السماء. وكلّ ذلك يعتمد على الفضل الخاصّ من الله الذي إذا ما شاء أنعم به؛ وإن شاء قَبَضَه.

وهكذا فإنّ معرفة الله الحقّة تكمُن في أن يرى الإنسان ذاتَه متواضعًا ذليلا لا يساوي شيئا، وأن يبحث عن فضل الله بالتواضع والحِلْم، ويخرّ ساجدًا على عتبة الله ويتوسل إليه من أجل الحصول على نور تلك المعرفة التي تبدّد أهواء النفس، وتُنشئ نورًا داخليًا، وتزوّده بالقوة والحماس لنيل الفضائل. ثم، إذا وَجد، بفضل الله تعالى، هذا الحظّ العظيم، بحيث نال حالة من البسط وانشراح الصدر، فيجب ألاّ ينتابه الكِبر والغرور. بل بالأحرى عليه أن يزداد في تواضعه وخضوعه، لأنه كلّما اعتبر نفسه أقلّ أهمية ازدادت خبراته، وازداد النور الذي يتنـــزل عليه من الله ﷻ فيزوّده بالنور (الروحاني) وبالقوة.

إذا ما تمسك الإنسان بهذا الاعتقاد، فمن المأمول أن تتحسن حالته الأخلاقية بفضل الله تعالى. فأن يرى المرء نفسه شيئا عظيما في الدنيا هو أيضًا من الكِبر، ويجلب عليه النتائج السيئة ذاتها. وفي النهاية يصل إلى حدّ يَشتُم فيه الآخرين وينظر إليهم بازدراء." (الملفوظات، الإصدار

الجديد، المجلد الرابع ص ٢١٢-٢١٣)

ثم يقول عليه السلام: "الكِبر أخطر مرض على الإطلاق. وكلّ من ينشأ في نفسه الكبر يلقى موتًا روحيًا. وأنا أعلم بكلّ يقين أنّ هذا المرض أسوأ من القتل. المتكبر يتحوّل إلى أخ للشيطان، لأن الكِبْر وحده هو الذي أذلّ الشيطان وأخزاه. ولذلك فإنّ الشرط الأساس بالنسبة إلى المؤمن هو ألاّ يكون فيه كِبر، بل المطلوب منه، أن يتّصف بالتواضع والحلم. فالذين يصطفيهم الله يتّصفون بأعلى درجات التواضع. ولقد كان الرسول ﷺ يتميّز بهذه الصفة أكثر من أي إنسان آخر. فلقد سُئل أحدُ خَدَمِه: كيف كان الرسولُ يُعامله، فأجاب: الحقيقة أنّ الرسول ﷺ نفسَه كان يَخدمني أكثر مما كنت أخدمه. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلّم". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد الرابع ص ٤٣٧-٤٣٨)

الكِبْر جِدٌّ مكروه عند الله تعالى

يقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"إني أنصح جماعتي أن تتجنبوا الكبر لأن الكبر جِدٌّ مكروه في أعين ربنا ذي الجلال. ولكنكم رُبَّما لا تفهمون ما هو الكبر، فَافْهَموا مني فإني أنطِق بروح الله.

فكل من يَحْقِر أخاه لأنه أكثر منه علمًا أو عقلاً أو بَراعَةً فهو متكبرٌ، لأنه لا يرى الله تعالى مَصْدرًا للعلم والعقل بل يَعتَبر نفسَه شيئا يُذْكَر.

أليس الله بقادر على أن يجعله مجنونا ويَهبَ لأخيه الذي يحتقره علما وعقلا وبراعةً أفضلَ مما عنده؟

وكذلك فإن الذي يحقر أخاه بِناءً على ماله وشَرَفِه وكرامته فهو متكبر، لأنه ينسى أن الله تعالى هو الذي أعطاه هذا الشرفَ والكرامةَ. إنه أعمى ولا يعرف أن الله تعالى قادر على أن يُنــزلَ عليه دائرةً فيقع في أسفل السافلين في لمح البصر، وأن يهب لأخيه الذي يحتقره مالا وثَراءً أكثرَ منه.

كذلك مَن يَزْهُو بصحته الجسدية أو يتباهى بحسنه وجماله وقوته وقُدرتِه، ويذكر أخاه باحتقار ساخرًا به ومستهزئا، ويَذكر عيوبَ أخيه الجسديةَ للآخرين، فإنه متكبر أيضا. إنه غافل عن ذلك الإله الذي يقدر على أن يُنــزل عليه عيوبًا جسدية دفعةً واحدةً ويجعلَه أَسْوَأَ حالاً مِن أخيه المحتقَر، ويبارك في قوى أخيه الذي احتُقر؛ فلا تضعف قواه ولا تتعطل إلى مدة مديدة، لأنه تعالى يفعل ما يشاء. وكذلك الذي يعتمد على قوّته ومواهبه الذاتية، ويهمل الدعاءَ والتوسّل إلى الله، هو أيضا متكبر، لأنه لم يعرف مصدر القوى والقدرات، بل ظن نفسه شيئا يُعتدّ به!

فتذكروا هذا كلّه يا أحبّائي، كي لا تُعَدُّوا عند الله من المتكبّرين، بشكل أو بآخر، وأنتم غافلون.

فالذي يُصحّح كلمة خاطئة لأخيه بِكِبْر، قد نال نصيبا من الكِبر. والذي لا يريد الإصغاء إلى أخيه بلطف وأدب، ويشيح بوجهه عنه، قد

نال نصيبا من الكِبر. والذي ينتابه شعور بالاشمئزاز إذا جلس أخ فقير محتاج بقربه، قد نال نصيبا من الكِبر. والذي ينظر بازدراء واستهزاء إلى شخص يصلّي ويدعو، قد نال نصيبا من الكِبر. والذي لا يريد أن يكون مطيعًا لمبعوث اللهِ ومرسَله طاعة كاملة، قد نال نصيبا من الكِبر. والذي لا يُصغي لمبعوث الله ومرسَله، ولا يقرأ كتبه بتدبّر، قد نال نصيبا من الكِبر. فعليكم أن تحاولوا ألا يكون فيكم أي نوع من التكبر لئلاّ تَهلَكوا، ولتفوزوا أنتم وأهلكم بالنجاة.

أنيبوا إلى الله وأَحِبّوه بالقدر الذي يمكن أن يُحَبّ به أحد في هذه الحياة، واخشوا ربّكم بالقدر الذي يمكن لأحد أن يخشى أحدًا في هذا العالم. كونوا طاهري القلوب والنوايا، وكونوا لطفاء متواضعين مسالمين وغير مؤذين لكي تُرحموا". (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٠٢-٤٠٣)

الأمر الآخر الذي ذُكر في هذا الشرط هو أنّ على المبايِع أن يقضي حياتَه بالتواضع والوداعة والبِشر والحلم والتسامح. وكما ذكرتُ آنفًا، إذا حاولتم تخليص قلوبكم وعقولكم من الكِبر فلا بد أن تخلقوا في نفوسكم صفات وأخلاقا أسمى وإلاّ فإنّ الشيطان سيكرر هجماته عليكم لأنّ مهمّته هي ألاّ يَدَعكم وشأنكم. تلك الصّفات والأخلاق هي التواضع والحلم. ومن المستحيل أن يعيش المتواضع والمتكبر معًا. فالمتكبرون يزدرون دائمًا المتواضعين الذين هم عباد الرحمن ويطعنون فيهم ويسخرون منهم. فعليكم ألا تردوا عليهم بالمثل بل بالأحرى

عليكم الالتزام بأمر الله تعالى الذي يقول: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾(الفرقان: ٦٤)

عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: مَن تَواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في علّيين؛ ومن تكبّر على الله درجة وَضَعَه الله درجةً حتى يجعله في أسفل السافلين. (مسند أحمد، باقي مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري)

إنّ سلامتكم في أن تتركوا صحبة المستكبرين قائلين: "سلامًا". وهذا أفضل لكم لأنّ درجاتكم الروحانية سوف تُرفع، ولسوف يسقط الخصوم في أسفل سافلين بتصرفاتهم كهذه.

ولقد جاء في حديث شريفٍ أيضًا ويجب أن نراعي هذا الأمر في معاملاتنا اليومية: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ما نقصتْ صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلاّ عزًّا. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله. (مسلم، كتاب البر والصلة باب استحباب العفو التواضع)

وعن عياض بن حمار المجاشعي قال، قال رسول الله ﷺ: إنّ الله أوحى إليّ: أن تَواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد. (مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار)

علينا أن نتذكر الحديث التالي فيما يتعلق بعلاقتنا بالآخرين وتعاملنا معهم: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ما نقصتْ صدقةٌ مِن مالٍ،

وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلاّ عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلاّ رفعه الله. (مسلم، كتاب البر والصلة باب استحباب العفو التواضع)

لذا فإنّ على كلّ أحمدي أن يتبنّى عادةَ مسامحةِ الآخرين؛ وسيرفع هذا العمل درجةَ العبد في الحياة الآخرة، وسيستمر الله في زيادة إكرامه وتشريفه في هذا العالم أيضًا. إنّ الله تعالى لا يدع عمل عامل قام به لوجه الله بغير جزاء.

مكانة المساكين عند النبي ﷺ

يمكننا معرفة مكانة المساكين المتواضعين في نظر النبي ﷺ من خلال الحديث التالي:عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَحِبُّو الْمَسَاكِينَ فإني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ. (ابن ماجة، كتاب الزهد باب مجالسة الفقراء)

وهكذا فإنّ على كلّ أحمديّ أن يلتزم السبيل ذاته وأن يسير على السّنن التي كان عليها سيدنا محمد ﷺ. وعلى كلّ أحمدي السّعي لأن يُعَدّ من المساكين المتواضعين، وذلك لأنّ عهد البيعة ينصّ على تعهّد المبايِع بأنه سوف يمضي جميع أيام حياته بالحلم والتواضع.

جاء في حديث:عن أبي هريرة قَالَ:كَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيَحَدِّثُونَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْنِيهِ: أَبَا الْمَسَاكِينِ. (ابن ماجة، كتاب الزهد باب مجالسة الفقراء)

يقول المسيح الموعود ؏: "إذا رغبتم في البحث عن الله ﷻ، فابحثوا عنه قريبًا من قلوب المساكين. لهذا السبب كان الأنبياء كلهم صورة متجسدة للتواضع. وكذلك يجب ألا يسخر قوم أعظم من قوم دونهم ولا يتباهوا بِعُلوٍّ نسبهم وبأسلافهم. يقول الله ﷻ لن أسألكم، حين تمثلون بين يدي، عن قومكم ولا عن عشيرتكم ولكن أسألكم عن أعمالكم. وبناءً عليه فقد قال رسول الله ﷺ لابنته يا فاطمة إنّ الله ﷻ لن يسأل عن الأنساب، فإذا ارتكبتِ خطًا فإنّ الله ﷻ لن يتغاضى عنك لأنك ابنة النبي. فعليك أن تراقبي أعمالكِ وتتقي الله في كلّ الأوقات".(الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٣، ص ٣٧٠)

ويقول ؏ أيضًا: "لقد كان المطلب الأساس من أهل التقوى أن يقضوا حياتهم في التواضع والمسكنة. فهذا فرع من التقوى ندفع به الغضب غير المبرر. والمرحلة الأخيرة والأكثر صعوبة للأتقياء المخلصين العظام هي اجتناب الغضب. فالتعالي والغرور يتولدان عن الغضب، وبالمثل، فإنّ الغضب في بعض الأحيان يكون نتيجة للتعالي والغرور. إذ ينشأ الغضب فقط عندما يُعطي الإنسانُ نفسَه أفضليةً على الآخر". (تقرير الجلسة السنوية، ١٨٩٧، ص ٤٩)

ويقول ؏: "إن كنتم تريدون أن يرضى الله عنكم في السماء فكونوا متحدين فيما بينكم كما يكون شقيقان من بطن واحد. إن أكرمكم أكثرُكم غفرانًا لأخيه وشقيّ من يعاند ولا يغفر، فليس له مني نصيب". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلّد ١٩ ص ١٢-١٣)

الشرط الثامن

يتعهد كل مبايع: "أن يكونَ الدّينُ وعزُّه ومواساةُ الإسلام أعزَّ عنده من نفسه وماله وأولاده ومن كل ما هو عزيز لديه."

إنّ التعهد بتقديم الدِّين على الدنيا هو العهد الذي يُكرره مرات ومرات كلّ من يكون متصلا بالجماعة ويحضر اجتماعاتها. حيث تُعلَّق اللافتات عادة في كلّ جلسة واجتماع... إلخ. وغالبًا تحتوي إحدى هذه اللافتات (المعلقة على جدار الخيمة) على فكرة تقديم الدِّين على الدنيا. فلماذا أعطيت هذه المسألة كلّ هذه الأهمية؟ لأنَّ الدِّين لا يمكنه البقاء من دونها. وليس من السهل العمل على هذا الشرط. ولتحقيقه فإنّ على المرء أن يستعين بالله على الدوام، لأنّ هذا الهدف الأسمى يمكن أن يُنجَز فقط بفضله وحده عَزَّوَجَلَّ. وبالنسبة إلينا نحن الذين، بفضل الله تعالى، دخلنا في بيعة المسيح الموعود عليه السلام، قد آتانا الله في القرآن الكريم تعليما يقول فيه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٦)

بإقامة الصلاة جماعةً في موعدها، وبالإنفاق في سبيل الله ومساعدة المحتاجين، نستطيع أن نتشبث بالدِّين الصحيح. وهكذا يمكننا أن نُطبّق

تعاليم الدِّين في حياتنا وأن نجعلها جزءا لا يتجزأ من سلوكنا؛ وعندما نعبد الله ونعمل بتعاليمه، فإنّ الله ﷻ سوف يُعطينا القدرة على فعل ذلك. ولسوف يقوّي إيماننا إلى حدّ تبدو فيه أنفسنا وطموحاتنا وأولادنا جميعها ضئيلة تافهة وغير ذات أهمية بالمقارنة مع ديننا. وهكذا فحين يكون كلّ شيء لوجه الله تعالى فقط، ولا نَعدّ شيئًا ملكًا لنا، عندئذ لن يدعنا الله نضيع أبدًا. بل الله يحفظ عزّة أمثال هؤلاء العباد، ويحمي أولادهم، وينـــزل بركاته عليهم، ويبارك في أموالم وممتلكاتهم، ويبسط لهم في أرزاقهم، ويشملهم دائمًا برحمته وفضله، ويزيل عنهم جميع مخاوفهم، كما يقول في كتابه المجيد:

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣)

روح التعاليم الإسلامية

يقول ربنا ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾ (النساء: ١٢٦)

نجد في هذا التعليم روحَ الدِّين الإسلامي وجوهرَه. إنّ على العبد أن يكون مُطيعًا بشكل كامل، وأن يلتزم بأوامر الله تعالى وتطبيقها بقواه كلِّها. وعليه أن يكرّس نفسه للدين وأن يكون محسنا. وبما أنه يكون محسنا لوجه الله ﷻ لذا ينبغي ألا يخطر ببال أحد أنه لو كرّس نفسه لخدمة الدين لكان أولاده أو أمواله عرضة للضياع. ولكن على المؤمن

ألاّ يخاف ضياع ماله أو أولاده، لأنّ الله الذي خير من يجازي على الجهود، سوف يُكافئ هذه الأعمال بنفسه. وكما بيّنا آنفًا فإنّ الله سوف يحمي حياة ذلك العبد وماله وعرضه ولن يدع أمثال هؤلاء العباد وأجيالهم يضيعون.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في تفسير آية: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣)

"كلّ من يُسلم نفسه لله، ويكرّس حياته في سبيله، ويكون نشيطا في الأعمال الصالحة سوف يحصل على جزائه من نَبْعِ قُربِ الله تعالى. ولا خوف ولا حزن على أمثال هؤلاء العباد. وكلّ من يكرّس جميع قدراته في سبيل الله، ويكون كل قوله وفعله وسلوكه، ونشاطه وحياته بكاملها في سبيل الله فحسب، ويظل نشيطا في كسب البر الحقيقي فإن الله سوف يجازيه من عنده جزاءً خاصًّا وسوف ينجيه من الخوف والحزن". (سراج الدين عيسائي كى جار سوالون كا جواب (رد على أربعة أسئلة من قبل سراج الدين المسيحي) الخزائن الروحانية المجلد ١٢ ص ٣٤٤)

جاء في الحديث أن معاوية بن حيدة القشيري فيما يذكر قصة إسلامه فيقول: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت.... ما دينك الذي بعثك الله به؟ قال: بعثني بالإسلام. قلت: فما الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمتُ نفسي لله ووجهت وجهي إليه، وتتخلى عن عبادة الأوثان، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة. (كنـــز العمال، كتاب الإيمان والإسلام من قسم الأفعال،

الفصل الثاني في حقيقة الإسلام - شعب الإيمان للبيهقي السادس والستون من شعب الإيمان باب في مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم - معجم الطبراني الكبير)

وجاء في حديث آخر:عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلا، لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحدًا بَعْدَكَ. قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِالله ثم اسْتَقِمْ." (مسلم، كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام)

كيف كان سلوك الصحابة رضي الله عنهم؟

الخمر لم تكن قد حُرّمتْ بعدُ في الإسلام. وكان الصحابة رضي الله عنهم يشربون في بعض الأحيان ويسكرون. ولكن حتى في تلك الحالة كان الدِّين وعِزُّه مسيطرَيْن على عقولهم. وكانوا يقدِّمون الدين على كل شيء في حياتهم.. إذ يُروى أنّ عددًا منهم كانوا جالسين معًا يشربون، وكان بعضهم قد سَكِر؛ ولكن عندما وَصَلَهم الأمرُ الإلهي بتحريم الخمر، نَفَّذوه مباشرة. فقد ورد في الحديث "عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري وأبا عبيدة بن الجراح وأُبيَّ بن كعب شرابًا من فَضِيخ، وهو تمر، فجاءهم آتٍ فقال: إنّ الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنس، قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال أنس: فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت". (البخاري، كتاب أخبار الأحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق)

إحياء الإسلام يتطلب منا فداء

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن إحياء الإسلام يتطلب منّا فداء! فما هو ذلك الفداء؟ ألا إنه موتنا في هذا السبيل. وبهذا الموت أنيطت حياة الإسلام، وحياة المسلمين، كما يتوقف عليه تجلّي الإله الحيّ وظهوره. وهذا هو بالتحديد ما يُدعى بالإسلام. يُريد اللهُ تعالى الآن إحياء الإسلام. ولتحقيق هذا الأمر، كان لا بد من أن يؤسس الله تعالى من عنده مشروعا عظيما مؤثّرا من جميع الجوانب. وهذا بالضبط ما فعله الله الحكيم القادر، وذلك من خلال بَعْثِ هذا العبد المتواضع (الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام) لإصلاح الجنس البشري". (فتح الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٠-١٢)

ثم يقول حضرته عليه السلام: "من الصعب على الإنسان أن ينال مرتبة أو درجة ما لم يَصِر عبدًا لله بالصدق والصفاء. يشهدُ الله عز وجل لإبراهيم بقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾(النجم: ٣٨)

أي أنّ إبراهيم قد وفى بعهده. فإن تطهير الإنسان قلبه من حب غير الله وجعْله زاخرا بحب الله تعالى، والعيش بحسب مرضاة الله وكونه مطاوعا لمشيئة الله مطاوعةَ الظل للأصل، حتى تتوحد إرادته مع إرادة الله دون أية منافاة فيهما، فإن هذه الأمور لا تتأتى إلا بالدعاء. إنما كُتبت الصلاة من أجل الدعاء، وعلى المرء أن يدعو في كلّ مرحلة وحال. ولكن إذا صلّى المرء كالنائم ولم يعرف أهمية الصلاة وطبيعتها، فهي

ليست بصلاة..... ينبغي ألاّ يكون ساهيا ولا غافلا أثناء الصلاة. إذا أرادت جماعتنا أن تكون جماعة الله حقًا، فعليهم أن يختاروا نوعًا من الموت. عليهم أن يجتنبوا الأهواء والإغراءات النفسانية وأن يؤثروا الله على كلّ شيء".

(الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٣، ص ٤٥٧- ٤٥٨)

اليقين وسيلة التخلص من المعاصي

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"أَلا يا عباد الله الطالبين إياه اسمعوا وعوا!، إن اليقين لا يماثله شيء، إن اليقين وحده يخلِّص الإنسان من ربقة الذنوب، وإنه اليقين الذي يمنح القدرة على فعل الخيرات، وإنه اليقين الذي يجعل العبد عاشقًا صادقًا لله. أترون أنه بمقدوركم أن تهجروا الإثم بغير اليقين؟ أم أنه بمستطاعكم أن تنقذوا أنفسكم من نـــزعاتها بدون التجلي اليقيني؟ أم هل تستطيعون أن تنالوا أية طمأنينة بغير اليقين؟ أو تستطيعون بغير اليقين أن تُحدِثوا أي تغير حقيقي؟ وهل بإمكانكم أن تحصلوا على فرح حقيقي بغير اليقين؟ هل ثمة تحت السماء كفارة أو فدية تقدر على أن تمكِّنكم من ترك الذنوب؟... لذلك تذكّروا أنكم لا تستطيعون الانسلاخ من الحياة المظلمة بغير اليقين ولا يمْكنكم أن تظفروا بروح القدس. فمباركون أوّلئك الذين يحظون باليقين فإنهم هم الذين سَيَرَون ربّهم. ومباركون مَن تخلَّصوا من الشكوك والشبهات فإنهم هم الذين سيَنْجون من

الذنوب. ومباركون أنتم إذا أوتيتم ثروة اليقين، فستكون من بعده خاتمة ذنوبكم. إن الإثم واليقين لا يمكن أن يجتمعا أبدًا. أفيمكن أن تدسّوا أيديكم في جحْر ترون في داخله حيَّةً سامَّة جدًا؟ أم هل تستطيعون الوقوف حيث يُمطر البركان أحجارًا أو حيث الصواعق متساقطة أو حيث يهاجم الأسد الضاري بالتكرار؟ أو في مكانٍ يحصد فيه الطاعون الجارف نسل الإنسان حصدا؟ فإن كنتم توقنون بالله إيقانكم بالحيَّة أو الصاعقة أو الأسد أو الطاعون فليس بالإمكان أبدًا أن تقابلوه بالعصيان وتختاروا سبيل العقاب، أو أن تقطعوا عنه صلة الصدق والوفاء." (سفينة نوح، الخزائن الروحانية مجلد ١٩ ص٦٦-٦٧)

وقال المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"المعرفة التامّة هي أساس الخشية والحب والتقدير. فكلّ من أعطِي المعرفة التّامة فقد أُعطي الخشية والحب الكاملين أيضًا. وكلّ من وُهب الخشية الكاملة والحب التامّ فقد نُجِّي من ذنب ينشأ عن جسارة. نحن لا نعتمد لتحقيق هذا الخلاص على أيّ دم[٤]، ولا نحتاج إلى أيّ صليب ولا أية كفّارة، بل فنحن بحاجة إلى تضحية واحدة، ألا وهي التضحية بالنفس التي تشعر فطرتنا بالحاجة إليها. وهذه التضحية تُدعى بتعبير آخر "الإسلام". والإسلام يعني تسليم العنق للذبح. أي أن تضعوا أرواحكم على عتبة الله برغبة كاملة. إنَّ هذا الاسم الجميل هو روح جميع الشرائع

[٤] - يشير حضرته عليه السلام هنا إلى ما جاء في إنجيل متى٢٦: ٢٨: "لأنّ هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا." (المترجم)

السماوية وأصل التعاليم ونواهّا. إن تسليم المرء عنقَه للذبح برضى وقناعة حقيقيين يتطلب حبًّا تامًا ومعرفة تامة. وهكذا فإنّ كلمة الإسلام تُشير إلى أنّ التضحية الحقيقية تحتاج إلى معرفة كاملة وحبّ كامل ولا تحتاج إلى شيء آخر". (ليكجر (محاضرة) لاهور، الخزائن الروحانية المجلد ٢٠، ص ١٥١-١٥٢)

أسأل الله تعالى أن يهبنا القدرة على تطبيق جميع هذه المواعظ والنصائح، آمين.

(خطبة الجمعة في فرانكفورت ألمانيا في ٢٩-٨-٢٠٠٣)

الشرط التاسع

يتعهد المبايع: "أن يظلّ مشغولاً في مواساة خَلْق الله عامةً، خالصةً لوجه الله تعالى، وأن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلّ ما رزَقه الله من قوًى ونِعَم."

إنّ تعاليم الإسلام غاية في الجمال والكمال، ولم تُهمل أيًّا من جوانب الحياة الإنسانية. ومن مقتضى هذه المنن الإلهية أن نجعل هذه التعاليم التي أنـــزلها على رسوله الحبيب جزءًا من حياتنا لا يتجزأ. بل تقع علينا مسؤولية جسيمة لكوننا قد انضممنا، أو نعلن أننا انضممنا إلى جماعة المحب الصادق، والخادم المخلص للرسول الكريم محمد ﷺ، وإمام هذا العصر (المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام). وكما لَفَتَ الله عزّ وجلّ الانتباه إلى وجوب عبادته وأداء العبد حقوقَ الله، كذلك لفت انتباهنا أيضًا إلى ضرورة أداء حقوق العباد وأمرنا أيضا بأداء حقوقِ مختلف الأقرباء والأصدقاء. وبسبب هذه الأهمية، فقد ذَكر المسيح الموعود عليه السلام، في الشرط التاسع من البيعة، العطفَ على خلق الله تعالى والحقوق التي علينا أداؤها لهم.

يقول الله تعالى في كتابه المجيد:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٧)

الرأفة بالناس جميعًا

إن الله تعالى يأمركم ألا تقتصر مواساتكم وحسن معاملتكم ومساعدتكم وإيصالكم الخير على إخوتكم وأقربائكم والمقربين منكم ومعارفكم وجيرانكم فحسب، بل يأمركم أيضا أن تواسوا وتساعدوا حتى الجيران الذين لا تعرفونهم ولا تتصلون بهم بقرابة أو صلة بل كانت صلتكم أو لقاءاتكم بهم عابرة مؤقتة. وإن ذلك سيؤدي إلى إنشاء مجتمع إسلامي جميل.

إذا تحليتم بالرحمة وخُلق إيصال الخير إلى خَلق الله باعتبارها تندرج في الإحسان الذي يفوق العدل - والمعلوم أن الإنسان لا يحسن إلى الآخرين آملا الجزاء منهم بل يقوم به لوجه الله تعالى ومرضاته فقط - عندها سوف ينشأ ذلك المجتمع الجميل جدًا الذي لا خصام فيه بين الزوج والزوجة أو الحماة وكنّتها أو الإخوة أو الجيران. بل يحاول كلّ واحد أن يكون محسنًا إلى الآخر. ويُحاول كلّ واحد أداء حقوق الآخرين بالحب والرعاية، ولسوف يفعل ذلك كلّه خالصًا لوجه الله

تعالى، حتى إنّ هذا التعامل في مجتمعنا الراهن هو أكثر ضرورة من قبل. ويقول الله تعالى إن لم تتبعوا هذا السبيل، فإنكم ستُعدّون من المتكبرين. والله لا يحب التكبر ولا الاستكبار.

الاستكبار شرّ يصدر عنه كلّ أذى... ولقد شرحتُ هذا الموضوع مسبقًا في الشرط السابع، ولذلك فليس من الضروري الخوض في تفاصيل أخرى عنه. باختصار أقول: يتطلب هذا الشرط منكم أن تكونوا ودودين مع خلق الله تعالى ورؤوفين بهم حتى تكونوا محبوبين لديه ﷻ، وتنالوا فلاح الدارين. يجب أن يكون ما تبدونه للآخرين من تلطّف ورحمة ناشئًا عن حبّ صادق من القلب وليس منًّا على الناس. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الدهر: ٩)

من معاني هذه الآية أنّ الذين يحبون الله، فإنهم رغم احتياجاتهم الشخصية، يهتمّون بحاجات الآخرين للفوز بحبّ الله تعالى. إنهم يظلون جياعا ليُطعموا الآخرين. ولا يبخلون في العطاء بحيث لا يسد عطاؤهم حاجة المحتاج ولا يغنيه من جوع، بل يُساعدون المحتاجين قدر وسعهم. يفعلون ذلك حرصًا على التقوى وفعل الصالحات وليفوزوا برضى الله تعالى، وليس منًّا بالناس. ومعناه أيضا أنهم يعطون ما كانوا بحاجة إليه بأنفسهم، واضعين في اعتبارهم تعليمَ الله تعالى دائمًا بأنّ عليهم أن ينفقوا لوجه الله ﷻ مما يُحبونه لأنفسهم. إنهم ليسوا كالذين يعينون الفقراء والمحتاجين ثم يتباهون بذلك. ومن عادة بعض الناس أنهم يعطون

أشياءهم المستعملة أو ملابسهم المستخدمة للآخرين كهدايا. فعلى هؤلاء الناس احترام كرامة إخوانهم وأَخواتهم، ومن الأفضل لهم في هذه الحالة ألاّ يقدّموا هدايا على الإطلاق إن لم يكن في وسعهم بذل قيمتها، أو عليهم على الأقل أن يخبروا المُعطى لهم أنّ الأشياء مستعملة، ثم يسألوهم إذا كانوا راغبين في قبولها أم لا.

يكتب إليّ بعض الناس قائلين إنهم - من أجل حفلات الأعراس - يُريدون أن يُعطُوا الفتيات الفقيرات ثيابًا جيدة لم تُلبس إلاّ ليوم واحد أو يومين، لأن قياسها لم يعُد يناسب بناتهم أو لسبب آخر، فأقول إنه لا بد في هذه الحال من توضيح ذلك حتى لو قُدِّمت لأهل العروس هذه الأشياء بواسطة الهيئات الفرعية في الجماعة مثل (لجنة إماء الله) أو (خدّام الأحمدية)، أو قدِّمت لأهلها بشكل فردي، إذ لا بد من احترام كرامة الفقير وعزّة نفسه أيضًا وألا يعطوهم مثل هذه الأشياء إلا إذا كانت في حالة جديرة بالإهداء. يجب ألاّ تكون الأشياء المهداة غير قابلة للاستعمال مطلقا.... إلخ.. وإذا ما أهديتم الثياب فيجب أن تكون مغسولة جيدًا، بحيث لا تبقى فيها رائحة العرق أو بُقَع. فلا بد من مراعاة كرامة الفقير أيضا. لذا يجب أن تكون مثل هذه الأشياء قد أُصلحت وصارت في حالة جيدة صالحة للاستعمال.. وكما قلت، فإنّ الهيئات الفرعية في جماعتنا - مثل لجنة إماء الله - أيضًا توزّع ألبسة كهذه. فعليهم أن يبيّنوا بوضوح لمستلميها أنها مستعملة، فإذا أراد أحد فليأخذها وإلا فلا. إنّ لكلّ إنسان كرامته وعزة نفسه، فلا بد من

احترام مشاعره ومراعاتها.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح الآية: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(الدهر: ٩): "…. تذكروا أنّ الله عز وجل يحبّ العمل الحسن كثيرًا، ويحب الرأفة بخلقه. ولو أراد بهم شرا لأمرنا به. ولكن جلال الله منـــزه عن هذا (سبحانه وتعالى شأنه)….. لذا يجب عليكم، يا مَن هُمْ على صلة بي، أن تتذكّروا أن مِن واجبكم أن تواسوا كل شخص أيا كان دينه؛ وأَحسِنوا إلى الجميع دون تمييز، لأنّ تعليم القرآن الكريم هو: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(الدهر: ٩)

ومعلوم أن معظم الأسرى والسجناء كانوا (زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم) كفارا. ثم انظروا إلى قمة المواساة الإسلامية! ففي رأيي لم يحظ دين سوى الإسلام بالتعليم الأخلاقي الكامل. وعندما أستعيد عافيتي سوف أؤلف بإذن الله كتيبا منفصلا حول التعاليم الأخلاقية الإسلامية، لكي يتبين هدفي ويتيسر به لجماعتي تعليم كامل وسبل ابتغاء مرضاة الله. إنني لأحزن كثيرًا عندما أرى أو أسمع بين حين وآخر أنّ فلانا فعل كذا وعلانا فعل كذا. أنا لست سعيدًا بهذه الأمور. ما زلت أرى الجماعة كطفل يمشي خطوتين، ويسقط أربع مرات. ولكنني أعتقد حقًا أنّ الله عز وجل سوف يجعلها جماعة مثالية بكلّ معنى الكلمة. ومن أجل ذلك عليكم أيضا أن تبذلوا جهدًا مُخلصًا، وتثابروا في الدعاء باستمرار لينـــزل الله فضله، لأنه لا يتم شيء من غير فضله. وعندما ينـــزل

فضلُه، يفتح الأبواب جميعها". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٤، ص ٢١٨-٢١٩)

إنّ الكثير من العلل والشرور التي أثارت قلق المسيح الموعود عليه السلام كانت قد اختفت في زمنه، بفضل الله تعالى، بسبب قوته القدسية، والتزام الناس بتعاليمه. كان ولا يزال القسم الأكبر (من الجماعة) بريئا منها بفضل الله تعالى، ولكن كلما نبتعد عن ذلك الزمان يعاود الشيطان هجومه بدس بعض المساوئ في المجتمع. فعلينا أن نتحاشى المساوئ التي ذكرها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وأبدى قلقه تجاهها باتخاذ التدابير اللازمة والدعاء مستعينين بالله سبحانه وتعالى حسب تعليماته، لكي يرزق الله تعالى جماعة المسيح الموعود عليه السلام الكمال دائمًا. وسأقدّم لكم الآن بعض الأحاديث الشريفة.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: إنّ اللّهَ عز وجل يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. (مسلم، كتاب البرّ

والصلة باب فضل عيادة المريض)

وثمة حديث آخر:عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ الخلقُ عيال الله فأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله.(مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، ومشكاة المصابيح كتاب الآداب باب الشفقة والرحمة على الخلق)

وفي حديث آخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: حَقّ الْمُسْلِمِ عَلَىَ الْمُسْلِمِ ستّ. قِيلَ: مَا هُنّ؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلّمْ عَلَيْهِ. وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ. وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ. وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمّتْهُ. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ. وَإِذَا مَاتَ فَاتّبِعْهُ. (مسلم، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام)

بعض الناس لديهم بفضل الله تعالى هذه العادة الحسنة، وهم يذهبون للمستشفيات لزيارة المرضى سواء أكانوا يعرفونهم أم لا. يأخذون الفواكه والأزهار لهم. وهذا أسلوب جيد للخدمة الاجتماعية.

وجاء في حديث آخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىَ بَيْعِ بَعْضٍ. وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التّقْوَىَ هَهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَىَ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرّات، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشّرّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِم. كلّ الْمُسْلِمِ عَلَىَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ.(مسلم، كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله)

وجاء أيضًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولِ الله ﷺ مَنْ نَفّسَ عَنْ

مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدّنْيَا، نَفّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسّرَ عَلَىَ مُعْسِرٍ، يَسّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىَ الْجَنّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرّحْمَةُ وَحَفّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ أَبطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه. (مسلم، كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)

المذكور في البداية هو أن تؤدوا حقوق الآخرين وتسعوا لإزالة كربات إخوانكم وصعوباتهم. فإذا ما فعلتم ذلك، فإنّ الله تعالى سيعاملكم بالمثل يومَ القيامة فيرحمكم، ويُزيل عنكم الكروب والشدائد. وهذه منة سيدنا محمد المصطفى ﷺ علينا، إذ قال إنكم إذا رغبتم أن يغشيكم الله بمغفرته فعليكم أن تُعينوا المكروبين والمبتلين والمحرومين وتساعدوهم قدر استطاعتكم، فسيرحمكم الله تعالى. استروا أخطاء إخوتكم ولا تبحثوا عن خطاياهم لتشيعوها بين الناس. أنتم لا تعرفون كم يوجد فيكم من الخطايا والعيوب التي ستُسألون عنها يوم القيامة. فإذا سترتم أخطاء إخوتكم في الدنيا وحاولتم أن تنصحوهم بتعاطف بدلا من أن تفضحوهم فسيستر الله خطاياكم أيضًا. تلك هي حقوق العباد، فإذا أدّيتموها فلسوف ترثون بركات الله ﷻ.

وجاء في حديث آخر: عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ رَجُلا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. (مسند أحمد، مسند أبي هريرة)

وجاء أيضًا: عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء. (أبو داود، كتاب الأدب باب في الرحمة)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "تذكّروا أنّ الله يأمر بأمرين: أولا، ألاّ تشركوا به أحدًا، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في عبادته، وثانيًا، أن تواسوا الناس. الإحسان لا يعني أن يكون موجّهًا إلى إخوانكم وأقربائكم ومعارفكم فحسب، بل إلى كلِّ إنسان، بل إلى كلّ مخلوق من مخلوقات الله تعالى. لا يهمنّكم ما إذا كان الذي تحسنون إليه هندوسيًا أو مسيحيًا. الحقّ والحقّ أقول لكم إنّ الله قد قرر أن يأخذ ثأركم بنفسه؛ ولا يُريدكم أن تأخذوه بأنفسكم. فكلّما ازداد التزامكم بالرحمة والرأفة وازددتم تواضعا ازداد رضا الله عليكم. إنّ يوم القيامة قريب. لا تقلقوا بما يَصبّ عليكم الخصوم من مصائب. وأرى أنكم ستعانون على أيديهم أكثر، وذلك لأنّ الذين يتجاوزون حدود الأدب والتحضر فينطلق لسانهم سليطا طليقا مثلما ينفجر سيل الطوفان حين يَنهدم السد فيجري من ورائه السيل العارم دونما حاجز أو عائق. وعلى التقيّ أن يحفظ لسانه". (الملفوظات، المجلد ٩، ص ١٦٤ – ١٦٥)

ثم يقول عليه السلام: "اعلموا أن الحقوق نوعان، حقوق الله وحقوق العباد. إن الأغنياء يواجهون الصعوبة حتى في أداء حقوق الله، حيث يحرمهم الكبر والغرور من أدائها. يشمئزّون مثلا من الوقوف بجانب شخص فقير في الصلاة، ولا يُطيقون وجوده في جوارهم، وهكذا يُحرمون من أداء حقوق الله، لأن المساجد هي بيوت المساكين حقا ويرى المتكبِّرون أنّ الذهابَ إليها لا يليق بمقامهم. كما لا يستطيعون أيضًا المشاركة في الخدمات الخاصّة المتعلِّقة بحقوق الإنسان. في حين يكون الفقير مستعدًّا لأية خدمة. فيمكن أن يقوم بتدليك قدميك، أو يُحضر لك الماء، أو يغسل الثياب، ولا يتردد أحيانًا من إماطة البراز أيضا إن دعت الحاجة إلى ذلك، لكن الأغنياء يعدّون مثل هذه الأعمال عارا عليهم، وبهذا يُحرَمون من بركات كثيره أيضًا. وباختصار إن الثراء يحرمك من الحصول على حسنات كثيرة، فلهذا السبب جاء في الأحاديث أنّ الفقراء سيدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمئة عام". (الملفوظات، الإصدار الجديد، ج ٣، ص ٣٦٨)

ويقول عليه السلام أيضًا: "مواساة خلق الله تعالى صفة لو هجرها الإنسان لتحوَّلَ وحشًا بالتدريج؛ لأنها مطلب أساس لإنسانية الإنسان. يكون المرء إنسانًا فقط ما دام يُعامِل أخاه بودّ وتلطّف ورأفة وحنان وإحسان، ويفعل ذلك دونما تمييز. كما قال (سعدي): إن الناس كأعضاء الجسد الواحد. تذكّروا أنّ نطاق المواساة، في رأيي، واسع جدًا. وعليكم ألاّ تستثنوا أيّ قوم أو فرد منه. إنني لا أقول كالناس الجاهلين في هذا العصر

بأنَّ عليكم أن تحصروا مواساتكم وتعاطفكم بالمسلمين فحسب، بل أقول عليكم أن تكونوا متعاطفين مع جميع خلق الله تعالى، بغضّ النظر عمّا إذا كانوا هندوسًا أم مسلمين أم غيرهم. إنني لا أقبل مطلقًا كلامَ الذين يرغبون بحصر المواساة في أهلهم وأبناء قومهم وأمتهم فقط". (الملفوظات، الإصدار الجديد، ج ٤، ص ٢١٦ - ٢١٧)

ويقول عليه السلام أيضًا: "باختصار، إن الشفقة على الناس ومواساتهم عبادة عظمية، وذريعة كبيرة لنيل رضوان الله تعالى، ولكني أرى أن هناك تقصيرا كبيرا في هذا المجال؛ يحتقرون الآخرين ويسخرون منهم. لا بد من أن يتفقدوا أحوال الآخرين بالحسنى، ويعينوهم على مشاكلهم. إن الذين لا يعاملون الفقراء بالحسنى ويحتقروهم فإني أخاف أن يقعوا في نفس المصيبة. إن الذين قد أنعم الله عليهم بأفضاله ينبغي أن يشكروه عليها. والسبيل إلى ذلك هو أن يحسنوا إلى خلق الله، ولا يتباهوا بما أنعم الله عليهم، ولا يدوسوا الفقراء مثل الوحوش". (الملفوظات ج ٨، ص ١٠٢-١٠٣)

ويقول عليه السلام أيضًا: "إن حقوق الوالدين والأولاد والأقارب الآخرين، والمساكين، كما بينها القرآن الكريم لا أظن أنها وردت في أيّ كتاب آخر بالشرح والتفصيل نفسه. يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالا فَخُورا﴾ (النساء: ٣٧)

(جشمه معرفت، (عين المعرفة) الخزائن الروحانية ج ٢٣ ص ٢٠٨-٢٠٩)

المراد من ذي القربى هم الأولاد والإخوة والأقارب القريبون والبعيدون.

ويقول حضرة خليفة المسيح الأول في هذا الشأن: "الدافع من وراء إطعامهم المساكين كما ورد في الآية هو: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الدهر: ١١)

كلمة (عبوس): تعني الشدّة، الضيق، والحبس، والعسر. و(قمطرير): أي طويل وممتد. وتعني هذه الآية أنّ يوم القيامة سيكون يومًا صعبًا وطويلا.وبسبب إطعام الجائعين، فإنّ الله عَزَّ وَجَلَّ سوف ينجّي المرء من الشدّة وطول المعاناة أيام المجاعة. والنتيجة هي: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الدهر: ١٢)

الله عَزَّ وَجَلَّ يحمي الإنسانَ من شرّ ذلك اليوم، وهذه الحماية تكون بصورة النضرة والسرور.

أقول ثانية: تذكّروا إن مساعدة الفقراء والمحتاجين في هذه الأيام سوف تنجيكم من شدائد أيام المجاعة. أدعو الله أن يوفقني وإياكم للسعي من أجل العزة والراحة الأبدية كما نحاول الحصول على العزة المادية.آمين". (حقائق الفرقان، المجلد ٤، ص ٢٩٠-٢٩١)

هذا ما تتميّز به الجماعة الإسلامية الأحمدية، أنّها تشارك في النشاطات المفيدة للمجتمع بقدر ما أعطِيت من قدرة وقوة، وتفعل كلّ

ما في وسعها لخدمة الناس والإنسانية بحسب إمكانياتها سواء بشكل فردي أم على مستوى الجماعة. إنّ أفراد الجماعة يساهمون في مكافحة الجوع، ومعالجة الفقراء، ويقدِّمون الخدمات في حقل التعليم والثقافة، وكذلك في تزويج الفقراء من خلال مشاركتهم في برامج المساعدة تحت رعاية الجماعة. وهكذا يحققون عهد بيعتهم كما ينبغي.

أدعو الله ألاّ نكون مثل تلك الأمم والبلاد التي تُتلف محاصيلها الفائضة بدلا من أن تقدّمها كمساعدة للأمم الجائعة لكونها لا ترى مصالح سياسية أو منفعةً خاصّة في تقديم مثل تلك المساعدة.. أو لأن تلك البلاد أو الأمم الفقيرة لا تقبل جميع تعليماتهم وإملاءاتهم، فهم يتركونها محرومة تعاني من الجوع كعقاب لها على عدم خضوعها لهم. أَدعو الله تعالى أن يوفق الجماعة الإسلامية الأحمدية لخدمة الإنسانية أكثر من ذي قبل.

أودّ القول أيضا: إنّ هذه الخدمة للإنسانية تُقدَّم حاليًا على مستوى الجماعة قدر وسعها. إن الله تعالى يوفق دائما المخلصين من الجماعة لخدمة خلق الله، فهم يقدّمون مبالغ كبيرة من المال تُبذل في خدمة الإنسانية. وبفضل الله تعالى هنالك أطباء ومُعَلّمون ممّن كرّسوا أنفسهم، حيث يخدمون في أفريقيا وربوة (في باكستان) وفي قاديان (في الهند) أيضًا.

إنني أناشد كلّ طبيب أحمدي، وكلّ معلم أحمدي، وكلّ محامٍ أحمدي، بل كلّ فرد من أبناء الجماعة أن يُحاولوا مساعدة الفقراء

والمحتاجين بأي طريقة ممكنة حسب اختصاصهم. فسوف يبارك الله ﷻ في أموالكم ونفوسكم أكثر وأكثر مكافأةً لكم. فإذا قدّمتم جميعا هذه الخدمات الإنسانية بِنيَّة الوفاء بعهد بيعتكم لإمام العصر، فإنّكم سترون عندئذ بإذن الله أنه تعالى سيُمطر عليكم من بركاته ونعمه وأفضاله أكثر ممّا يمكنكم استيعابه والإحاطة به.

مواساة المسيح الموعود عليه السلام لبني البشر

لقد أسدى المسيح الموعود عليه السلام نصيحة حول المواساة والمساعدة المتبادلة بين الإخوة في إحدى المناسبات فقال: "...أما أنا، فلو تناهت إلى سمعي وأنا في الصلاة صرخةُ ألمٍ من إنسان يعاني فإنني أجد في نفسي حماسا لمساعدته إن استطعت ولو بقطع الصلاة، وأجد لزامًا علي مواساته بكلّ ما في وسعي.

ومما يُناقض السلوك الأخلاقي ألاّ يُساعد الإنسانُ أخاه المكروب أو الذي يُعاني من شدّة. إذا لم يكن في وسعكم فِعل أيّ شيء له، فعليكم على الأقل أن تدعوا له. وعليكم أن تطبّقوا هذه الأخلاق وتمارسوها حتى مع الأغيار والهندوس أيضا وليس مع إخوتكم فقط. على المرء ألاّ يكون من الذين لا يهتمّون ولا يُبالون.

كنت ذات مرة أتمشى خارج الدار، وكان برفقتي شخص اسمه عبد الكريم (وكان جابيا لضرائب الأرض) وكان يسبقني قليلا. قابلنا في الطريق سيدةً في السبعين أو الخامسة والسبعين من عمرها، أعطته رسالة

ليقرأها لها فوبّخها ونحّاها جانبًا. أحزنني ذلك منه. فأعطتني السيّدةُ الرسالةَ. فتوقّفتُ وقرأتُها لها وشرحتُها جيدا. مما جعله يندم على ما صدر منه لأنه اضطر للوقوف على أية حال غير أنّه قد حُرم من الأجر". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٤، ص ٨٢-٨٣)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا: "ارحموا عباد الله ولا تظلموهم لا باللسان ولا باليد ولا بطريقة أخرى، واسعوا دائمًا لخير الخلق، ولا تتكبروا على أحد ولو كان مرؤوسَكم، ولا تسبوا أحدًا وإن سبَّكم, وكونوا متواضعين وحلماء وصالحي النية ومواسين للخلق لتكونوا من المقبولين....ارحموا الصغار وأنتم كبار، ولا تحتقروهم، وعِظوا الجاهلين وأنتم علماء، ولا تُذلِّوهم عن عُجْب، واخدموا الفقراء وأنتم أثرياء، ولا تتكبروا عليهم عن زهو، واحذروا سبل الهلاك". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١١-١٢)

ثم يقول عليه السلام: "لسوف يُؤذيكم الناس ويسيؤون إليكم بكل الطرق والأساليب، ولكن على أفراد جماعتي ألاّ يستفزّهم ذلك، فلا تتفوّهوا بكلام مؤذٍ مدفوعين ومنفعلين بثوائر النفس. فالله عز وجل لا يحبّ من يفعل ذلك، بل يريد أن يجعل جماعتنا جماعة مثالية".

ثم يقول عليه السلام: "إنّ الله تعالى يحبّ المتّقين. فعليكم أن تظلّوا خائفين من جلال الله، وتذكروا دائمًا أنّ الجميع خلقُه عز وجل. لا تَضطهدوا أحدًا ولا تحتدموا ولا تنظروا إلى أحد بازدراء. واحذروا من أنه إذا ما وُجد شخص سيئ واحد في الجماعة، فيمكنه أن يفسد الآخرين أيضًا. وإذا ما

كان مزاجكم مائلا تجاه الغضب والحدة فعليكم إذًا أن تتفحّصوا بانتباه شديد، مصدرَ فورانه وسببَه لأنّ هذا الأمر خطير جدًا". (الملفوظات، المجلد ١، ص ٨-٩)

ويقول عليه السلام أيضًا: "ينبغي أن يصل إخلاصكم وولاءكم ورقّتكم وخشوعكم إلى السماء. فالله يحمي عبدا يرى قلبَه مفعمًا بالإخلاص والوفاء ويُنــزل عليه بركاته. فهو عز وجل ينظر إلى قلوبكم وليس إلى كلماتكم وأقوالكم. فإذا وَجد قلبَ عبدٍ نقيًا طاهرًا من الأرجاس والأوساخ فإنه يَنــزل به ويسكن فيه". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٣، ص ١٨١)

"أكرر فأقول إنّ النافعين لخلق الله والكاملين في الإيمان والإخلاص والوفاء سوف يُنجَون بكلّ يقين. ولذلك عليكم أن تنشئوا هذه الميزات في أنفسكم". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٤ ص ١٨٤)

ويقول أيضًا: "لا يمكن أن تُقبلوا في جنابه ما لم يكن ظاهركم وباطنكم واحدًا. ارحموا الصغار وأنتم كبار، ولا تحتقروهم، وعِظوا الجاهلين وأنتم علماء، ولا تُذلّوهم عن عُجْب، واخدموا الفقراء وأنتم أثرياء، ولا تتكبروا عليهم عن زهو، واحذروا سبل الهلاك. وارهبوا الله دائمًا واتّقوه...... وما أشقاه من إنسان لا يؤمن بهذه الكلمات التي خرجتْ من فم الله وبيّنتُها أنا، إن كنتم تريدون أن يرضى الله عنكم في السماء فكونوا مثل

شقيقَين من بطن واحد. إن أكرمكم أكثرُكم غفرانًا لأخيه وشقيّ من يعاند ولا يغفر."

(سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٢-١٣)

ويقول أيضًا: "إن مواساة خلق الله جديرة بالتقدير العظيم، ويُحبّها الله كثيرًا. وهل هناك جزاء أعظم من مواساة الله لمن يواسي خَلْقَه؟ هذا ما نراه في الدنيا أيضا أنه إذا ذهب خادم أحد إلى صديق سيده فلم يهتم به فهل تظنّون أنّ هذا السيد سيكون راضيا عن صديقه؟ كلا! فبالرغم من أنّ الصديق لم يسئ إلى السيد مباشرة. إلاّ أنّ معاملته بخادمه بالإحسان والإكرام كان بمثابة احترام الصديق للسيّد ذاته. وبالمثل فإنّ الله يَكره أن يتجاهل أحد خلقه أو يهملهم، لأنّه يحبّ خلقه جميعًا وهم أعزاء عنده. ولهذا فإن من يواسي خَلق الله فإنّه يُرضي اللهَ حقًا". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٤، ص ٢١٥-٢١٦)

نسأل اللهَ تعالى أن يوفقنا للعمل بنصائح المسيح الموعود هذه وتطبيقها، كما ندعوه أن يمكّننا من أن نكون موفين لعهد البيعة الذي بايعناه عليه، آمين.

(خطبة الجمعة في مسجد الفضل ١٢-٩-٢٠٠٣)

الشرط العاشر

يتعهد المبايع: "أن يعقِدَ مع هذا العبد عهدَ الأُخوة خالصًا لوجه الله.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكُثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدِلها العلاقاتُ الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابةٍ أو صداقةٍ أو خدمةٍ."

لا بد من عقد عهد الأخوة مع المسيح الموعود عليه السلام وخليفته

في هذا الشرط أخذ المسيح الموعود عهدًا منّا أن نعقد معه عقدَ الأخوّة بانضمامنا إلى جماعته. ومعلوم أن المسلم أخو المسلم بشكل عام، لكنّ صلة الحب والأخوّة هنا في هذا العقد تعني أكثر من ذلك بكثير. إذ إن هذه العلاقة ليست بين نُظراء متساوين؛ بل نُقرّ بأنّ تصديق المسيح الموعود عليه السلام وقبوله أمْر من الله ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك فأنتم تعقدون هذا العقد من أجل الله تعالى. إنكم تُلزمون أنفسكم بهذا العقد لتنصروا دين الله عز وجل، ولتبلّغوا دين الإسلام وتنشروه إلى أقاصي الأرض. إنّ هذا العقد يمكن أن يكون ناجحًا ومستديما إذا تمسكتم، بالإضافة إلى ذلك، بالطاعة في كلّ معروف وبقيتم على هذا العهد حتى الموت. ثم يجب أن تحرصوا على ألا يقتصر العهد على هذا فقط، بل يجب أن يزداد

إحكاما كلّ يوم. يجب أن يكون غاية في الإحكام وأن يكون مستواه غاية في الرفعة بحيث تبدو جميع العلاقات والعقود والصداقات بلا معنى بالمقارنة معه.

ثم يقول عليه السلام عن الصِّلات العائلية: يمكن أن تخطر في ذهن المرء فكرة تطبيق قاعدة "خذ وأعط"، وفرض الرأي على الآخرين مرة والنـــزول لرأيهم مرة أخرى. فليتضح هنا أن مَثَل علاقتكم بحضرته عليه السلام كمثل العلاقة بين العبد وسيده بل أكثر من ذلك، فعليكم أن تطيعوه دون كلل أو ملل؛ إذ لا يحق لكم أن تقولوا: إنّ كذا وكذا يتعذر عليكم أو لا يسعكم القيام به في هذا الوقت. فعندما عقدتم عهد البيعة وانضممتم إلى نظام جماعة المسيح الموعود عليه السلام فقد سلّمتم كلّ ما هو لكم إلى المسيح الموعود عليه السلام. فما عليكم الآن إلا أن تطيعوا أحكامه وأن تنفذوا تعاليمه. وبما أنّ نظام الخلافة موجود بعده، لذا عليكم اتّباع قرارات خليفة الوقت وتعاليمه.

يجب ألاّ تظنوا هنا أنّ على الخادم أو التابع أن يطيع ويخدم فقط لأنه لا حول له ولا قوة وأنه مضطر لذلك. فالخدّام أيضًا يتذمرون أحيانًا. حاولوا أن تضعوا في الاعتبار دائمًا أنه بالرغم من أنّ حالتكم هي حالة الخادم إلاّ أنها في الحقيقة أسمى وأعلى بكثير لأنها تتضمن علاقة أخوّةٍ واعترافٍ بالطاعة أيضا لوجه الله تعالى، وعلى ذلك فإنها تتضمن عهد التضحية أيضا. إن الإنسان إذا قدّم التضحية عن رضا وطيب خاطر نال عليها الأجر. وكلّما تأمل الإنسان في هذا الشرط ازداد حبًّا للمسيح

الموعود الَّلِيْلِ، ووجد نفسه ملتزمًا بجماعته أكثر فأكثر. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(الممتحنة: ١٣)

تؤكّد هذه الآية أن يؤخذ عهد البيعة من النساء على ألاّ يُشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين، وألاّ يقتلن أولادهن (يعني أن ينتبهن لتربية أولادهن كما ينبغي) وألاّ يتّهمن أحدًا بالباطل ولا يعصين في معروف. فينشأ هنا سؤال: هل يمكن لرسولٍ من عند الله أن يأمر بغير المعروف بأيّ شكل كان؟ وإذا أمكن للرسول أن يفعل ذلك، فهل يمكن للخليفة أيضًا أن يعطي أوامر خارجة عن نطاق المعروف؟ فليتضح في هذا الشأن جيدا أنه لا يمكن للنبي أن يأمر بغير المعروف مطلقًا. فالرسول لن يقول إلا ما هو معروف فقط. ولذلك قد ذُكر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم أنّ على المؤمن أن يُطيع أوامر الله ورسوله وينفّذها. ولم يرد في أيّ موضع من القرآن أنَّ عليكم إطاعته في المعروف حصرا.

وهنا ينشأ سؤالٌ آخر وهو: لماذا إذًا يوجد تعليمان مختلفان؟ فأقول هذان ليسا تعليمين مختلفين في حقيقة الأمر، ولكنّ بعض الناس أخطأوا في فهمهما. وكما قلت آنفًا: جميع أوامر النبي تكون ضمن "المعروف"، فالنبي لا يمكن أن يُصدر أمرًا يُناقض أو يُخالف أوامرَ الله أو تعاليمَ الشريعة مطلقًا، لأنه مأمور من الله بذلك، فكيف يمكنه إذًا أن يخالف ما

أُمِر به؟ وإنها لبشرى لكم أنكم بقبولكم الرسول - العبدَ المأمور من الله - وبانضمامكم إلى جماعته قد أصبحتم آمنين، لأنكم لن تؤمَروا إلا بما هو "المعروف" والمرضي عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

تعريف "المعروف" و "غير المعروف"

يبتعد بعض الناس أحيانا عن نظام الجماعة ويُضِلّون الآخرين أيضا ويُحدثون مشاكل في محيطهم بناء على تفسيرهم الشخصي للمعروف أو غير المعروف ووجوب الطاعة فيهما. فليتضح لهم أن من واجبهم ألا يخوضوا في تعريف "المعروف" و "غير المعروف" من الأحكام. يقول سيدنا الخليفة الأوّل رضي الله عنه في شرح هذا الأمر:

"ثمة خطأ آخر وهو سوء فهم "الطاعة في المعروف"، بحيث يقولون إننا لن نطيع في الأمور التي نعتقد أنها ليست ضمن "المعروف". هذه الكلمة قد وردت في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم أيضًا، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ (الممتحنة: ١٣) فهل قام هؤلاء الناس بإعداد قائمة ذَكروا أو عَدّدوا فيها أخطاء النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا؟ وبالمثل فقد ذَكَر حضرته عليه السلام "الطاعة في المعروف" في شروط بيعته، وفي ذلك سرٌّ. إنني لا أسيئ الظن إلى أحدكم، بل قد شرحت هذه الأشياء كي لا يُخدع أحد من حيث لا يدري". (خطبات نور، ص ٤٢٠-٤٢١)

كتب المسيح الموعود عليه السلام شارحًا موضوع الآية القرآنية: ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ فقال:

"هذا النبي الكريم يأمر بما لا يتعارض مع المنطق السليم، فهو يمنعكم من الأشياء التي يرفضها العقل والمنطق أيضًا، ويُحِلّ الطيبات ويحرِّم الخبائث ويضع عنكم إصركم ووزركم الذي كنتم ترزحون تحته، ويحرّركم من الأغلال التي كانت عليكم وتمنعكم من أن ترفعوا أعناقكم. ولذا فإنّ الذين يؤمنون به ويؤيدونه بالانضمام إليه وينصرونه ويتبعون النور الذي أُنزل معه سينجون من مصاعب الدنيا والآخرة ومِحَنهما". (البراهين الأحمدية، جزء ٥، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١ ص ٤٢٠)

فبما أنّ النبي لا ينحرف عن أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنّ خليفته - الذي يُعيّنه الله تعالى بواسطة جماعة من المؤمنين - يَنشر التعاليم والأوامر ذاتها التي أنزلها الله لنا بواسطة النبي ﷺ والتي قد شرحها لنا المسيح الموعود عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا العصر كما كان الرسول الكريم ﷺ قد تنبّأ بذلك. ومن خلال نظام الخلافة الذي أقيم في جماعتنا بعد المسيح الموعود عَلَيْهِ السَّلَامُ -والذي سيستمرّ بإذن الله تعالى إلى يوم القيامة بحسب نبوءات النبي ﷺ- لا تزال القرارات تؤخذ على أسس الشريعة والعقل وستظل تؤخذ على الأساس نفسه إن شاء الله. وهذه القرارات هي ما يسمى "الأمر بالمعروف". ولو صادف أن أصدر الخليفة - خطأً أو نتيجة سوء فهمٍ - قرارًا فيه ضرر، فإنّ الله عَزَّ وَجَلَّ سوف يهيئ أسبابا تحول دون نتائجه السيئة المحتملة. وفي هذا الشأن يقول الخليفة الثاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

من الممكن أن يخطئ الخليفة في الأمور الشخصية أحيانًا، ولكنه لو

أخطأ في ما يخص الجماعة ورقيها ماديًا وروحيًا فإن الله تعالى يحمي جماعته من مغبّة خطئه ويطلعه على خطئه بطريق آخر فيتداركه. وهذا ما يسمى "العصمة الصغرى" بحسب مصطلح الصوفية. وهذا يعني أن الأنبياء يتمتعون بِ "العصمة الكبرى"، أما الخلفاء فيتمتعون بِ "العصمة الصغرى"، فلا يدَعهم الله تعالى يرتكبون خطأ فادحا يؤدي إلى هلاك الجماعة. من الممكن أن تحدث في قراراتهم أخطاء جزئية طفيفة، ولكن العاقبة تكون خيرًا، فيجعل الله على أيديهم الإسلام غالبًا وأعداءه مغلوبين، وبتعبير آخر إن سياستهم تصبح سياسة لله تعالى لكونهم يتمتعون بـــ "العصمة الصغرى" من عنده تعالى. لا شك أنهم هم الذين يتكلمون، وأن ألسنتهم هي التي تتحرك، وأن أيديهم هي التي تعمل، وأن عقولهم هي التي تعمل، ولكن يد الله تعالى هي التي تعمل وراء كل هذا. فمن الممكن أن يقعوا في أخطاء جزئية في قراراتهم، كما يمكن أن يُقدّم إليهم المستشارون مشورة خاطئة، ولكن الله تعالى يأخذ بهم سالمين من بين هذه العوائق والعقبات، ويكتب لهم النجاح؛ وكلما اكتملت حلقات قراراتهم جاءت سلسلة أحكامهم سليمة محكمة بحيث لا تقدر قوة على كسرها. (التفسير الكبير، حضرة ميرزا بشير الدِّين محمود أحمد رضي الله تعالى عنه، المجلد ٦، ص ٣٧٦-٣٧٧)

فتبين من هنا أن "غير المعروف" إنما هو المخالفة الصريحة لأحكام الله عَزَّ وَجَلَّ وتعاليم الشريعة.

كما يتضح ذلك من الرواية التالية: فقد وَرَدَ عن عَلِيّ رضي الله عنه "أنّ رَسُولَ

اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلا وَأَمَرَهُمْ أنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَجّجَ نَارًا وَأَمَرَهُمْ أنْ يَقْتَحِمُوا فِيهَا، فَأَبَى قَوْمٌ أنْ يَدْخُلُوهَا وَقالُوا: إنّمَا فَرَرْنَا مِنَ النّارِ، وَأَرَادَ قَوْمٌ أنْ يَدْخُلُوهَا. فَبَلَغَ ذَلكَ النّبيّ ﷺ فقالَ: لَوْ دَخَلُوهَا أَوْ دَخَلُوا فيهَا لَمْ يَزَالُوا فيهَا. وَقَالَ: لا طَاعَةَ في مَعْصِيَةِ الله إنّمَا الطّاعَةُ في المَعْرُوفِ". (أبو داود، كتاب الجهاد باب في الطاعة)

ونجد مزيدا من شرح هذا الحديث في الرواية التالية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ اَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّزٍ عَلَى بَعْثٍ وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمَّا انَتَهَى إِلَى رَأْسِ غَزَاتِهِ أَوْ كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ اسْتَأْذَنَتْهُ طَائفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمَ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ بْنَ قَيْسٍ السَّهْمِيِّ، فَكُنْتُ فِيمَنْ غَزَا مَعَهُ. فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أَوْقَدَ الْقَوْمُ نَارًا لِيَصْطَلُوا أَوْ لِيَصْنَعُوا عَلَيْهَا صَنِيعًا. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ (وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ): أَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ فَمَا أَنَا بِآمِرِكُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ صَنَعْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكُمْ إِلاَّ تَوَاثَبْتُمْ فِي هذه النَّارِ. فَقَامَ نَاسٌ فَتَحَجَّزُوا. فَلَمَّا رأى أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ، قَالَ: أَمْسِكُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ مَعَكُمْ. فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَكَرُوا ذلك لِلنَّبِيّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَمَرَكُمْ مِنْهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَلاَ تُطِيعُوهُ. (ابن ماجة، كتاب الجهاد باب لا طاعة في معصية الله).

لقد اتضح من هذا الحديث أيضا أن القرار بعدم الطاعة لم يصدر عن فرد واحد. بعض الصحابة كانوا مستعدين للقفز في النار على أساس الأمر بطاعة أميرهم وقائدهم في كلّ الظروف، وكانوا قد سمعوا من قبل

وظنّوا أنَّ التعليم الإسلامي هو طاعة الأمير في كل أمر وظرف وبأيّ شكل. لكن بعض الصحابة الذين كانوا أكثر فهما لأوامر الله وأكثر استفادة من صحبة الرسول الكريم ﷺ رفضوا الأمر بعد التشاور فيما بينهم ولم ينفِّذوه لأنه كان يعني الانتحار؛ والانتحار محرّم في الإسلام بكلّ وضوح.

ثانيًا: عندما رأى عبدُ الله بن حذافة ﷺ، الذي كان أميرهم، جدّية بعض منهم قَلق عليهم هو أيضًا فأوقفهم وقال إن ذلك كان مجرَّد مزاح. وبعد ذلك بيّن الرسولُ الكريم ﷺ ما هو "المعروف" وما هو "غير المعروف".

فليتضح أنّه لا يمكن للنبي أو للخليفة أن يأمر بمثل ذلك ولو مزاحا، لذلك قال الله ﷻ إنكم إذا رأيتم مخالفةً من قِبل أميرٍ لحكم صريح فعليكم أن ترجعوا إلى الله وإلى الرسول. لقد أقام الله في هذا العصر الخلافةَ الراشدة من جديد بعد المسيح الموعود ؏، فعليكم أن ترجعوا إلى الخليفة، فإنّ قراره سيكون دائمًا بالمعروف ومنسجما مع أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ. فكما قلت لكم آنفًا، لكم البشرى أنكم مصونون تحت ظلّ "الأمر بالمعروف" دائمًا، ولن يصدر لكم أمر غير معروف.

في هذه الأيام أيضا تثار اعتراضات بأنَّ فلانا يقوم بخدمة الجماعة على ما يرام أو يؤدّي عمله بأحسن ما يمكن ومع ذلك قد تمّ استبداله، ولذلك فإنّ خليفة الوقت أو نظام الجماعة لم يُصدر 'القرار الصائب' وكأنهم يريدون أن يقولوا إن هذا القرار لا يندرج تحت "معروف". الحق

أنّ مثل هؤلاء المنتقدين قد اختلقوا من عند أنفسهم تعريفا لـــ "معروف"، فيظنّون أنّ لديهم الحق في أن يتكلّموا ضد القرار هنا وهناك.

فأقول: أوّلا لا يحق لأحد أن يتكلّم ضد نظام الجماعة في كل مكان. لقد شرحتُ مسبقًا هذا الموضوع بعمق. إن ما يجب عليكم هو الطاعة فقط. فما هو معيار الطاعة؟ يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور ٥٤)

تُناقِش هذه الآية موضوع الطاعة. فالمؤمنون دائمًا يقولون سمعنا وأطعنا، وينعمون بقُرب الله تعالى ويحققون مرادهم بسبب تقواهم. وتعظنا هذه الآية بأن نتأسى بأسوة المؤمنين الصادقين في السمع والطاعة، وألا نحلف قائلين سنفعل هذا أو ذاك. يقول حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية إنّ المنافقين أيضًا يقومون بكثير من الدعاوى، ولكن المطلوب هو الطاعة العَملية. فالله تعالى يأمر أمثال هؤلاء الناس أن يطيعوا طبقًا للمعروف. ولا يمكن للنبي أن يأمركم بما يتعارض مع الشريعة أو العقل والمنطق. فمثلا يقول المسيح الموعود عليه السلام لنا: لقد صدَّقتموني، والآن عليكم أن تقيموا الصلاة خمس مرات في اليوم، وأن تهجروا الكذب والكبر، ولا تغصبوا حقوق الآخرين، وأن يتعايش بعضكم مع بعض بحب وعطف. وكلّ هذا يندرج تحت "المعروف". وما الفائدة إن لم تعملوا بحسب ما ذكره آنفا ثم تقولوا

بأفواهكم سوف ننفذ كل ما تأمروننا به؟

ويدعو الخلفاء أيضا إلى مشاريع مختلفة من أجل التقدم الروحاني للجماعة مثل بناء المساجد وتربية الأطفال تربية صحيحة والتحلّي برحابة الصدر، ودعوة الناس إلى الله، والتضحيات المالية والتّبرعات المختلفة. هذه هي الأمور التي لا بد للمرء من أن يطيعهم فيها، وبكلمات أخرى إنها تقع ضمن "الطاعة في المعروف". لن يطالب النبي أو الخليفة بما يخالف أوامر الله والعقل، ولن يطلب من أحد أن يقفز في النار أو في البحر، لأن الأنبياء والخلفاء يقودون الناس دائمًا إلى صراط الشريعة.

أروع مثال للطاعة

إن أروع مثال للطاعة قد وُجد في المسلمين الأوائل، فعندما عَزل الخليفة عمرُ ﵁ خالدَ بن الوليد عن إمرة الجيش، وولّى بدلا منه أبا عُبيدةَ، لم يأخذ منه أبو عبيدة زمام الأمور ظنا منه أن خالد بن الوليد يؤدي واجبه على أحسن وجه. وعندما علم خالد بن الوليد أنّ الأمر كان قد صدر عن عمر بن الخطاب، مضى إلى أبي عبيدة وقال 'بما أنّ الأمر من الخليفة لذا عليك تطبيقه في الحال ودون أيّ تأخير، وليس لدي أيّ تحفّظ في الخدمة تحت إمرتك، ولسوف أتابع الجهاد تحت قيادتك بكل إخلاص كما كنت سابقا.

هذا هو المعيار الأمثل للطاعة.

قد يقول بعض السذّج إنَّ قرار عمر ﷺ لم يكن صائبًا. هذه أيضًا فكرة خاطئة. فنحن لا نعلم الظروف التي دعت الخليفة عمر لاتّخاذ ذلك القرار، بل هو نفسه كان أعلم بذلك. ولم يكن في ذلك الأمر ما يناقض الشريعة. ثم لا تنسوا أنّ الله ﷻ أيّد قراره هذا، حيث انتصر المسلمون في تلك المعركة. كانت النسبة في هذه المعركة تساوي مئة مقابل واحد، ومع ذلك انتصر المسلمون.

لقد تلقى المسيح الموعود ﷺ أيضًا لقب الحَكَم العَدل بسبب طاعته للنبي ﷺ التي لا يوجد لها نظير، لذلك فإن ادّعاء طاعة النبي ﷺ وحبه لا يتحقق في هذا الزمن إلا من خلال الطاعة الحقّة للمسيح الموعود ﷺ وحبه، ولا يتحقق دعوى حب الله تعالى إلا باتباع النبي ﷺ، كما قال ربنا ﷻ في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنوبَكُم واللهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾ (آل عمران ٣٢)

نال المسيحُ الموعود ﷺ كل بركة من محمد ﷺ

يقول المسيح الموعود ﷺ:

"لقد تلقّيتُ قدرًا كاملا من النعمة التي قد رُزق بها أنبياء الله ورسله وغيرهم من المصطفيْن الأخيار، ولكن ليس عن جدارة أو استحقاق مني، بل بفضل الله تعالى فقط. وكان من المحال أن أحظى بهذه النعمة لو لم أتّبع سنن سيدي ومولاي محمد النبي الكريم فخر الأنبياء وخير الورى ﷺ. فكل ما نلته إنما نلته نتيجة اتّباعي سنّة محمد ﷺ وصراطه. إنني

لأعلم يقينا – بناء على معرفتي الحقة التامّة – أنه لا يمكن لأحد الوصول إلى الله ولا يمكن أن يكون له نصيب من المعرفة الكاملة دون اتّباع رسوله الكريم ﷺ. دعوني أخبركم هنا ما هو ذلك الشيء الذي ينشأ في القلب أوَّلا نتيجةَ الاتباع الصادق والكامل لرسول الله ﷺ. فاعلموا أنه هو القلب السليم.. أي يغادر حبُّ الدنيا القلبَ فيتطلع القلب إلى الحصول على متعة خالدة غير منقطعة، ثم بسبب هذا القلب السليم يتيسر حب الله الكاملُ الصافي، ويرث المرء كل هذه النعم ببركة اتّباعه للنبي ﷺ، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(آل عمران ٣٢).

والحق أنّ ادعاء الحب من جانب واحد إنما هو كذب وادعاء فارغ. عندما يحبّ الإنسانُ اللهَ بصدق وإخلاص فإنّ الله يحبه أيضًا، ثم يوضع له القبول في الأرض، ويوضع له حبّ صادق في قلوب الآلاف من الناس وتوهب له قوّة الجذب، ويعطَى نورًا يَظلّ دائمًا معه.

عندما يحِب الإنسانُ اللهَ بقلب مخلص، ويُؤثره على العالم كلّه بحيث لا تبقى في قلبه عظمة وشوكة لغيره، بل يعدّ الأشياء الأخرى كلها أحقر من دودة ميتة، فإنّ الله الذي يرى قلبَ هذا العبد يَنــزل عليه بِتجلٍّ عظيم. وكما أن الشمس تنعكس كاملة في المرآة الصافية الموضوعة إزاءها بحيث يمكن القول على سبيل الاستعارة والمجاز إنّ الشمس الموجودة في المرآة هي ذاتها التي في السماء، فكذلك يَنــزل اللهُ على مثل ذلك القلب ويتخذ منه عرشا له. وهذا هو الأمر الذي خلق

الإنسان من أجله". (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٤-٦٥)

لقد اتخذ الله عَزَّوَجَلَّ القلب الطاهر للمسيح الموعود عليه السلام عرشًا له بسبب حبه وعشقه للنبي صلى الله عليه وسلم، ولسوف يستمر الله في النـــزول على القلوب في المستقبل أيضا حسب كفاءاتها. ولكن لن يكون ادعاء حب محمد صلى الله عليه وسلم وطاعته التامة صادقا ما لم يتوثّق عهد الحب والطاعة مع ابنه الروحاني. ولذلك فإن المسيح الموعود عليه السلام يقول: اعقدوا معي صلة الإخوة التي تكون فوق جميع الصلات. هكذا يمكن للمرء أن يتّبع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فيحصل على حب الله تعالى نتيجة ذلك. إنه عليه السلام لا يقول ذلك هكذا، بل قد أَخبرَنا الرسولُ الكريم صلى الله عليه وسلم ذاته هذا عندما قال: إذا شهدتم زمن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام فبايعوه ولو حبوا على الثلج واقرؤوا عليه مني السلام. ما الحكمة في هذا التأكيد الشديد لإبلاغ السلام بتحمّل كل هذا العناء؟ إنما يقصد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أنني أحبه وهو يحبني. فالقاعدة تقول إن الوصول إلى من تُحبه إنما يتأتى من خلال أحبائه. ولذلك فهو يقول: إذا كنتم تريدون أن تتبعوني فاتبعوا المسيح الموعود عليه السلام واقبلوه كإمام وانضموا إلى جماعته. ولذا فقد ورد في الحديث:

"ألا إن عيسى بن مريم (أي المسيح الموعود عليه السلام) ليس بينه وبيني نبي ولا رسول، إلا إنه خليفتي في أمتي من بعدي، ألا إنه يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية." (أي لا تؤخذ الجزية في زمن المسيح

الموعود عليه السلام لأنه لن تكون هناك حروب دينية). ألا من أدركه منكم فليقرأ عليه السلام." (المعجم الأوسط والصغير للطبراني، مَن اسمه عيسى)

وبدلا من التفكّر بهذا الحديث وبدلا من الاستماع إلى الذين تفكّروا فيه وبيّنوا معانيه العميقة، مضى علماء اليوم وراء معناه الحرفي وأضلّوا البسطاء من المسلمين، فأحدثوا ضجة وشغبا إلى حد لا يطاق. نعوذ بالله من ذلك ونفوض أمرهم إلى الله فهو الذي يحاسبهم.

يبدو واضحًا من هذا الحديث أنّ المسيح الموعود عليه السلام سيكون حَكَمًا عدلا ولن يفعل أيّ شيء يُناقض العدل. وهو الإمام الذي سيرسّخ العدل في العالم. ولذلك فعليكم أن تُنشئوا صلة معه واتّبعوا أوامره، واعملوا على تعاليمه، لأنه لا يُعلِّم إلاّ الحق والعدل، وما هذا إلاّ تعليم القرآن المجيد.

إنّ أهل هذا الزمان يتخيلون كسر الصليب بحيث يأتي المسيح الموعود – حسب زعمهم – حاملا المطارق ليكسر بها الصلبان. إنَّ ذلك لَفهمٌ سطحيّ سخيف ومرفوض. بل من الواضح تمامًا أنّ المسيح الموعود سوف يُقنِع الآخرين بالأدلة والبراهين متّبعًا سنّة سيده الكريم ﷺ وأنّه سوف يبدّد العقائد المسيحية الخاطئة ويفضحها ببيانه وهداياته. إنما المقصود بقتل الدجّال أنّ المسيح الموعود عليه السلام سوف يُنقذ الأمة من شرّه. وبالإضافة إلى ذلك ستُلغى الجزية لأنّه لن تكون هناك حروب دينية.

ثم أُمِر المسلمون بتبليغ السلام للمسيح الموعود ، ولكنّ عامة المسلمين اليوم يصرّون على معارضته ومحاربته بدلا من تبليغ السلام له. فندعو الله تعالى أن يهبهم العقل والفطنة.

وثمة حديث آخر يبيّن مكانة المسيح الموعود ، والحكمةَ من طاعته، فعن أبي هريرة قال، قال رسول الله : لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسى بْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، وَإِمَامًا عَدْلا، فَيَكْسَرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيض الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ. (ابن ماجة، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج). ولَمّا كان هذا الحديث يتطلّب تأويلا سليمًا، لذا فإنَّ أصحاب العقول الناقصة لم يفهموه إذْ تمسّكوا بحرفيّته وفسروه تفسيرا مضحكًا سخيفًا.

من الواضح تمامًا أنّ "قتل الخنزير" يشير إلى القضاء على الأفكار الفاسدة (الخنزيرية). إن مساوئ الخنزير بالمقارنة مع الحيوانات الأخرى قد صارت معروفة الآن. فلو نشأت المساوئ ذاتها في البشر فلا بد من تطهيرهم.

وهناك نقطة أخرى لم يفهمها هؤلاء الناس، وهي القول بأنّ الإمام المهدي سوف يعطي المال ويوزّعه بغير حساب. منذ أيام قليلة فقط عَقَدَ بعضُ العلماء اجتماعًا في باكستان واستخدموا فيه لغة بذيئة مبتذلة ضدّ المسيح الموعود وجماعته، أثاروا مسألة أنّ المسيح سيأتي ليوزّع المال، ولا ليطلبه من الناس. وقالوا: أما الأحمديون (القاديانيون حسب

قولهم) يجمعون التبرعات، الأمر الذي يبرهن على أنّهم كاذبون.

هل لعاقل تفهيمهم أنّ المقصود بـــ"المال" إنما هو الكنوز الروحانية التي يوزّعها المسيح الموعود، والتي يرفضون قبولها؟ الواقع أنّهم لا يملكون إلا عينًا دنيوية ولا يعْدون قدْرهم، فدَعُوهم يفعلون ما يشاؤون. على المسلمين الأحمديين في باكستان ألاّ يخافوهم، بل عليهم أن يغضوا الطرف عن بذاءة هؤلاء المشايخ وسخفهم، وأن يمروا بهم معرضين عنهم متحلين بالصبر والثبات. يجب أن نعترف بهزيمتنا في مواجهة بذاءة هؤلاء العلماء وسخفهم، وبأننا لا نستطيع منافستهم في هذا السلوك الشائن. غير أنني أريد أن أوّضح نقطة مهمّة، وهي أن المرء عندما لا يردّ بالكلام دفاعًا عن نفسه في مواجهة أمثال هؤلاء، فإنّ الله تعالى يتولّى الردَّ عنه. ولقد شهدنا كيف رد الله على هؤلاء، إذ رأينا أشلاء الخصوم مبعثرة في كلّ مكان، ولسوف نشهد ذلك في المستقبل أيضًا إن شاء الله تعالى. لذلك فإنّ على الأحمديين أن يوثّقوا صلة وفاء وإخلاص مع المسيح الموعود عليه السلام وأن يركّزوا على الدعاء، فاستمروا في الدّعاء في كلّ الأوقات. تُبرهن هذه الأحاديث أيضًا على أنّ المسيح الموعود سيكون هو الإمام، وسيكون أيضًا الحَكَم وأميرَ العدل. فعليكم أن توثقوا صلتكم به بإخلاص. ومن الواجب أن تُطيعوه باعتباره "الحَكَم" و "الإمام". إنّ هذه التعاليم هي لتربيتكم وإصلاحكم. فعليكم العمل بها لتُعَدُّوا من الذين هم أحباء الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، والذين قد حظوا بقُرب الله عزّ وجلّ.

الطاعة في جميع الظروف

سوف أقدّم لكم الآن بعض الأحاديث التي تُبيِّن أهمية الطاعة:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك. (مسلم، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية).

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه فإنه مَن فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية. (البخاري، كتاب الفتن باب قول النبي: سترون بعدي أمورا تنكرونها)

عن عرفجة، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن أتاكم، وأمْرُكم جميعٌ على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه. (أي فاقطعوا علاقتكم به ولا تطيعوه ولا تسمعوا له) (مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع)

وعن عبادة بن الصامت، قال: بايعْنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لَوْمَة لائم. (مسلم، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية)

وعن ابن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: من خلع يدًا من طاعة، لقي الله يوم القيامة، لا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة،

مات ميتة جاهلية. (مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن)

إذن، فأنتم محظوظون بأنّكم قد آمنتم بإمام الزمان، ودخلتم في عهد البيعة معه. والآن عليكم أن تُطيعوه مخلصين لوجه الله تعالى وتعملوا بجميع أوامره، وإلاّ فإنّكم ستخرجون من دائرة طاعة الله ﷻ. أسألُ الله تعالى أن يثبِّت كلّ أحمديّ على المعيار الأسمى من الطاعة. وكيف يمكنكم أن تحرزوا مثل هذه المعايير العليا؟ لا يمكن ذلك إلا بالعمل بتعاليم المسيح الموعود عليه السلام.

من يدخل الجماعة؟

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إنما يدخل في جماعتنا مَن يتبنّى تعاليمي منهجًا لحياته، ويعمل بها قدر وسعه وقدراته. ولكن الذي يكتفي بمجرد تسجيل اسمه في البيعة دون أن يعمل على تطبيق التعاليم، فعليه أن ينتبه إلى أنّ الله قد أراد أن يجعلَ هذه الجماعة جماعةً متميّزة. ولن يُعَدَّ أحدٌ منها بمجرد تسجيل اسمه فيها، ولسوف يأتي وقت ينفصل فيه عنها. لذلك عليكم أن تجعلوا أعمالكم، قدر الإمكان، تابعة للتعاليم التي أعطِيتموها.

ما هو هذا التعليم؟ يقول حضرته عليه السلام:

"لا تقولوا كلاما مثيرا للفتن، ولا تثيروا الشر، واصبروا على الشتائم، ولا تُصادموا أحدًا. وإذا ما صادمكم أحد فعاملوه بلطفٍ وبرٍّ. كونوا

مثلا فائقًا في طيب الكلام. أطيعوا بكلّ صدق وإخلاص كلّ أمرٍ كي يرضى الله عنكم. ولكي يدرك الخصومُ أيضا أنّكم لم تعودوا بعد البيعة كما كنتم من قبل. اشهدوا بالحق في المحاكم. على كلّ من ينضم إلى هذه الجماعة أن يلتزم الصدق بكلّ قلبه وروحه وعزيمته، فالدنيا تقْرُب من نهايتها". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلّد الثالث، ص ٦٢٠-٦٢١)

يقول المسيح الموعود عليه السلام هنا إنّ عليكم ألاّ تقولوا كلاما مثيرا للفتن. من عادة بعض الناس نشر الشائعات بهدف التسلية فقط، والحق أنها عادةٌ خطيرة مثيرة للفتن. الناس مفطورون على طبائع مختلفة، فإذا قيل لشخصٍ شيئا يسيئ إليه فسوف يستاء ممن قال له ذلك. ورغم أنني لا أرى مبررًا لذلك الاستياء، غير أن هناك طريقة أفضل لإيقاف مثل تلك الفتن، وهي أن يذهب الذي وصله الكلام إلى من نُسب إليه الكلام، ويسأله: لقد وصلني هذا الكلام فهل أنت قلته؟ فهذا الأمر سوف يوضّح المسألة؛ وسيساعد أيضًا في إصلاح مثيري الشرّ ومروّجي الفتن.

ويحدث أحيانًا أن مثيري الفتن هؤلاء ينجحون في إحداث الخلافات والخصومات بين العائلات. فابتعِدوا عما يثير الفتنة واجتنبوا أمثال هؤلاء الأشرار. وإذا كان بمقدوركم إصلاحهم فافعلوا ذلك.

وينشأ الشرّ والفتنة أيضًا من المصادمات والمخاصمات والإساءات المباشرة، لذا يقول لنا المسيح الموعود عليه السلام: إذا كنتم مني وتدّعون

طاعتي فاجتنبوا كلّ شر وفتنة، وتحلّوْا بالصبر والتسامح بحيث إنه لو أساء إليكم أحد أو شتمكم، فإنّ عليكم أن تتمسكوا بأهداب الصبر. فالعمل بهذا التعليم سيفتح لكم أبواب الخلاص وستدخلون في الذين قد فازوا بقرب الله تعالى.

يجب ألاّ تتنازعوا في أمر من الأمور. وتذللوا كالكاذبين رغم كونكم صادقين، وعاملوا الجميع بمحبة وعطف بغضِّ النظر عمّا قالوا.

يجب أن تكون ألسنتكم طاهرة، وكلامكم حُلوًا، وأخلاقكم حسنة تجذب الناس إليكم. يجب أن يدرك الناس جميعًا أنّكم مسلمون أحمديون، وألاّ يُتوقّع منكم ما هو أقلّ من القيم الأخلاقية السامية. يجب أن تكون أخلاقكم السامية مدعاة لجذب الناس ولِشَدّ انتباههم.

يُدلي بعضُ الناس بشهادات كاذبة في القضايا لمصالح شخصية، ويطرحون قضيتهم بشكل زائف. يقول المسيح الموعود عليه السلام: يجب ألاّ تمنعكم مصالحكم الشخصية من أداء الشهادة الصادقة. إن بعض الناس هنا وفي بلدان أخرى يقدِّمون للحكومة معلومات زائفة للإقامة فيها. يجب أن تجتنبوا جميع هذه التصرفات. قدِّموا طلباتكم الخاصّة بالهجرة مبنيةً على معلومات صحيحة. فإذا مُنِحتموها على هذا الأساس فبها ونِعمت، وإلاّ فعودوا إلى بلادكم. عليكم التزام الصدق في جميع الحالات، واعلموا أنّ بعض الطلبات تُرفض حتى لو تم تلفيقها، فلماذا لا تجربون الصدق فإنه سيُفيدكم بإذن الله؟ ولو رُفض طلبكم، فإنّكم لا تجلبون عليكم سخط الله بسبب عدم لجوئكم إلى الكذب.

طوِّروا أُخوّةً ونَمُّوا حُبًّا

وفيما يخصّ الحب المتبادل والأخوّة الصادقة ينصحنا المسيح الموعود عليه السلام قائلا:

"أنشئوا أخوّةً وحبًّا فيما بينكم، وتخلّوا عن الهمجية والنـــزاع. امتنعوا نهائيًا عن أيّ نوع من الهزل والسخرية لأنها تنأى بكم عن الحقيقة وتُضلّكم ضلالا بعيدًا. عامِلوا بعضكم بعضًا باحترام. على كلّ واحد أن يؤثر راحة أخيه على راحة نفسه. تصالحوا مع الله تعالى وارجعوا إلى طاعته..... تخلصوا من كلّ نوع من النـــزاع والثورة والعداوة فيما بينكم، لأنّ الوقت قد حان لتمتنعوا عن الأمور التافهة وتنشغلوا في أعمال وأهداف عظيمة". (الملفوظات، المجلد ١، ص ٢٦٦-٢٦٨)

ثم يقول عليه السلام:

"على جماعتنا أن تفوز بِصلة مخلصة بالله تعالى، وعلى أفرادها أن يكونوا شاكرين لله تعالى على أنه لم يتركهم هكذا، بل أَظْهَر مئات الآيات على قدرته لرفع إيمانهم إلى مستوى اليقين. هل مِنكم مَن يستطيع القول إنه لم يرَ أيّة آية؟ إنني أقول بكل يقين أنه ليس هناك واحد ممّن تيسرت له صحبتي و لم يرَ آيات الله المتجددة بأمّ عينيه.

إن ما تحتاج إليه جماعتنا هو أن يزدادوا إيمانا، وينالوا يقينا حقيقيًّا ومعرفة صادقة بالله تعالى، ولا يتوانوا ولا يتكاسلوا في الأعمال الصالحة،

لأن المرء إذا تكاسل وجد الوضوء أيضا صعبًا جدًّا، بَلْهَ أن يتهجّد. فلو لم تنشأ القدرة على الأعمال الصالحة، ولم يكن هناك حماس للاستباق في الخيرات، فلا فائدة من إنشاء الصلة معي". (الملفوظات، الإصدار الجديد، المجلد ٢، ص ٧١٠-٧١١)

لقد ركّز المسيح الموعود عليه السلام في الشرط العاشر من البيعة على ضرورة إنشاء صلة قوية معه، بحيث لا يماثلها أية صِلة دنيوية أخرى. ولم يؤكد على ذلك إلا شفقةً علينا وإنقاذا لنا من الهلاك، لأن الإسلام الحق لا يتيسر إلا بقبوله وتصديقه. فإذا أردنا أن نُنقذ أنفسنا من الغَرق، فلا بد لنا من الركوب في سفينة المسيح الموعود عليه السلام.

يقول عليه السلام:

"سارِعوا الآن إليّ، ومَن سعى إلي الآن كان كالذي يركب السفينة عند الطوفان. أما الذي لا يقبلني فإني أراه يُلقي بنفسه في الطوفان، وليس عنده مِن وسيلة تنقذه. إنني شفيع صادق وظلّ للشفيع المعظّم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لم يقبله العميان في هذا الزمان، بل احتقروه بشدّة". (دافع البلاء،الخزائن الروحانية المجلد ١٨، ص ٢٣٣)

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام ذلك لأنّ دعواه مبنية على نبوءات النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

فائدتان للبيعة على يد المسيح الموعود عليه السلام

ثم يقول عليه السلام:

فهناك فائدتان من البيعة على يدي، أولا: أن الذنوب تُغفر، ويصبح الإنسان مستحقًا لمغفرة الله تعالى حسب وعده. ثانيا: يوهب التائب قوةً لدى التوبة أمام المأمور من الله فيتّقي هجمات الشيطان. فحذار ثم حذار أن تكون الدنيا هي المقصود من الدخول في هذه الجماعة، بل ينبغي أن يكون الهدف هو رضا الله تعالى. فإن الدنيا دار فناء ولا بد أن تنقضي في كل حال. يقال في المثل الفارسي: الليلُ ينقضي لا محالة، سواءً نمتَ على سطح التنور أو على فراش الحرير.

يجب أن تتركوا الدنيا وأهدافها كليًّا، ولا تخلطوها بالدين إطلاقًا، لأن الدنيا فانية، أما الدين وثماره فهي باقية. (الملفوظات، المجلد ٦، ص ١٤٥)

المسيح الموعود عليه السلام هو الحصن الحصين في هذا الزمن

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"يا أعزّتي، ويا أحبّائي، ويا أيها الأغصان الخضراء من شجرة كياني، الذين قد دخلتم في جماعتي برحمة الله، وتضحّون في هذا السبيل بحياتكم وراحتكم ومالكم، إني أعلم أنكم تعتبرون تنفيذ أوامري مدعاة لسعادتكم، ولن تقصّروا في ذلك قدر وسعكم، ولكني لا أريد أن أفرض عليكم من نفسي شيئا، كي لا تتم خدماتكم نتيجةً لأوامري لكم، بل برغبتكم الحرّة.

من هو صاحبي، ومن هو حِبِّي؟ إنما هو ذلك الذي يعرفني حقاً. ولكن من يعرفني حقا؟ إنما هو ذلك الذي يوقن بأني مرسَل، ويقبلني كما يُقبَل المرسَلون.

الدنيا لن تقبلني لأني لست منها، ولكن الذين وُهبتْ فطرتُهم نصيبًا من ذلك العالَم هم يقبلونني، وسوف يقبلونني. إن الذي يهجرني إنما يهجر مَن بعثني، وإن الذي يوطد الصلِة بي إنما يوطدها بالذي جئتُ من عنده. إن في يدي سراجًا، مَن أتاني نال من هذا النور نصيبًا، ولكن الذي يفرّ عني من جراء الشك وسوء الظن فسوف يُلقَى في الظلمات. أنا الحصن الحصين لهذا العصر، مَن تحصَّن بي فقد وقى نفسه من السارقين وقُطَّاع الطرق والوحوش الضارية، وأما الذي يسعى ليبقى بعيدًا عن أسواري، فسيواجه الموت من كلّ طرف وصوب حتى لن تسلَم جثّته.

فَمَن الذي يَدخل حصني؟ هو من يَهجُر الرّذيلة ويَختار الفضيلة، ويَتخلّى عن الاعوجاج، ويَسير في سبيل الصدق والسداد، ويُحرّر نفسَه من عبودية الشيطان، ويَصير عبدًا مطيعًا لله تعالى. فكلّ من يَفعل ذلك فهو مني وأنا منه، ولكن لن يقدر على ذلك إلا الذي يضعه الله تعالى تحت ظل النفس المزكِّية، فيضع هذا المزكّي قدمَه في جحيمِ نفسِ هذا العبد، فتبرُد كأنها لم تكنْ فيها نارٌ قط. ثم يُحرِز هذا العبد تقدمًا إثر تقدم حتى يَسكن روحُ الله تعالى فيه ويستوي رب العالمين على قلبه بتجلٍّ خاص، فتزول بَشَرّيته القديمة ويُوهَبُ إنسانيةً جديدة طاهرة، كما

يَصير اللهُ تعالى له إلهاً جديداً ويؤسِّس معه صِلةً جديدة خاصة، فينال في هذا العالم نفسه جميعَ الأسباب الطيبة لحياة الجنة". (فتح الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٣٤-٣٥)

وفّقنا الله جميعا لإيفاء جميع الوعود التي قطعناها مع سيدنا المسيح الموعود ، ووفقنا أن نتمسك بكافة شروط البيعة ونعمل بتعاليمه فنجعل حياتنا مثالا رائعا للجنة، ونرث جناته في الآخرة أيضا. ندعو الله تعالى أن يعيننا في ذلك. آمين.

(خطبة الجمعة، ١٩-٩-٢٠٠٣ في مسجد "الفضل" بلندن)

نماذج الثورة الروحية

التي حدثت بعد بيعة المسيح الموعود عليه السلام

طوبى لكم فإنكم سائرون دائمًا على ضوء قرارات هي ضمن الأمر بالمعروف

﴿يَا أَيُّهَا النبيّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا ولايَسْرِقْنَ ولايَزْنِينَ ولايَقْتُلْنَ أَولادَهُنَّ وَلايَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلايَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة ١٣)

شَرحتُ في خطبة الجمعة السابقة الشّرطَ العاشر والأخير من شروط البيعة؛ وإنّني أودّ توضيح مفهوم الطاعة بالمعروف توضيحا أكثر.

مفهوم الطاعة في "المعروف"

الآية التي تلوتها آنفا تؤكد على أخذ البيعة من النساء على ألاّ يُشركن بالله أحدًا وألاّ يَسرقن ولا يَزنين ولا يَقتلن أولادهنّ ولا يُهملن تربيتهم الأخلاقية؛ ولا يَتّهمن أحدًا زورًا؛ ولا يَعصين في المعروف.

ينشأ هنا سؤال: هل يمكن لنبيّ يبعَثه الله ﷻ أن يأمر بغير المعروف؟ فإذا كان صدور ذلك ممكنا من نبيّ، فيمكن لخلفائه أيضا أن يُصدروا أوامر مخالفة للمعروف.

فليكن واضحا أنه لا يمكن لنبيّ أن يأمر بغير المعروف، بل كل ما يأمر به لا بد أن يكون معروفا، ولا يمكن أن يقول غير ذلك على الإطلاق. ولذا فقد قال القرآن الكريم مرارا أنّ عليكم أن تطيعوا أوامر الله والرسول، ولم يذكر مطلقًا أن تقتصروا في طاعته على"المعروف".

وينشأ هنا سؤال آخر: لماذا هناك نوعان مختلفان من الأوامر؟ الحقيقة أنه ليس ثمة تناقض في الأوامر؛ وإنما هو سوء فهم فقط.

وكما قلت سابقا إنّ أيّ أمر يُصدره النبيّ لا بد أن يكون معروفا، فلا يمكن لنبيّ أن يُصدر أيّ تعليم يُناقضُ أوامر الله ﷻ وقوانينَ الشرع، لأنه مأمور بطاعة أوامر الله، فكيف يمكن أن يقوم بعمل يتنافي مع ما أمر به؟

إنّها بشرى لكم أنّكم بإيمانكم بنبيّ مبعوث من عند الله تعالى وبانضمامكم إلى جماعته قد حفظتم أنفسَكم ووقيتموها. فأنتم مصونون لأنكم لن تتلقوا أيّ أمر مبنيّ على غير معروف، بل كل ما تؤمرون به هو مرضي عند الله.

يوضّح الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام هذه المسألة بقوله: "هناك خطأ آخر يتعلّق بفهم "الطاعة في المعروف"، فهناك من يقول إننا لن نطيع فيما لا نراه معروفا. لكني أقول قد وردت هذه الكلمة في حقّ

الرسول ﷺ: ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوف﴾(الممتحنة ١٣)، فهل أعدّ هؤلاء الناس قائمة لأخطاء النبي ﷺ أيضًا؟ وبالمثل فقد ذَكَر حضرته عليه السلام "الطاعة في المعروف" في شروط بيعته أيضًا، وفي ذلك سرٌّ. إنني لا أسيء الظن بأحدكم، وإنما شرحت هذه الأمور كي لا يُخدع أحد منكم من حيث لا يدري". (خطبة عيد الفطر بتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٠٩، خطبات نور، ص ٤٢٠-٤٢١)

الثورة الروحية التي أحدثها المسيح الموعود عليه السلام

والآن أريد أن أبيّن ما إذا كان المبايعون قد عملوا بالشروط العشرة للبيعة بعد الانضمام إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام ببيعته ضاربين أروع الأمثلة للطاعة الكاملة أم اكتفوْا بالتباهي وثرثرة اللسان فقط؟

لقد اخترتُ لهذه الغاية أمثلة تُبيّن التغيير الطيّب والثورة الروحية التي أحدثها المبايعون في أنفسهم بعد البيعة، وذلك في زمن المسيح الموعود عليه السلام وفي هذا العصر أيضا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"أُعلنُ حالفًا أنّ هناك مئة ألف شخص على الأقل في جماعتي ممّن قد آمنوا بي بصدق القلب ويقومون بالأعمال الصالحة، وعندما يستمعون إليّ تفيض أعينهم من الدمع حتى تبتلّ جيوبهم." (سيرة المهدي، المجلد الأول، ص ١٦٥، الطبعة الثانية عام ١٩٣٥)

اجتناب الشرك

من شروط البيعة أنّ على المبايع اجتناب الشرك.

و لم يضرب أمثلةً رائعة في هذا الصدد رجالنا فحسب، بل إنّ نساءنا أيضًا قد قدَّمن نماذج مثالية في العمل بهذا الشرط، فنجد قلوبَنا مفعمة بحمد الله تعالى لمشاهدة هذا التغيّر الثوري فيهنّ، حيث يصعد منها دعاء عفوي للمسيح الموعود عليه السلام.

هناك مثالٌ مُلفت نجده في حياة والدة شودري محمد ظفر الله خان يبين مدى كراهيتها للشرك. كان عديد من أولادها قد ماتوا في طفولتهم المبكرة، وذات مرّة مرض أحد أطفالها[٥]. وبينما كان الطفل قيد العلاج جاء شخص بتعويذة (حجاب)، فأرادت امرأة أن تضع التعويذة في عنق الطفل، فانتزعتها أمّه وألقت بها في النار قائلة: "إنّ يقيني الكامل هو في الله خالقي وربّي، ولا أرى لهذه الرقى والتعاويذ أية قيمة أو فائدة".

وعندما بلغ هذا الولد شهرين، أخذتْه أمه إلى بيت حميها في مدينة (دَسْكَه)، ومكثت هناك ستة أشهر. ولما صار عمر الولد ثمانية أشهر أحضرته إلى بيت والديها. وبعد ستة أيام أتت المرأة ذاتها (واسمها "جي ديوي") لتزورها مرّة أخرى. فقبّلت الولد وطلبت من أمه ثيابا ومؤنا أخرى وكأنها تقول إن هذه الأشياء سوف تَدفع البلاء عن الطفل.

---

[٥] – وكان اسمه ظَفَر. (المترجم)

فردّت الأم على ذلك بصرامة وقالت: أنت أرملة فقيرة، فإذا أردتِ شيئًا كصدقة فسيسعدني أن أعطيك ما تريدين بقدر استطاعتي، ولكنني لست من الذين يؤمنون بالأرواح الشريرة، بل أؤمن أنّ الموت والحياة بيد الله ﷻ. ولا أؤمن مطلقًا أنّ لأحدٍ سوى الله دخلا في هذه الأمور، إنما أعتبر هذا شركا بالله تعالى، وأكره ذلك كراهية شديدة، فلن أعطيك شيئا على الإطلاق. فأجابت (جي ديوي): إذا كنتِ تريدين إنقاذ حياة طفلك، فعليكِ أن تعيدي النظر في هذا الأمر وتعطيني ما طلبتُ.

بعد بضعة أيام، وبينما كانت الأمّ تُحمّم ولدها، جاءت (جي ديوي) ثانيةً وأشارت إلى الطفل إشارة ذات دلالة وقالت: إذًا، فهذا هو الأمير ذاته؟ فردّت الأم: نعم، هذا هو ذاته. فطلبتْ (جي ديوي) الأشياء نفسها مرّة ثانية، ولكنّ الأم رفضتْ إعطاءَها أيّ شيء. فانزعجت جي ديوي وقالت: حسنًا! إذا رجعتِ إلى البيت وطفلك حيّ فيمكن أن تقولي إنّني كنت أكذب. فأجابت الأم: مهما حدث فإنّه سيكون من إرادة الله. فاستدارت (جي ديوي) للذهاب، وبينما هي في رواق البيت أخذ الطفل (ظفر) يتقيّأ دمًا وهو يستحم. ثم طرح دمًا من أمعائه، وصارت حالته حرجة للغاية في لحظات، ومات خلال ساعات. فابتهلت الأمّ إلى الله تعالى متوسّلة: يا إلهي، أنت الذي أعطيتني إيّاه، وأنت الذي أخذته. إنّني راضية بمشيئتك. وأتوسل إليك يا إلهي أن تلهمني الصبر والثبات. ثم عادت إلى (دسكه) بلدها بحضن فارغ. (أصحاب أحمد، المجلد الثاني ص١٥-١٦، طبع في ١٩٦٩).

انظروا الآن، كيف أنزل الله على هذه الوالدة المؤمنة أفضالا كثيرة، حتى أنعم عليها بولد اسمه شودري محمد ظفر الله خان ﵁، الذي عاش حياة طويلة وحاز على صيت وامتياز فائقين على مستوى العالم كلّه.

لا تَغلبنّكم ثوائر النفس

كيف يُعصم الناس من ثوائر النفس بعد البيعة؟ أقدم بهذا الشأن أمثلة ليست من الأزمنة الخالية، بل من العصر الراهن ومن الشعب الأفريقي تحديدا.

توجد عند الأفارقة الوثنيين كثير من العادات السيئة والتقاليد الفاسدة، ولكنهم حالما ينضمون إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية يتخلَّوْن عن جميع تلك العادات ويُحدثون في أنفسهم تغييرا طيبا، وكأن تلك العادات لم تكن موجودة في حياتهم مطلقًا. أتلقّى من هناك تقارير تخبرني أنّ المدمنين على الخمور سرعان ما بدؤوا يكرهونها، الأمر الذي ترك أثرًا إيجابيًا عميقًا في الآخرين أيضًا. عندما يتحدثون عن مثل هذه التغييرات، يقول المشايخ المعارضون إنّ الأحمدية قد سحرتهم فتركوا شرب المسكرات.

تحضرني هنا حادثة أخبرني بها مبشّرنا في غانا أنّ رجلا متورّطًا في كثير من العادات السيئة مثل شرب الخمر والزنا وغيرها قد انضمّ إلى الأحمدية هناك، وبما أنّ الناس هناك فقراء فيستأجرون غُرفة في بيت كبير، وكان هذا الرجل يقيم في ذلك النوع من السكن، وكانت له

علاقات كثيرة مع النساء. وحالما صار أحمديًا حذَّرهنّ جميعًا بألاّ يأتين إليه بنيّة سيئة. ولكن إحداهنّ أصرّت على ملاحقته، فكان يغلق الباب من الداخل كلما رآها قادمة، ويبدأ بأداء صلاة النوافل أو قراءة القرآن الكريم. وهكذا قد حمى نفسه. تلك من أمثلة التغيرات الثورية التي أحدثتها الأحمدية.

ويروي أحدُ مبشِّرينا أيضًا، وهو بشير أحمد قمر ما يلي:

"بعد صلاة العيد ذهبتُ مع بعض أفراد جماعة غانا لزيارة الزعيمَ الأكبر المحلي الذي كان ينتظرنا مع زعماء آخرين. وعندما دخلنا بَلاطَه بدأ جميع الإخوة الأحمديين يُنشدون الأناشيد بحماس أمام الزعماء وحاشيتهم. وكان رجل أحمدي كبير في السن يحرّك عصاه في الهواء بحماس زائد وهو يقف قبالةَ الزعيم، وأمّا الآخرون الذين كانوا قرابة ثلاثمئة فكانوا يكررون الكلمات نفسها. وعندما سألت المترجم أخبرني أنهم كانوا يُنشدون الحمدَ لله تعالى على أفضاله وعلى بركات الإسلام. كانوا يقولون إنهم كانوا قبل الأحمدية وثنيين وعَبَدَةَ أصنام، ولم تكن لديهم معرفة يفرّقون بها بين الحلال والحرام والفضيلة والرذيلة. كانوا متوحِّشين يعيشون كالدواب تمامًا، ويشربون الخمر كالماء. فدلتهم الأحمدية على سبيل الرشاد، فتخلّصوا من شرورهم، وتحوّلوا إلى بشر. كانوا يروون ذلك كلّه دليلاً على صدق الأحمدية بكلّ ثقة أمام زعمائهم الذين كانوا يعرفون عاداتهم السابقة جيدا". (تلخيصا عن مجلة أنصار الله الشهرية كانون الثاني ١٩٨٤)

المثابرة على الصلوات والشغف في التهجّد

من شروط البيعة أن نلتزم بإقامة الصلوات اليومية وأداء صلاة التهجد. ويقول المسيح الموعود عليه السلام: "إنّني أرى أفراد جماعتي الذين بايعوني يزدادون في الصلاح والتقوى باستمرار. فقد نشأ في جماعتنا بعد أيام المباهلة حماس جديد. فأرى العديد منهم يكون في السجود ويتضرعون في التهجد. يُسمّيهم ذوو القلوب الخالية من الطهارة كفارًا، في حين إنهم لبّ الإسلام وجوهره."

(ضميمة أنجام آتم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١ ص ٣١٥ الحاشية)

وأقدّم لكم الآن أيضًا مثالا من غانا، حيث أبدى الناس تبدّلا كبيرًا شَهِدتُه أنا بنفسي. فقد قطع بعض الناس مسافة طويلة جدًا (من أجل الجلسة السنوية هنالك) ووصلوا في وقت متأخر جدًا من الليل، ولم يجدوا فرصة للنوم إلا عند منتصف الليل. وحين أفقتُ من النوم حوالي الثانية بعد منتصف الليل؛ شاهدتُهم في المسجد ساجدين.

وتحضرني رواية أخرى أيضا:

يقول حضرة مُنشي محمد إسماعيل رضي الله عنه إنه لم تفُتْه الصلاة جماعةً إلاّ مرّة واحدة (ولسبب قاهر) إذ كان عليه ترك المسجد لعمل طارئ غاية في الأهمية." (أصحاب أحمد، المجلد ١، ص ١٩٦، طبعة عام ١٩٥١)

وهناك رواية أخرى عن منشي محمد إسماعيل:

أنه حين عاد إلى مدينته سيالكوت بعد البيعة على يد المسيح الموعود

عليه‌السلام لاحظَ الناسُ أنه قد تخلّى عن جميع عادات اللهو السابقة مثل لعب الورق أو الجلوس في الأسواق والانغماس في لغو الكلام، وبدلا من ذلك صار ملتزما بصلاة التهجد. كان الناس مذهولين بمشاهدة التغيّر الخارق في شخصه وخُلقه. (تلخيصا عن أصحاب أحمد المجلد ١ ص ٢٠٠ طبعة ١٩٥١)

وفيما يتعلق بإقامة الصلوات اليومية وصلاة التهجد في قاديان يروي نواب محمد علي رضي‌الله‌عنه ما يلي:

"صليتُ في قاديان يومَ خسوف الشمس. لقد أَمَّ الصلاةَ محمد أحسن الأمروهي وكان جميع المصلّين يبكون بدموع غزيرة. في تلك الأيام من شهر رمضان كان النشاط والحيوية تبدأ في "ساحة الأحمدية" في الثانية صباحًا. فكان معظم الناس يتهجدون في بيوتهم، وكثير منهم يأتون إلى المسجد المبارك حيث كانت تؤدّى صلاة التهجّد، وتُقدَّم السحور، وتقام صلاةُ الفجر في الساعات المبكرة من الصباح؛ ثم يُتلى القرآن الكريم لبعض الوقت. وفي حوالي الساعة الثامنة، كان المسيح الموعود عليه‌السلام يخرج للمشي الصباحي فيرافقه أصحابه. فتستمرّ هذه النشاطات حتى الحادية أو الثانية عشرة من منتصف النهار. ثم يُرفع الأذان لصلاة الظهر وتنتهي الصلاة قبل الواحدة. وكانت صلاة العصر تُقام أيضًا في أول وقتها. وهكذا لم يكن يتوفر وقت الفراغ في اليوم كله إلا بين صلاتي العصر والمغرب فقط.

بعد صلاة المغرب وتناوُل وجبة المساء، كانت تُقام صلاة العشاء في

الثامنة أو الثامنة والنصف. وبعد ذلك يسود صمت مطبق كأنه لا يوجد هناك أحد. ومع ذلك فقد كان الجميع يصحون عند حلول الثانية صباحًا وتعود إلى المكان حيويته وحياته مرة ثانية. (أصحاب أحمد، المجلّد الثاني ص ٧٧ طبعة ١٩٥٢)

كتبَ حضرة الخليفة الرابع، رحمه الله تعالى، أنّ نوّاب محمد عبد الله خان رضي الله عنه كان شغوفا بالصلاة. كان شديد الحماس والاجتهاد من أجل صلاة الجماعة. وكان دقيقًا للغاية في مواعيد ذهابه إلى المسجد لأداء الصلوات الخمس اليومية، حتى عندما كان طريح الفراش بسبب مرض القلب، فقد كان يُنصت إلى الأذان بكلّ حبّ وتعلّق كما يسمع المحبُّ صوت حبيبه.

وعندما كان يستعيد بعض القوة، كان يجعل أحد الأطفال في البيت يؤمّ الصلاة، وهكذا يحقق رغبة قلبه في أداء الصلاة جماعةً. وكان يجرّ في بعض الأحيان كرسيه إلى مقربة من غرفة الصلاة في "رتن باغ" لينضمّ إلى صلاة الجماعة. وعندما اشترى بيتا في "موديل تاون" قام بترتيبات خاصة من أجل الصلوات اليومية الخمس فيه؛ وهكذا حوّل البيت إلى مسجد. وطلب أن يُرفع الأذان للصلاة خمس مرات كل يوم. وكانت سجادات الصلاة تُبسَط في باحة الدار أو في إحدى غرفها حسب حالة الطقس. وكان في معظم الأحيان أوّل الداخلين إلى مكان الصلاة وينتظر بقية المصلين. ولا شك في أن سماحه للناس من جميع الفئات والمستويات بالحضور إلى بيته للصلاة خمس مرات يوميًّا ليس بفضيلة عادية. وهذه

الفضيلة تزداد أهمية إذا كان مستوى العيش لصاحب البيت رفيعا، وتكون دائرة علاقاته الاجتماعية واسعة جدا". (أصحاب أحمد، المجلد ١٢، ص ١٥٢-١٥٣، طبعة ١٩٦٥)

يتحدث المسيح الموعود عليه السلام عن التزام الشيخ حامد علي بالصلوات اليومية الخمس، فيقول:

"إن حبي في الله، الشيخ حامد علي، شابّ صالح وينحدر من عائلة تقية. وهو يخدمني منذ سبعة أو ثمانية أعوام تقريبا. وإنني لأعلم يقينا أن له علاقة حب وإخلاص معي. ومع أن الوصول إلى دقائق التقوى عمل كبار أهل المعرفة والصلاح، غير أنه يسعى قدر وسعه لاتّباع السنة والتحلي بالتقوى. لقد رأيته مصابا بمرض شديد حتى كان يبدو أنه مرض الموت، وكان قد صار ضعيفًا واهنًا كجسد ميت، ومع ذلك كان شديد الحماس لأداء الصلوات الخمس بانتظام. وكان يؤدّي صلاته حتى في أحرج حالاته. وإنّني لأَعلمُ أنّ سعي المرء للالتزام بإقامة الصلوات بهذا الشكل يكفي للحكم على خشيته لله تعالى. إنني على يقين أنّ الذي يلتزم بإقامة الصلاة بأقصى جهده ولا يمنعه من إقامتها خوف ولا مرض ولا فتنة، إنما يؤمن بالله إيمانا صادقا. بيْد أنَّ هذا الإيمان لم يعطَه إلا الفقراء؛ وأن هذه النعمة لا يتمتع بها إلا قليل من الأغنياء." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٤٠)

ويروي أحد صلحاء الجماعة وهو المولوي فضل إلهي، مثالَ حضرة ميرزا أيوب بيك رضي الله عنه في إقامة الصلوات الخمس اليومية بحسب أوامر الله

تعالى ورسوله ﷺ، فيقول: "كان المسيح الموعود يكنّ لميرزا أيوب بيك ؓ حبًّا كبيرًا. ولقد صلّيتُ ذات يوم صلاة المغرب في بيت ميرزا أيوب بيك ؓ، وكان حضرة مفتي محمد صادق ؓ هناك أيضًا. كانت صلاة ميرزا أيوب بيك ؓ مثالا صادقا للحديث: "الصلاة معراج المؤمن"؛ فعندما يُصلّي كان ينقطع تمامًا عن العالم الخارجي، وكانت عيناه تدمعان. في ذلك اليوم أطال الصلاة بشكل غير عادي، وعندما جلس الجميع معًا بعد الصلاة سُئل عن سبب إطالتها، فتردّد في البداية في الجواب، ولما أُلِحَّ عليه بالسؤال شرح السبب قائلا إنّه حين بدأ بالصلاة على النبي ﷺ شاهد كشفًا بأنّ الرسول ﷺ كان يمشي جيئة وذهابًا على محطة قطار وهو يدعو. فذكر ميرزا يعقوب الكلمات العربية لدعاء الرسول ﷺ وبيّن معانيها أيضًا، وكان فحوى الدعاء: اللهم أنقِذ أمّتي من الضلال وأوصل سفينتها إلى برِّ الأمان. وقال كنتُ أقول "آمين" بعد كل دعاء دعا به النبي ﷺ. ثم رأيت المسيحَ الموعود يدعو قائلا: اللهم استجبْ جميع دعوات الرسول الكريم ﷺ، وأنقِذ أمته من دوّامة الضلال. وعندما أنهى المسيح الموعود عليه السلام دعاءه أنهيتُ صلاتي." (أصحاب أحمد، المجلد ١، ص ١٩٤-١٩٥، طبعة ١٩٩٧)

تلك هي الثورة التي أحدثها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في أتباعه، فلقد حظي ميرزا أيوب بيك برؤية الرسول ﷺ في حالة اليقظة التامّة.

كيف كان أثر البيعة على حضرة ميرزا يعقوب بيك وحضرة ميرزا أيوب بيك رضي الله عنهما؟ فهما يرويان عن أبيهما أنه أخبر أحد

أصدقائه أنه عندما حضر ابناي هذان لقضاء إجازة الصيف في "ملتان" في عامي ١٨٩٢ و١٨٩٣ اندهشت لما رأيتُ فيهما من تغير طيب عظيم. فقلتُ بذهول بالغ: يا ربّ، ما هي الأسباب التي هيّأتَها لهما حتى أحدثا في نفسيهما هذا التغيّر الطيب بحيث قد صارا نورًا على نور؟ فهما يؤديان جميع صلواتهما في أوقاتها بمنتهى الخشوع والتضرع والابتهال ورقة القلب، حتى يجهشان بالبكاء أثناء الصلاة. وكنتُ كثيرا ما أجد على وجهيهما آثار الدموع وخشية الله. كان الولدان صغيرين جدًا في ذلك الوقت بحيث كان شعر لحيتهما قد بدأ بالنمو. وبالنظر إلى ذلك التحوّل، كنت لا أتوانى من أداء سجدات الشكر لله تعالى. وبسبب ذلك التغير الطيب فيهما زالتْ جميعُ دواعي القلق التي كانت تنتابني سابقا من جراء ضعفهما الروحاني".

ويرويان أيضًا أنّ أباهما أَخبر صديقَه قائلا: لم أكن أعرف سرَّ ذلك التحول، ولم أكن أعلم من أين قد اكتسبا تلك النعمة والبركة الروحية في سن صغيرة. وبعد فترة تبين أنّهما قد نالا هذا الرشد بسبب بيعتهما على يد المسيح الموعود عليه السلام. كان هذا التغير الطيب فينا أحدَ الأسباب الرئيسة لدخول أبينا في بيعة المسيح الموعود عليه السلام (أي أنّ التغير الروحاني في الأولاد قاد الأب ليصير أحمديًا) مما أتاح له فرصة جيدة للاطلاع على نقاء وسمو روح المسيح الموعود عليه السلام." (أصحاب أحمد، المجلد ١، ص ١٨٦، طبعة ١٩٩٧)

ويروي أحد أبناء شودري نصر الله خان، وهو والد ظفر الله خان

رضي الله عنهما، مثالَ أبيه كما يلي:

" كان لدي انطباع منذ طفولتي أنّ والدي (شودري نصر الله خان) مثابر جدًّا على أداء صلواته بعناية فائقة، ومواظب على أداء صلاة التهجد. وكنت أتخيل والدي دائمًا إما يقيم الصلاة، أو يقرأ القرآن. وبعد البيعة كان يؤدّي صلاة الفجر جماعةً في مسجد بعيد عن بيتنا. ولذلك فكان والدنا يغادر البيت والظلام ما يزال حالكًا". (أصحاب أحمد، المجلد ١١، ص ١٦٣، طبعة ١٩٦٢)

وفيما يتعلق بأداء الصلوات دون تقصير، فأقدّم مثال السيد بابو فقير علي رضي الله عنه. كان يعمل دائمًا بالمَثل القائل: "القلب مع الحبيب، واليد في العمل". يروي السيد م. بشير أحمد أنه في الوقت الذي كان فيه الناس يرتعبون من الحكام الإنجليز، كان بابو فقير يعمل[٦] تحت مدير إنجليزي فكان يقول له دائمًا: حضرة الشيخ، ستتسبب يومًا في حدوث مكروه لأنك تظلّ مشغولا في الصلاة دائمًا. وكان "بابو" ينــزعج جدًا من كلامه. وفي أحد الأيام أَغلق باب المكتب ونافذته، واقترب من المدير الإنجليزي وبدأ يتحدث معه، فذُعر المدير من ذلك، ربما لظنه أنّ "بابو" يريد مهاجمته. فأكد له "بابو" قائلا: ليس في نيتي شيء من هذا، وإنما أريد أن أكلّمك على انفراد، وأقول: أنت تضيع من أوقات المكتب في قضاء الحاجة وتدخين السجائر وشرب الشاي، فلماذا إذن تعترض على

[٦] – كان يعمل في مصلحة القطار. (المترجم)

أدائي الصلوات؟ فأجاب المدير: إنّ الأشياء التي أقوم بها هي حاجات طبيعية. فقال "بابو" إني أعمل تحت إمرتك وسأطيعك في الأمور المتعلقة بواجبي الوظيفي فقط، ولست مضطرًا لطاعتك في الأمور الأخرى، لذا لا أستطيع التوقف عن الصلاة طاعة لك. ولو وقع أيّ حادث أو تأخر قطارٌ بسبب غفلتي فلا تتردّد بالتعامل معي بقسوة. وعندما أنهى كلامه فتح النافذة والباب. فاستغرب المدير الإنجليزي من كلامه هذا..... وقد تأثر المديرُ من حديثه لدرجة أنه كلما استعدَّ بابو فقير علي للوضوء كان هذا المدير يقول له: حضرة الشيخ، خذ راحتك، وأدّ صلاتك وسأتولى عملك. ومرةً رأى المدير الطعام البسيط الذي كان السيد بابو فقير علي يتناوله، فتأثر جدًّا". (أصحاب أحمد، المجلد ٣، ص ٦١، الطبعة الثانية والمعدلة المطبوعة قاديان الهند)

وهنا في إنجلترا أحمدي قديم اسمه السيد بلال دانيال هوكر نوتل، فعندما انضمّ إلى الأحمدية اختار لنفسه اسم "بلال". ثم صار مشهورًا في رفع الأذان للصلاة تأسيًا بالصحابي سيدنا بلال. وكان عنده شغف شديد في نداء الآخرين إلى الصلاة. (تلخيصا من مجلة أنصار الله الشهرية، حزيران ١٩٩٥، ص ٣٦)

إخماد الثوائر النفسانية

وهناك شرط آخر في البيعة يتعلّق بكبت الثوائر النفسانية وإخمادها. وإليكم بعض الأمثلة في هذا الشأن:

يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يتحدث عن إحدى ميزات جماعته مشيرًا إلى اجتماع أقامه الهندوس وحصل هناك جدال فتحلّت عندها جماعته بضبط النفس والصبر بشكل رائع:

"فلولا أن هؤلاء المسلمين الطيبين التزموا بمبادئ أخلاقهم السامية، ولم يتحلوا بالصبر، كاظمين غيظهم بحسب تعليم القرآن، لامتلأ مكان الاجتماع بالدماء بسبب ما ارتكبه أصحاب النوايا السيئة من تجريح المشاعر. فواهًا لجماعتنا إذ ضربوا مثالا رائعا للصبر وضبط النفس، وظلّوا صامتين عند سماعهم الشتائم من الهندوس التي كانت أسوأ من طلقات العدو." (جشمه معرفت (عين المعرفة) الخزائن الروحانية ج ٢٣ ص١٠)

ويقول عليه السلام أيضًا:

"لولا نصيحتي لجماعتي للالتزام بالصبر، ولولا تربيتي لهم مسبقا بالصبر على الشتائم دائما لامتلأ مكان الاجتماع بالدماء. ولكنّ تعليمنا إياهم الصبر مكّنهم من ضبط نفوسهم وكبح ثوائرها." (جشمه معرفت (عين المعرفة) الخزائن الروحانية ج ٢٣ ص٨)

ومثال آخر على كبح الثوائر هو ما ذُكر عن السيد عبد الستار شاه رضي الله عنه. وياله من مثال رائع! فقد روي: "ذات يوم ذهب حضرة الشاه رضي الله عنه إلى مسجد قريب للصلاة، في الوقت الذي كان يستعد فيه عدوٌّ لدود للأحمدية – وهو شودري رحيم بخش – للوضوء من إبريق ماء في يده. وحالما شاهد هذا العدوُ حضرةَ عبد الستار شاه – الذي كان عندها

يعمل طبيبًا في مشفى حكومي - خاض معه في حوار ديني، ثم استشاط غضبا من كلام حضرة الشاه، وضرب الإبريق في جبهته وكسر عظمها، فأخذ الدم يسيل حتى تخضَّبت به ثيابه. فغطّى الدكتور الجرحَ بيده وأسرع إلى المستشفى للعلاج. عندها قلق شودري رحيم بخش متسائلا عَمَّا سيحدث له لعلمه أنّ حضرة الدكتور طبيبٌ حكومي، وأنّ المسؤولين سيسمعون لقوله، فلا سبيل لنجاته. فلم يدر ما يفعل ولا أين يختبئ! فاختبأ في المسجد بناء على هذه الأفكار المخيفة وظلّ فيه. أمّا الطبيب عبد الستار شاه فقد عالج بنفسه جرح جبهته ببعض الأدوية، وبدّل ثيابه الملونة بالدماء، ورجع إلى المسجد لأداء الصلاة. فلما دخله ورأى فيه شودري رحيم بخش قال له مبتسمًا: "شودري رحيم بخش، هل هدأ غضبك أم ليس بعد؟" فتأثر شودري رحيم بخش من قوله كثيرًا، فأمسك بيد الطبيب وسأله أن يغفر له ويسامحه، وقال: يا حضرة الدكتور المحترم، رجاءً اكتبْ رسالةَ بيعتي."

هذا المعيار العالي في الصبر واللطف والمسامحة لا يمكن أن يتحلى به غير أفراد الجماعة الربّانية. وهكذا انضمّ شودري رحيم بخش إلى الجماعة، وبعد أيام قليلة انضم أفراد آخرون أيضا من عائلته. (حضرة الدكتور عبد الستار شاه صاحب، تأليف أحمد طاهر ميرزا، ص ٦٣. الناشر: مجلس خدام الأحمدية، باكستان)

تلك كانت أمثلة قليلة قدمتها لكم، وهي متعلقة بالشروط الثلاثة أو الأربعة من البيعة. ولسوف أقدّم لكم إن شاء الله تعالى أمثلة أخرى

تشهد على التغيرات الثورية التي حصلتْ للناس بعد البيعة. لعلّ المبايعين الجدد والأجيال القادمة يعرفونها أيضًا، فيسعوْن لإحداث تغيّرات طيبة في أنفسهم، فلا يستولي عليهم رعب الدجّال أبدًا، آمين.

(خطبة الجمعة في مسجد الفضل في لندن- ٢٦-٩-٢٠٠٣)

الإخلاص لله تعالى في جميع حالات العسر واليسر

تحدّثت في خطبة الجمعة قبل الماضية عن التغيرات التي ظهرت على الأحمديين إثر انضمامهم إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام، وبعد تعهّدهم بالعمل بالشروط العشرة، وقدمت أمثلة بهذا الشأن، وسأقدِّم لكم الآن المزيد منها.

أخذ منا المسيح الموعود عليه السلام في الشّرط الخامس من البيعة عهدًا بألاّ تتوجهوا باللوم إلى الله حتى لو واجهتم شدة وبلاء ومصاعب ومشاكل وذلا وهوانا؛ بل الأحرى بكم أن تستمروا بالتوسل لنيل فضله بالتعهّد بالرضى بمشيئة الله تعالى في كل حال. وأقدم لكم الآن بعض الأمثلة العملية على هذا.

أقدّم أول مثال من حياة حضرة خليفة المسيح الأول رضي الله عنه:

في آب ١٩٠٥ مات ابنه عبد القيوم، البالغ الثانية عشرة من عمره، بعد معاناته من مرض الحصبة بضعة أيام. لقد كان سلوك حضرته رضي الله عنه في محنته تلك متوافقًا مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قبّل الطفل فاغرورقت عيناه بالدموع ثم قال: "كشفتُ الغطاء عن وجه الطفل ليس لأنّني كنت قلقًا، بل اتّباعًا لسنّة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه عندما تُوفي ابنه إبراهيم قبّل صلى الله عليه وسلم وجهَه، ففاضت عيناه بالدموع، فحَمِدَ الله تعالى ثم قال: إننا لا نطيق فراقك ولو لوقت قصير، ولكننا راضون بمشيئة الله تعالى. وتأسيا بهذه السنّة كشفتُ عن وجه ابني وقبّلته. ومن دواعي سعادتي أنّ الله تعالى

بفضله قد وهبني فرصةً للعمل بسنّة من سنن الرسول ﷺ."

هذا هو عمل شخص قال عنه المسيح الموعود عليه السلام في بيت من الشعر بالفارسية معناه:

ما أروع لو صار كلّ شخص في الأمة مثل نور الدين، وما كان ذلك ليحصل إلاّ إذا امتلأ كل قلبٍ بنور اليقين.

مثال آخر هو لحضرة شودري نصر الله خان رضي الله عنه، حيث كتب عنه شودري محمد ظفر الله خان قائلا:

"كان لنا شقيق اسمه حميد الله خان - وكان أصغر من شقيقنا المرحوم شودري شكر الله خان، وأكبر من المرحوم شودري عبد الله خان - تُوفي وهو في حوالي الثامنة أو التاسعة من عمره بعد أيام قليلة من مرضه. وكان موته عند الفجر حيث ظل والدي مستيقظًا طوال الليل يعتني به. وقام بعد موته بدفنه وغيره من الأمور، ثم ذهب بعد ذلك إلى العمل في المحكمة في موعدها كعادته، فلم يعرف الموكِّلون ولا رئيس المحكمة ولا زملاؤه أنه قد حضر للعمل بعد دفن فلذة كبده راضيًا بمشيئة ربّه." (أصحاب أحمد، المجلد ١١، ص ١٦٥-١٦٦، طبعة ١٩٦٢)

وكتب حضرة القاضي ضياء الدين قائلا:

"توفِّيت زوجتي وأولادي الثلاثة، ومن ناحية أخرى ازداد صخب الخصوم الذين لم يدخروا جهدا للإساءة إلي وإلحاق الضرر المادي بي. وقد دهم بعضُهم بيتي أيضا. وبإلقاء نظرة شاملة على هذه المشاكل

والابتلاءات يمكن للمرء أن يدرك جيدا مدى معاناتي في تلك الأيام بسبب المصائب الشديدة والبلايا المدمرة. وقد جاءت جميع تلك الابتلاءات والمِحن السماوية المقدّرة مصداقًا لنبوءات المسيح الموعود عليه السلام التي كان قد تنبأ بها مسبقًا. ولقد تكرّم المسيح الموعود عليه السلام خلال وقت الابتلاء هذا بكتابة رسالة تعزية يواسيني بها. وكانت تلك أيضًا نبوءة تحققت وما تزال. فقد كتب عليه السلام:

"الحق أنكم قد مررتم بمحنة شديدة، وهذه سنّة الله عز وجل التي يُظهر بها للناس ثباتَ عباده المؤمنين ويهبهم أجرا عظيما على صبرهم. وسيحرركم الله عز وجل من جميع تلك المحن، ولسوف يلقى الخصوم ذلة وهوانا، كما حصل في زمن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ أخرج سفينتهم إلى بر الأمان، فسيحدث الشيء ذاته الآن أيضا. ولسوف تنقلب على الخصوم أدعيتهم".

وبفضل الله تعالى تحققت الأمور تمامًا مثلما تنبّأ بها المسيح الموعود عليه السلام، وذلك بفضل دعواته. فقد استمرّ هذا العبد المتواضع يزداد صبرا وثباتا في جميع الظروف. (أصحاب أحمد، المجلد ٦، ص ١٢-١٣)

مثال المولوي برهان الدين رضي الله عنه (كما رواه ابنه)

عندما كان المسيح الموعود عليه السلام في سيالكوت في الأيام الأولى من دعوته، ذهب إلى مكان مع بعض أصحابه ليُلقي محاضرةً هناك، وبينما كان يمرّ في شارع ألقى عليه أحد الناس سلّة مليئة بالرماد من فوق أحد

السطوح، ولكنّ الله ﷻ أَنقذ بفضله المسيحَ الموعود ؑ حيث كان قد اجتاز ذلك المكان، فسقط الرماد على رأس والدي، وإذ بوالدي العجوز ذي الشعر الرمادي صار أضحوكة للناس بسبب سقوط الرماد على رأسه. وبما أنه كان يعشق المسيح الموعود ؑ، فتوقف في المكان نفسه وسيطرت عليه حالة من الوجد وشرعَ يقول: "هيا أيتها المرأة، ارمي المزيد، ارمي المزيد"، وكان يقول إنّ ذلك كان فضل الله عليه، حيث تلقّى هذه البركة بسبب المسيح الموعود ؑ.

وهناك حادث مماثل وقع له فعندما غادر المسيح الموعود ؑ سيالكوت، كان الخدّام عائدين إلى بيوهم بعد توديعهم إيّاه في محطة القطار. ولسبب ما تأخر (المولوي برهان الدين ؓ)، فأمسك به الخصوم وأساؤوا إليه وأذلّوه كثيرا حتى حشوا فمه بروث البقر. ولكنه رأى في هذا الإذلال تشريفًا، وشعر في هذا الأذى براحة وبهجة. فشرع يقول باستمرار: "يا برهان، كيف استحققت تلك البركات؟" يعني أنّ هذه البركات لا تُنال هكذا؛ فإذا أوذي أحد من أجل الدين فذلك مدعاة سعادة له. (مجلة "أنصار الله" الشهرية، ربوة، أيلول ١٩٧٧، ص ١٤-١٥)

وكتب المولوي عبد المغني المزيدَ عن أبيه المولوي برهان الدين ؓ، فقال:

"بعد قبول الأحمدية كانت حالتُنا المادية صعبة جدًّا حتى لم تقع عين أحد من عائلتنا على السَّمن إلى شهور عديدة خلال تلك الفترة

العجفاء. وبدلا من شراء الوقود كنا نستخدم أوراق الأشجار الجافّة لإشعال النار للطهي، ولكن الأوراق الجافة لا تطهو طعامًا، ولذلك فقد كانت بذور البقول تُحمّص أولا في البيت ثم تُطحن، ثم يوضع ماءٌ في إناء مع الملح والفلفل، ثم تُشعل الأوراق الجافة تحته، وعندما يغلي الماء يُضاف إليه مسحوق البذور. كان ذلك طبيخنا الذي كنا نأكله مع الخبز. وكنا نأكل خبز الدخن أو الذرة عادة، وخبز القمح أحيانا قليلة فقط. وبدلا من السمن كان يُستخدم زيت السمسم. وبدلا من السبانخ، كانت تُطبخ براعم الأشجار الصغيرة. وكانت ثياب والدي ثياب فلاح من زمن قديم لا ثياب المشايخ."

ويضيف كاتبًا:

"والحق أنه عندما لقي والدي المسيحَ الموعود عليه السلام غمر قلبه عشقُه وحبُّه وشوقُ لقائه بشكل خارق، فما كان يبالي بطعامه ولا راحته مطلقًا. ولقد كان همّه الوحيد أن ينقل للآخرين شعلةَ الحُبّ العارم الذي كان يشعر به في قلبه تجاه الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والمسيح الموعود عليه السلام. كان يفكِّر دائما بحماس وحب عميقين واهتمام وقلق كبيرين حول إمكانية نشر رسالة الأحمدية غير آبه بطعامه وشرابه ولباسه. فالله وحده يعلم كيف قضينا، أنا وأمّي، تلك الفترة الصعبة. وعلى الرغم من العسر الشديد والفقر والحرمان، فقد كان والدي شامخا شموخ الجبال في عزة النفس والصبر والعزيمة. وكان فيما يتعلق بالأمور الدينية غيورا بحيث لا يمكن أن تحول دونه علاقة صداقة أو قرابة. فالحمد لله ثم الحمد

لله على أننا رُبّينا في بيئة تعلَّمنا منها أنّ الدنيا وما فيها لم يعُدْ في نظرنا شيئا يُذكر. ونظرًا إلى هذا الرضا وهذه القناعة والكفاية الذاتية صار الناس يقولون إن المرزا (المسيح الموعود عليه السلام) يدفع له (أي للمولوي برهان الدين) راتبًا شهريا." (مجلة أنصار الله الشهرية، ربوة، أيلول ١٩٧٧، ص ١١-١٢)

مثال في الصبر لا يُجارى

لقد ضربت السيدة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (زوج المسيح الموعود عليه السلام) أروع الأمثلة في الصبر. ففي اللحظات الأخيرة من حياته عليه السلام عكفت على السجود والدعاء والتضرع والابتهال في حضرة الله تعالى بدلا من الصراخ والعويل والتفوه بكلمات تنافي الصبر كما تفعل الأُخريات.

حين تُليت سورة "يس" في اللحظات الأخيرة من حياة المسيح الموعود عليه السلام حين غادرت روحه الطاهرة المباركة هذا العالم لتلتقي خالقها الحبيب، قالت أم المؤمنين ﴿إنّا لله، وإنّا إليه راجعون﴾ وسكتت، فلم تبكِ، ولم تَنُح. وبدأت بعض النساء بالبكاء داخلَ البيت، فَأَمَرَتْهنّ بحزمٍ أن يصمتن قائلة: أنا لا أبكي مع أنَّ المتوفّى هو زوجي أنا، فلِم تبكين وتصرخن!

كان هذا المثال البين من الصبر والعزيمة معجزةً كبيرة من سيدة ترعرعت في النعمة والرفاهية، وفقدت زوجًا كان مَلِكًا روحيًا، وكان

يهتم بها كثيرًا." (تاريخ الأحمدية، المجلد ٦، ص ٥٤٧، الطبعة الجديدة)

ولقد نصحتْ أولادها أيضا بألاّ يفكّروا أنّ والدهم لم يترك لهم ثروة ظاهرية، فإنه قد ترك لهم كنـــزا عظيمًا من الأدعية التي ستظل تنفعهم دائمًا عند الحاجة.

اجتناب التقاليد والبدعات

كان المسيح الموعود عليه السلام يتمنّى أن يكون كلّ من يدخل جماعته ملتزما بأوامر القرآن الكريم، أو على الأقل أن يسعى للعمل بها، وكان يرى أن من عصى حكمًا واحدًا من أحكام القرآن فليس منه في شيء. لقد كانت أمنيته أن يَسْموَ الذين يؤمنون به فوق التقاليد الدنيوية، ويتجنبوا الجشع والعادات الدنيوية التافهة؛ وأن يجاهدوا من أجل العمل بما أمَرهم به الله تعالى ورسوله ﷺ. والحق أنّ رسول الله ﷺ لم يأمر إلا بما أَمَر اللهُ به في القرآن الكريم، ولذلك عندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق الرسول ﷺ قالت ما مفاده: ألا تقرؤون القرآن، كان خُلقه القرآن. لذلك قال المسيح الموعود عليه السلام إنني أتبع سيدي محمدا ﷺ، وأعتبر كل حكم من أحكام القرآن الكريم منهجًا لحياتي، فلو اتبعتم المنهج نفسه لكنتم من جماعتي. والواقع أن أبناء الجماعة ضربوا بعد البيعة أمثلة رائعة للعمل بنصحيته.

أولًا أقدّم في هذا الصدد مثال سيدة أحمدية هي والدة حضرة محمد ظفر الله خان رضي الله تعالى عنهما، التي أبدت كرهًا شديدًا من عادات

البدع، وقد حدث الأمر في وقت عرس ابن أخيها بشير أحمد. يقول شودري بشير أحمد (كما ذكره لمحمد ظفر الله خان) أنه بعد خطبة النكاح دُعيت إلى قسم النساء، فلاحظت أنّ هناك كرسيين يواجه أحدهما الآخر كما هي العادة في القرى، وكان يُنتظر مني أن أجلس على أحدهما، وتجلس العروس على الآخر، ومن ثَمَّ تجري بعض العادات المعينة. يقول:

"ضقتُ ذرعا إلاّ أنني قررت بعد ذلك أنه ليس من المناسب في هذا الوقت أن أُجادل السيدات في الأمر، فجلستُ على الكرسي المُعدّ لي، ثم مددت يدي نحو الأشياء المعدّة لإجراء العادات المتّبعة. فأمسكتْ عمتي (التي هي والدة شودري ظفر الله خان رضي الله عنها) فورًا بمعصمي بقوة، ودفعتْ يدي بعيدًا، وقالت: "يا بُني، هذا شرْك فلا تفعل!" فتشجعت بذلك ونثرتُ بيدي تلك الأشياء ونهضتُ واقفًا، وقلت: لن أشارك في هذه العادات. وهكذا تخلصت."

يجب على سيداتنا اليوم أيضًا أن ينتبهن إلى هذه الأمور، وعليهن ألاّ ينجرفن مع العادات المحلية أو الشعبية، بل كلما لاحظنَ شائبةَ شركٍ في تقليدٍ وجب عليهن اجتنابها.

أدعو الله تعالى أن يوفّق الأحمديات للتحلي بالحرص على التمسك بالأخلاق وأن يُدرّبن أولادهنّ كذلك.

هناك عادة بين المسلمين أيضا في بلادنا مثل باكستان والهند وغيرهما أنهم لا يعطون البنات إرثهن الشرعي المستحق، بل لا يعطونهن شيئا

مطلقا ناهيك عن نصيبهنّ الكامل، وهذه العادة شائعة في القرى ولا سيما في عائلات الفلاحين. وهناك مثال في هذا الصدد في سيرة شودري نصر الله خان ﵁، حيث يكتب ابنه قائلا: "في عرس أختنا أهداها والدنا هدية كبيرة كما كانت العادة آنذاك، كما أوصى بأنّ توزّع ممتلكاته بحسب الشريعة الإسلامية بين أولاده الذكور والإناث على السواء. وبذلك فقد حصلت ابنته بعد موته على إرثها الكامل بحسب الشريعة."

أمثلة نادرة في الطاعة

ضرر التدخين

هناك مثال أُحب أن أذكره وهو أنه عندما ذهب المسيح الموعود عليه السلام إلى "جالَنْدْهَرْ" في عام ١٨٩٢م، أقام في الطابق العلوي من البيت الذي نــزل فيه. "وضعت الخادمةُ النارجيلةَ في البيت، وغادرت للقيام بأعمال أخرى. وصدف أن سقط بعض الجمر من النارجيلة، فأحرقت جزءا من أرضية الغرفة. وقد شوهدت النار بعد الانتهاء من الصلاة وتم إطفاؤها. عندها عبّر المسيح الموعود عليه السلام عن استيائه وكرهه تجاه أولئك الذين يدخنون النارجيلة. ثم وصل هذا الخبر إلى الطابق الأسفل من البيت أيضا، وكان كثير من الناس يدخّنون النارجيلة، ونارجيلاتهم كانت موجودة في البيت في ذلك الوقت. فعندما سمعوا عن استياء المسيح الموعود من تدخين النارجيلة، كَسر جميعُهم نارجيلاتهم فورًا، وأقلعوا عن التدخين. ومنذ ذلك اليوم، وبمجرد أن علم أبناء الجماعة عن استياء حضرته من النارجيلة أقلع كثير من ذوي العزيمة القوية عن التدخين." (أصحاب أحمد، المجلد ١٠، ص ١٥٧-١٥٨، طبعة ١٩٨٥)

ويروي ميرزا أحمد بيك (من ساهيوال) أنّ حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه قال ذات مرة لعمّي ميرزا غلام الله، "يا ميرزا المحترم، شجّع أصدقاءَك على الإقلاع عن تدخين النارجيلة." فقال عمّي الذي كان هو

نفسه يدخن النارجيلة: "حسنًا يا سيدي!" ثم ذهب إلى بيته وكسر النارجيلة التي كان قد أسندها إلى الجدار. ظنّت عمتي أنّه ساخط على أنّ النارجيلة كانت قد تُركت في الشمس، وحيث إن عمّي لم يقل شيئًا لأحد فقد سألته عمتي عن سبب غضبه على النارجيلة، فأجاب: "لقد طَلب مني حضرتُه المحترم أن أشجّع الآخرين على الإقلاع عن تدخين النارجيلة، وبما أنّني نفسي أُدخّنها، فقد كسرتُ النارجيلة الخاصة بي أولا." فلم يدخِّن النارجيلة ثانيةً طوال عمره، واستمرَّ في إقناع الآخرين بالإقلاع عن التدخين. (سوانح فضل عمر، المجلد ٢ ص ٣٤)

نجد في هذه الأيام عادة تدخين النارجيلة منتشرة في شكل تدخين السجائر. إنّ على مدخّني السجائر أن يسعوا للإقلاع عن هذه العادة، ويجب الانتباه إلى أنّ آفة تدخين السجائر في سن مبكرة يمكن أن تقود إلى أشكال أخرى عديدة من التدخين، منها تعاطي المخدرات. إنّ التدخين خطة مدبَّرة ومقصودة تسعى لتدمير حياة الشباب. إنها شبكة محبوكة من قِبل الدجّال، ولسوء الحظ، فإنّ بلاد المسلمين متورّطة في هذه الممارسات السيئة الفاسدة. على أية حال، يجب على شبابنا الإقلاع نهائيًا عن تدخين السجائر.

اليانصيب ليس مشروعًا

كان حضرة "منشي بركت علي خان" رضي الله عنه، وهو أحد صحابة المسيح الموعود عليه السلام، موظفا في "شِمْلَه". وكان قد اشترى بطاقة

يانصيب قبل أن ينضمّ إلى الجماعة، فربح منها فيما بعد ٧٥٠٠ روبية. وعندما سأل المسيحَ الموعود عن ذلك اعتبرها مقامرة، وقال له: "لا تنفقوا منها فلسًا واحدًا على أنفسكم." فوزّع "منشي" كلَّ المال الذي ربحه منها على الفقراء والمساكين. (ملخص من 'أصحاب أحمد' المجلد ٣، ص ٣٣، طبعة ١٩٥٧)

المقامرة باليانصيب وغيرها أمر اعتيادي في أوروبا وبلاد الغرب، ويكسب بعضهم بسببها أموالا طائلة. وهذا المال غير مباح البتة، بل هو حرام كحرمة الأموال المكتَسَبة بالمقامرة. لذا يجب اجتناب هذه الألعاب، ولو لعبها أحد جهلا، فيجب ألاّ ينفق ما اكتسبه من مال على نفسه.

هناك مثال يتعلق ببلدكم إنجلترا، وهو يخصّ المواطن الإنجليزي السيد بشير أحمد أورتشارد الذي انضمّ إلى الأحمدية وأحدث في نفسه تغييرات طيبة، ثم كرّس حياته لخدمة الدين. فقد انضمّ إلى الأحمدية عام ١٩٤٤، وحصل على بعض الثقافة الدينية لفترة في قاديان وأوقف حياته، كما قلت، ثم حدثت بعد ذلك أهم ثورة في حياته حيث شُغف في العبادة والصلوات إلى حد كبير. وكانت أول ثمرة لزيارته الأولى إلى قاديان إقلاعه عن شرب الخمر، وكان قبل ذلك مدمنًا على شربها، فأقلع عنها على الفور أولا وتاب عن المقامرة أيضا بصورة نهائية. (تلخيصا عن جريدة "الفضل" كانون الثاني ١٠ عام ١٩٧٨، و "الحياة العظيمة" ص ٣)

تحريم الخمر

كان بعض الأحمديين - إلى سنوات قليلة ماضية - في بريطانيا وألمانيا وبلاد أخرى يعملون في مطاعم وفنادق حيث يُباع فيها الكحول، مع أنه قد ورد في الحديث الشريف أنّ الذي يصنع الخمر والذي يقدّمها والذي يبيعها أو يخزّنها، جميعهم في النار.[٧] ولهذا فقد أمرَ الخليفةُ الرابع رحمه الله تعالى هؤلاء الأحمديين التوقُّف حالا عن ذلك، وإلاّ فإنّ قرارا حاسمًا سيُتخذ في شأنهم. وقال حضرته إن عددًا كبيرًا قد تخلّى عن تلك الأعمال بفضل الله تعالى. وسرعان ما وهب الله عَزَّ وَجَلَّ بعضهم أعمالا أخرى أفضل منها بكثير. كما تعرض بعضُهم للابتلاء أيضا، و لم يجدوا عملا جديدا لفترة طويلة، ولكنهم كانوا أقوياء بعزمهم وعزيمتهم، و لم ينغمسوا ثانية في هذا العمل الحرام والمنافي للأخلاق القويمة.

حب القرآن الكريم

ذات مرة جاء أحد الإخوة من غير الأحمديين وهو السيد ميان محمد أسلم من أمرِتْسَر إلى قاديان في آذار ١٩١٣م. وكتب عن حضرة الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام: "المولوي نور الدين هو حاليًا القائد الأوحد للجماعة الإسلامية الأحمدية كونه خليفةً لميرزا المحترم (المسيح

[٧] - لَعَنَ اللهُ الخَمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه و آكل ثمنها. (أبو داود والحاكم). (المترجم)

الموعود عليه السلام). وحسبما تأملت في أعماله أثناء حضوري مجالسه للوعظ ودروس القرآن الكريم ليومين فقد وجدته طاهرا وطيبا للغاية ويعمل بإخلاص تامّ لوجه الله تعالى فقط، لأنّ سلوكه خالٍ تمامًا من الرياء والنفاق، وإن قلبه - الذي يشبه المرآة الصافية - يفور بحماس قوي لإظهار صدق الإسلام، وهو بمنـــزلة نبع صاف لمعارف التوحيد الإلهي، ويفيض على الدوام من صدره المطهر من شوائب الرياء تفسيرُ آيات القرآن المجيد فيروي غليل عطشى معرفة وحدانية الله. إذا كان القرآن الكريم هو الإسلام الحقيقي فإن الحب الصادق والخالص للقرآن الكريم الذي رأيته في حضرة المولوي المحترم لم أر نظيره قط في أحد من الناس. قد يخطر ببال أحد أنه يضطر إلى كل ذلك تقليدًا، كلا، بل إنه فيلسوف عظيم وقد أُسر بحب القرآن الكريم من خلال نقده الفلسفي الرائع، وذلك لأن التفسير الفلسفي العظيم الذي سمعته لآيات القرآن الكريم في دروسه لا يقدر على مثله سوى بضعة أشخاص في العالم كله. (جريدة "بدر"، آذار ٣١، ١٩١٣، وحياة نور، ص ٦١١-٦١٢)

هناك وصية تركها الدكتور عبد الستار شاه رضي الله عنه لأولاده، قال فيها:

"اتخذوا من القرآن الكريم منهجا لحياتكم، وتمسّكوا بسنّة الرسول صلى الله عليه وسلم واتّباعها، وكونوا جاهزين باستمرار لنصر وتعزيز الدعوة الأحمدية ولنشر الإسلام، وأعدّوا أجيالكم القادمة للالتزام بهذه الأمور أيضًا." (حضرة الدكتور سيد عبد الستار شاه صاحب ص ١٩٣)

على كلّ أحمدي أن يلتزم هذه النصيحة في جميع الأوقات.

وكتب حضرة ميرزا عبد الحق عن حضرة مولى بَخش ملك ﷺ، يقول:

"كان شغوفا بالقرآن إلى حدّ كبير، وكان يهتم دائمًا بالاستماع إلى معارف القرآن الكريم وحقائقه رغم ضعفه واعتلال صحته. وقد حدث مرة أنه ظل يأتي لعدة شهور من حي "دار الفضل" إلى حي "دار الرحمة" ليصلي صلاة الفجر في مسجدها ويحضر درسا كان يلقيه حينذاك مولانا غلام رسول راجيكي ﷺ فيستفيد من معارف القرآن وحقائقه. وكان يجدُّ في رمضان المبارك ويجتهد لحضور الدروس في المسجد الأقصى في قاديان... كان يُكثر من قراءة القرآن الكريم بتفكُّرٍ وتدبُّر؛ فيستفيد منها بنفسه ويُشارِك الآخرين أيضا. وقيل إنه في الأيام الأخيرة من حياته كان يقرأ القرآن بكثرة وفي يده دفتر وقلم، فكلما انكشف له تفسير لطيف لآية من الآيات سجله ثم قرأه فيما بعد لعائلته." ويضيف الراوي: "كان يبدو من ملامح وجهه (في أثناء قراءته التفسير لأفراد عائلته) أنه يتمنّى من قلبه أن يعشق أولادُه القرآنَ الكريم من أعماق قلوبهم." (أصحاب أحمد، المجلد الأول، ص ١٥١-١٥٢ طبعة ١٩٥١)

عندما انضمّ شابّ مسيحي من "غامبيا" إلى الأحمدية عادتْه أمه بشدّة. وقد احتمل ذلك في البداية، ولكن عندما أساءت إلى القرآن الكريم غادر البيت ولم يعد إليه ثانية." (ضميمة مجلة أنصار الله الشهرية، أيلول ١٩٨٧ ص ٦)

فلا تزال مثل هذه المعجزات تحدث في بلاد أفريقيا النائية.

يسمح الإسلام بزيجات أربع فيعتبر البعض هذا السماح أمرا واجبا، وعلى أية حال فالسماح موجود. وهناك تقليد بين بعض قبائل أفريقيا أن أصحاب المكانة الرفيعة أو الثروة أو الزعامة يتزوجون أكثر من أربع بل إلى تسع أو عشر نساء.

عندما انضمّ السيد علي روجر من سيراليون إلى الأحمدية كان شابًّا ولديه ١٢ زوجة، وقد أخبره مبشر الجماعة مولانا بشير أحمد علي، بأنّه الآن صار أحمديًا، ولا يستطيع بحسب التعليم القرآني الإبقاء على أكثر من أربع زوجات، وعليه أن يُطلّق الباقيات ويسرّحهن مع تزويدهن بما يضمن لهن عيشا كريما. فلم يستجب بسرعة فحسب، بل احتفظ بالزوجات الأربع الأُوَل وطلّق الزوجات الشابات. لقد كان هذا التغير السريع ثورة حقيقية.

وكتب مبشِّرنا السيد محمد يونس خالد المحترم: "انضمّ السيد ف. ف. كاهلو إلى الأحمدية نتيجة كشف رآه حين كان مبشرنا محمد صدّيق الأمرتْسَري هناك. (ثم خدم فيما بعد أميرًا للجماعة في سيراليون أيضًا) قَبْل انضمامه إلى الأحمدية كان متحررا جدًّا ويمتهن الرقص، ولكنه سرعان ما أحدث تغييرًا ملحوظًا في نفسه بعد البيعة وحاز مكانة سامية في التقوى والورع والتعبد وخشية الله ﷻ والأمانة، وأنعم الله ﷻ عليه بنجاحات عظيمة. وقد كان الزعيمَ الأكبر في منطقة توجد فيها مناجم كثيرة من الأحجار الكريمة، وكان يملك صلاحيات كبيرة في منطقته، إذ إن الزعماء في تلك المنطقة يحظون بصلاحيات عظيمة.

ولو أراد لَجَمع لنفسه كميات كبيرة من المال، ولكنه وبسبب التعاليم الإسلامية الأحمدية الجميلة الناصعة اعتبر مثل تلك الثروة حرامًا عليه، وعاش حياة بسيطة. لقد كان معروفًا في الأوساط العليا أيضا أنّ السيد كاهلو زعيمٌ أمين للغاية؛ لا يقبل الرشوة، ولا يسمح لموظّفيه بقبولها.

ذهبتُ لعيادته حين مرض مرةً، فقال لي: "يا سيد يونس، إنني أرى كلمةَ الشهادة مكتوبة بأحرف خضراء أمامي دائما، فما سبب ذلك؟ فأجبت: "أيها الزعيم، هذا نتيجة حُبّك الشديد لله ﷻ وللنبيّ الكريم ﷺ." وداومتُ على زيارته مدةَ شهرين، وظلّ يكرر أنّه يرى كلمة الشهادة بأحرف خضراء أمام عينيه. ثم عندما نُقل إلى المستشفى، وكان يلفظ آخر أنفاسه، أمسك بذراعه صديقٌ أحمدي اسمه السيد كوجي وقال له: "أيها الزعيم، قل: "لا إله إلاّ الله" فردّدها، ثم قال له السيد كوجي: "محمد رسول الله" فقرأها، ثم لفظ آخر أنفاسه."

التواضع والانكسار

يستلزم الشرط السابع من البيعة أيضًا أن يلتزم المبايعُ بالتواضع وحسن الخُلق وغيرهما. إنَّ المؤمنين بالأنبياء هم في الأساس من المتواضعين ومن غير الموسرين ماديًّا، بيد أهم يمتلكون قدرة أكبر من الأثرياء على التضحية بأموالهم في سبيل الله، ولو اضطروا إلى التضحية بحياتهم فلا يتردّدون. لا يتباهون ولا يبدون كِبرًا ولا غطرسة، بل يحققون معايير سامية في التواضع والانكسار. إنّ أساس النجاح في

الجماعات التي يقيمها الله هو أنّه كلما كان فيها أفرادٌ متواضعون وذوو حلم ويُبدون مُثلا عليا في التواضع، ازدادت سرعة نمائهم وتقدّمهم وازدهارهم. وكما قلت آنفًا، كذلك هي سيرة المؤمنين بالأنبياء.

عندما تقع نظرة الأنبياء على مِثل هذه القلوب فإنّها تصقلهم وتجليهم أكثر فأكثر، فإن هؤلاء المتواضعين لا يأنفون من الجلوس حتى في مكان الأحذية إذا كان ذلك من أجل راحة الآخرين. وعلى كلّ حال فإنّ المبعوثين من الله يتميّزون بالبصيرة التي تُمكّنهم من معرفة هؤلاء المتواضعين، وهم يرفعون هؤلاء المتواضعين من المكان الأدنى ويشرفونهم بدعوتهم للجلوس قربهم. وفي أوقات الطعام يطلبون منهم أن يأتوا ليجلسوا إلى جانبهم ويُكرموهم بتقديم الطعام لهم من أطباقهم مكافأةً لتواضعهم وليعلّموا جماعتهم أنّ الحلماء والمتواضعين هم الأعظم درجة. إنَّ الأنبيّاء يقدّرون عاليًا أمثال هؤلاء الناس لأنهم، بسبب تواضعهم، يسارعون إلى الإيمان، ويلتزمون بالتعليم الديني بشكل كامل.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"الفقراء لا يكونون متكبرين، بل يقبلون الحقيقة بتواضع كامل. الحقّ أقول لكم: القليل جدًا من الأثرياء من يستطيع الحصول حتى على عُشر هذا الحظ الذي يناله الفقراء كاملا." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٣٧)

هذا هو السبب الذي قاد المسيحَ الموعود عليه السلام إلى أن يجعل التواضع شرطًا للانضمام إلى الجماعة، وذلك ليفهم المبايعُ حقيقة الدِّين، بشكل

جيد، ويعمل عليه. ولسوف أقدّم لكم الآن بعضَ الأمثلة مبيّنًا كيف حدثت مثل هذه التغييرات في نفوس المؤمنين وسلوكهم:

" كان حضرة سيّد سَرْوَر شاه ﷺ عالما متبحرا ينتمي إلى عائلة ثرية، ومع ذلك كان مضرب المثل في الورع والتقوى والتواضع والبساطة. وبمجرد أن انضم إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام وألزم نفسه بطاعته، استأصل من قلبه جميعَ الرغبات الدنيوية؛ فقد أمضى فترة وظيفته في مدرسة أحمدية في بيت صغير لا يليق حتى بأبسط خادم. وحين اتبع المسيح الموعود عليه السلام ترك العالَمَ كله، ولم تَعُد الراحة المادّية همّه." (أصحاب أحمد، المجلد ٥، الجزء الثالث ص ٩، طبعة ١٩٦٤)

وأذكر لكم مثالا آخر عن التواضع يتعلق بالمولوي برهان الدين رضي الله عنه:

"جاء مرة لزيارة المسيح الموعود عليه السلام، والله وحدَه يعلم بالأفكار التي خطرت بباله فشرع بالبكاء، فسأله المسيح الموعود عليه السلام بحبّ وعطف كبيرين: ما بك؟ فأجاب وقال: "أولا أصبحت "كوهميًا" (تابعًا لمرشد يسمى كوهمي)، ثم صرت "باولويًا" (تابعًا لمرشد اسمه باولي)، ثم صرتُ "غزنويًا" (تابعًا للمولوي عبد الله الغزنوي)، وأصبحتُ الآن ميرزائيًا أي صرت تابعا لك. ومن المؤسف الآن أنّني قد وصلت إلى هذه السن المتقدّمة في العمر، وما زلت أشعر أنّني جهول." (قال ذلك تواضعا منه). وعندما سمع المسيح الموعود عليه السلام ذلك شعر بتعاطف ومواساة كبيرين تجاهه وقال مسليا إياه: "حضرة المولوي، لا داعي للقلق الآن؛ فقد وصلتَ إلى الهدف. ولا حاجة بك إلى القلق." عندها هدأ روعه

واطمأنَت نفسه." (مجلة أنصار الله الشهرية، ربوة، أيلول ١٩٧٧، ص ١٤)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام:

"حبي في الله، السيد فضل شاه اللاهوري من ولاية جامون أصلا، رجلٌ يتحلى بصفاء القلب ومفعم بالحب والإخلاص، ومُنَوّر بنور الإيمان التام، ومستعد دائمًا ليقدّم حياته وماله في سبيل الله عز وجل. ويتحلى بالأدب والظن الحسن المطلوب في هذا السبيل، والتواضع العجيب. وهو يكِنّ لي حبا صادقا ويتبعني اتباعا كاملا، وهو يحتل مكانة سامية في علاقة الحب معي لوجه الله تعالى، ويتحلى بالإخلاص والولاء الكبيرين. وإن أخاه ناصر شاه أيضًا على صلة طيبة بي من خلال البيعة؛ وكذلك خاله منشي كرم إلهي أيضا صديق مخلص لي." (إزالة أوهام، ص ٧٩٨، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٣٢)

وكتب المسيح الموعود أيضًا:

"حِبي في الله، منشي رستم علي، المفتِّش المساعد في شرطة السكك الحديدية، الذي أُحبُّه لوجه الله تعالى، هو شاب تقي مخلص جدًّا، وهو صديق لي من الدرجة الأولى. *(إن سمعة قسم الشرطة في بلادنا سيئة للغاية، لذا يمكن فهم هذا الكلام في ضوء هذه الخلفية)* وترى ملامح التواضع والزهد والإخلاص بمجرد النظر في وجهه. لم أَرَه متزلزلا أبدًا في أيّ ابتلاء. ومنذ أن مال إليّ بإخلاص، ظل إخلاصه ينمو ويزداد يومًا بعد يوم." (إزالة أوهام، ص ٨٠٦-٨٠٧، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٣٦)

اجتناب الكبر

يتطلب شرط البيعة من المبايع أيضًا اجتناب الكِبر. وأُقدّم لكم الآن مثال سيد سرور شاه ﷺ في هذا الشأن: "بالرغم من تمتعه بمكانة رفيعة جدًا بالعلوم والفضائل فقد كان متسما بالبساطة والتواضع، على عكس العلماء المزعومين في العصر الراهن، بحيث لو أراد طفل أيضا التحدث إليه في أي وقت، لأمكنه ذلك دون أيّ تردد. فقد كان يُصغي بكل حب وتعاطف، ويجيب بطريقة مقنعة."

يروي المولوي محمد حافظ البقابوري حادثة من طفولته ويقول: "وُلد لأحد أقربائي المقرّبين طفل، وعندما وصلني الخبر في رسالة قرّرت أن أسأل "المولوي سرور شاه" أن يقترح اسما للمولود، وربما كان المولوي المحترم في ذلك الوقت ذاهبًا إلى المسجد الأقصى بقاديان من أجل درس القرآن الكريم أو عائدًا منه؛ فتقدمت إليه فتوقف عندما رآني قادما إليه، وكان في غاية الحب والعطف والتلطّف، وبناء على رجائي اقترح اسمًا للمولود الجديد ودعا له". (أصحاب أحمد، المجلد ٥ الجزء ٣ ص ٣٥)

وسأروي لكم الآن بهذا الخصوص حادثا يتعلق بالمولوي برهان الدين ﷺ. فمن الواضح من الأمثلة السابقة أيضا أنه لم يكن يعرف التفاخر والتباهي أو التكلّف أو الرياء وغيرها. ومع أنه كان عالما لا يُبارى إلا أنه لم يعتبر نفسه كذلك. فلو خاطبه أحد – أثناء إقامته في قاديان – بتسمية حضرة الشيخ طلب منه ألاّ يدعوه بذلك اللقب قائلا: "لقد

بدأت لتوّي أتعلّم الألف باء من حضرة الميرزا (المسيح الموعود عليه السلام). (مجلة "أنصار الله" الشهرية، ربوة، أيلول ١٩٧٧ ص ١٢)

وثمة نموذج للتواضع وهو أعظم من جميع النماذج الأخرى.

كتب المسيح الموعود عليه السلام عن حضرة صاحبزاده سيد عبد اللطيف الشهيد رضي الله عنه، فقال:

"لقد بلغ عبد اللطيف الشهيد درجةً من التواضع وإنكار الذات لا يمكن لأحد بلوغها إلاّ إذا كان فانيًا في الله تعالى. يتأثر كلّ إنسان بشكل أو بآخر بالشهرة والمعرفة، ويبدأ بالانغماس في الغرور بالنفس؛ فتحول هذه العلوم والشهرة دون المعرفة بالحق. ولكن هذا الرجل كان يحتل مكانة رفيعة من التواضع بحيث إنه رغم كونه مضرب المثل في الصفات الحسنة، فإن علمه ونَسَبَه ومنصبه الرفيع لم يمنعه من قبول الحقّ. ولقد ضحّى في النهاية بحياته في سبيل الحق وترك لجماعتنا مثالا يريد الله تعالى منها تنفيذه. (تذكرة الشهادتين ص ٤٥، الخزائن الروحانية المجلد ٢٠ ص ٤٧)

إيثار الدين على الدنيا

معايير عليا في تقديم التضحيات:

لقد ورد في الشرط الثامن للبيعة أن على المبايع أن يؤثر الدين على الدنيا ويُضحّي بكلّ شيء من حياة وثروة وعِرض وغيرها. وبفضل الله تعالى نرى مشاهدَ بارزة لتقديم الدين على الدنيا في جماعتنا؛ فتأسيا

بأسوة سيدنا إبراهيم عليه السلام تقدِّم الأمهات أولادهن، ويأتي الآباء بأولادهم ويقولون: إنهم الآن مِلك الجماعة فلتطلب منهم أية تضحية تشاء. والأولاد يقدّمون أنفسهم بأنفسهم قائلين إننا مستعدّون كإسماعيل عليه السلام لتقديم حياتنا. هذه المشاهد كانت ملحوظة في السابق ولا تزال موجودة اليوم أيضا بحمد الله تعالى، وسأعطيكم مثالا عليها:

في عام ١٩٢٣م عندما شنّ الهندوس حملة لتحويل المسلمين إلى الهندوسية، لم يتخلف الأطفال أيضا عن الكبار في مساعي الجماعة للتصدي لهذه الحملة. إذ حتى الأطفال في الخامسة من العمر كانوا مستعدين للذهاب إلى منطقة "ملكانه" والمناطق المجاورة.[٨] فكتب طفل في الثانية عشرة من عمره إلى والده يقول إنّ خدمة الدين الحق ليست حكرًا على الكبار، بل هي واجب علينا نحن الصغار أيضا. وطلب من والده أن يأخذه معه للتبشير، وقال له: إن لم تذهب أنت للتبشير فلا بد أن ترسلني أنا للقيام بذلك." (تلخيصا عن 'تاريخ الأحمدية' المجلد ٥، ص ٣٣٦، طبعة ١٩٦٤)

إنَّ هذه الأمور ليست مجرد قصص من الماضي، بل لا نزال نرى هذه التضحيات حتى اليوم كما قلت آنفا. عندما يأتي أطفال "وقف نَو"[٩] لمقابلتي وأسألهم ماذا يحبّون أن يكونوا عندما يكبرون، فيجيبون أنهم سيكونون كما أطلب منهم أن يكونوا، أو كما تأمرهم الجماعة. تلك

---

[٨] – حيث كانت حملة تحويل المسلمين إلى الهندوسية حامية الوطيس. (المترجم)

[٩] – الأطفال الذين نذرهم آباؤهم لخدمة الدين. (المترجم)

هي حماسة الطفل الأحمدي. وطالما بقيت هذه الحماسة - ولسوف تبقى إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة - فلن يستطيع أحد أن يضرّ الجماعة شيئًا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن معي الآن جماعة كبيرة من الذين آثروا الدين على الدنيا بطيب خاطرهم، وصاروا كالدراويش. لقد هجروا أوطانهم وتركوا أقاربهم وأصدقاءهم القدامى وأقاموا في جِواري إلى الأبد." (أصحاب أحمد، المجلد ٥ ص ١٣٠ طبعة ١٩٦٤)

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"حِبي في الله المولوي حكيم نور الدين البهيروي..... لقد ساعدني بماله لدرجة لا أجد له نظيرا. لقد وجدته فانيا في خدمة الدين بطبعه وبانشراح كامل. ورغم أنّ حياته اليومية كلها مكرّسة في هذا السبيل، وهو خادم صادق للإسلام والمسلمين من جميع الوجوه، غير أنه من أنصار هذه الجماعة من الدرجة الأولى." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٥٢٠)

ويقول عليه السلام عن المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه:

"لقد عاش عيشا متسما بالزهد دون أن يأخذ نصيبا من الرفاهية الدنيوية. ترك وظيفته لأنه كان يرى فيها استخفافا بالدين. ومنذ فترة قصيرة عُرضت عليه وظيفة براتب قدره ٢٠٠ روبية شهريًا، ولكنه رفض رفضا باتا، وعاش حياة متواضعة. كان يحب قراءة الكتب العربية.

وقضى حياته كلها في الدفاع ضدّ الهجمات الخارجية والداخلية على الإسلام. وبالرغم من شدّة المرض والضعف ظل يتابع الكتابة." (سيرة حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي ﷺ، بقلم محمود مجيب أصغر، ص ١٠٨)

كتب نواب محمد علي خان ﷺ، زعيم ولاية "مالير كوتلا" في رسالة لأخيه: "أقول بكل وضوح إنّ الأسباب التي من أجلها قررتُ الإقامة في قاديان هي أنه قد مضى ١٢ سنة على بيعتي للمسيح الموعود ﷺ، ومن سوء حظي أني عشتُ في بلدي لمدّة ١١ سنة مقطوعًا عن قاديان. كنت آتي إلى هنا فقط لبضعة أيام بين حين وآخر، ولقد ضَيّعتُ كثيرا من عمري منغمسا في الأمور الدنيوية. وعندما توقفتُ في النهاية للتفكير أدركتُ أنّ حياتي كانت قد ضاعت منّي، وأني لم أحقق شيئًا لا من حيث الدين ، ولا من حيث الدنيا.

جئت إلى هنا (قاديان) بنية البقاء لمدة ٦ شهور فيها. ولكنني عندما فكرت في جميع شؤوني، أفتى قلبي أنّه يمكن أن تُسوّى الأمور الدنيوية من خلال الاتباع الحقّ للدين، ولكن عندما يركض الإنسان وراء الدنيا فإنه لا ينالها ويفسد دينه أيضًا. لقد تفكّرت بعمق وأدركت أنّني لم أحقق شيئا طوال ١١ عامًا كما لم ينجز إخوتي أيضا شيئا. ورغم إدراك هذه الحالة الميؤوس منها فقد رُحنا نضيع ديننا أيضا يوما إثر يوم. وأخيرًا وبعد أن أدركتُ أنه ليس ثمة نهاية للانشغالات الدنيوية قلتُ وداعًا لـــ "كوتلا" وعقدتُ عزمًا راسخًا على الهجرة منها.

فالحمد لله تعالى. يسعدني القول إنني قد هاجرت من "كوتلا". وبحسب الشريعة، لا يمكن للمهاجر أن يعود إلى بلده بمحض اختياره، أي لا يمكنه أن يتخذه موطنا له، وإنما يمكنه زيارته كالمسافر فقط. ففي هذه الحالة من المستحيل أن أعود. أنا في غاية السعادة وفي أحسن حال. كيف يمكننا أن نبتعد عن مركز حبّنا وإخلاصنا.....؟

أخي العزيز، لقد جئت إلى هنا لوجه الله، وإنّ ولائي وحبي هما لله أيضًا. إنّني بعيد عن "ماليركوتلا"، ولكن حالتها البائسة تحزنني كثيرا. أدعو الله أن يهب عائلتنا كلها وإياكم يا جميع أهالي "كوتلا" حكمةً لتكونوا جميعا خداما صادقين للإسلام وأن تكون حياتنا وموتنا في سبيل الله وحده. وينبغي أن نصير مسلمين مطيعين وربّانيين كليًّا.... وإنّ من شروط البيعة أن نُفضّل الدين على الدنيا، وأن نكون شاكرين للحكومة ونطيعها طاعة كاملة. ما يقيني هنا هو أنه كلما ازداد إيماني بدت لي الدنيا شيئا تافهًا، ونال الدين الأفضلية. كما أنّ الشعور بالامتنان لله وللناس في ازدياد، وكذلك فإنّ الطاعة والامتنان للحكومة أيضا يترسخان في القلب." (أصحاب أحمد، المجلد ٢، ص ١٢٦-١٢٩، طبعة ١٩٥٢)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام، عن حكيم فضل الدين رضي الله عنه، مبيّنًا حماسه للإسلام، فقال:

"حِبي في الله الحكيم فضل الدين البهيروي، هو من أصدقاء أخي المحترم المولوي الحكيم نور الدين، ويتّسم بصفات أخلاقية مشابهة

لصفاته، هو رجل غاية في الإخلاص. وإنني لأعلم يقينا أنه يحبّ الله ونبيّه حبا صادقا. وإنه يفي بشرط "الحب لله" لأنه يشاهد هذا العبد المتواضع يخدم الدين. ويبدو أنه هو أيضًا أعطِي نصيبا وافرا لنشر حقيقة الإسلام من العشق نفسه الذي أعطِيه أخي الحبيب المولوي الحكيم نور الدين منذ البداية. فهو ينظر إلى نفقات هذه الجماعة بتأمُّل ثم يفكر بجدية حتى تتوفر تلك النفقات بشكل أو بآخر من خلال التبرعات." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٢٢)

في عام ١٩٢٣ عندما بدأت حملة "شدهي"[١٠] كان الدعاة الأحمديون يسافرون يوميًا على الأقدام لأميال عديدة في الحرّ الشديد. وأحيانا لم يتوفر لهم ماء للشرب، ناهيكم عن الطعام، وعاشوا في معظم الأوقات على بقايا الطعام أو القليل من الحبوب المحمّصة أو الماء فقط، وفي بعض الأحيان كانوا يعيشون على السويق. قام السيد صوفي عبد القدير نياز بجولة في مقاطعتي "مين بوري، ومتهرا" وزار خلالها ٤٠ قرية تقريبا وكان كل يوم يمشي بمعدّل ١٦ ميلا. (تاريخ الأحمدية، المجلد ٥، ص ٣٤٣، طبعة ١٩٦٤)

انضمّ شخص في أمريكا إلى الأحمدية وكان موسيقارًا كبيرًا يتقدّم سريعًا في مجاله حتى اشتهر على مستوى البلد، وقال عنه الخبراء إنه سيكون له شأن عظيم في عصره. وعندما انضمّ إلى الأحمدية لم يعد يهتم

---

[١٠] – حملة بدأها الهندوس لإرجاع المسلمين من أصل هندوسي إلى الهندوسية جبرًا في بعض المناطق في الهند. (المترجم)

بالموسيقى ولم يطمع في الثروة التي كان بإمكانه الحصول عليها من خلال مهنته. وسرعان ما تخلّى عن ذلك كلّه، وبدأ يعيش حياةً بسيطة زاهدة، ويواظب على التهجد. وكلما ذكر النبي ﷺ فاضت عيناه بالدموع. (مجلة خالد الشهرية، كانون الثاني ١٩٨٨ ص ٤٠)

قال مولانا نور الدين قبل خلافته في مناسبة: "لماذا جئتُ إلى هنا؟ تعلمون أن لي بيتًا من الحجر في بلدتي بهيره، في حين بنَيتُ هنا بيتًا من الطين، وكانت أسباب الراحة متوفرة لي في وطني أكثر بكثير بالمقارنة مع ما هو هنا، ولكن كنتُ أجد نفسي مريضًا ومريضًا جدا هناك، ومحتاجا ومحتاجا جدا، ومعوزا ومعوزا جدا، فجئت هنا للتخلص من هذه الأسقام. فإذا كان أحد يأتي إلى قاديان وهو يظنني أسوةً أو يمكث هنا بضعة أيام ثم يأخذ الشكوى من ساكنيها فهو مخطئ. لقد أخطأتْ بصيرته لأنه يعدّ المرضى مُعافين ويمتحنهم. ينبغي أن تكون الصداقات والعلاقات هنا والذهاب والإياب إلى هنا والإقامة هنا كلها على ضوء شعار "لا إله إلا الله". أما إذا كنتم تأتون هنا من أجل الأكل والاستراحة وغيرها من المتع فاعلموا أن الطعام في بيوت كثير منكم أفضل من الطعام المتوفر هنا، فما الداعي للحضور هنا إذًا؟ لن تكونوا صادقين في إقراركم "لا إله إلا الله" إلا إذا كانت أفعالكم كلها لله سبحانه وتعالى." (خطبة الجمعة، ٢٢ كانون الثاني، ١٩٠٤، 'خطابات نور' ص ١٦٠، الطبعة الجديدة)

كتب المسيح الموعود عليه السلام عن صاحبزاده عبد اللطيف الشهيد رضي الله عنه:

"إنّ إحدى الصفات المتميزة التي يُحسد عليها هذا الشيخ الجليل الراحل هي أنه كان حقا يقدّم الدينَ على الدنيا. ولقد كان حقًّا من المتقين الذين يخافون الله حتى تصل تقواهم وطاعتهم لله ﷻ الذروة، وإنهم مستعدون للتخلي عن حياتهم وعرضهم وثروتهم وكأنها لا تساوي شيئا عندهم لنيل رضا الله. كان قوي الإيمان بحيث لو شبَّهتُه بأعظم جبل لخشيت أن يكون تشبيهي ناقصًا. إن كثيرا من الناس - رغم مبايعتهم وشهادتهم على صدق دعوتي - ما زالوا غير قادرين على التخلص كليا من سمومِ تقديم الدنيا على الدين، بل لا تزال بهم شوائبها، ولا يزال في نفوسهم الناقصة شحّ مستتر يتعلق بنفوسهم أو كرامتهم أو أموالهم أو أخلاقهم. ولذلك كلما أطلب منهم خدمة للدين أخشى أن يقعوا في ابتلاء فيروها عبئا عليهم فيخرجوا من بيعتهم.

ولكن، بأي كلمات أثني على هذا الولي المرحوم الذي نبذ ماله وعرضه وروحه في طاعتي كما يُنبذ الرديء من الأشياء. أرى كثيرا من الناس لا تكون بدايتهم ونهايتهم من حيث الإيمان سيّين، ويتعثرون بالمِحن البسيطة والوساوس الشيطانية أو بتأثير الصحبة السيئة. فبأي كلمات أعبّر عن ثبات هذا البطل الراحل الذي ظل يتقدم في نور الإيمان باستمرار؟" (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية المجلد ٢٠ ص ١٠)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام يقول أيضًا:

"لقد قدّم هذا الشهيد المرحوم نموذجًا لجماعتي، والحق أنّ جماعتي كانت في حاجة لنموذج عظيم، فما زال بينهم مَن إذا قدّموا خدمة

صغيرة ظنّوا أنّهم أنجزوا عملا عظيمًا، ولعلّهم يعتبرون ذلك منّة عليّ، بل الله قد مَنّ عليهم إذ وفّقهم لهذه الخدمة. ومنهم مَن لم يدخلوا هذه الجماعة بحماس وصدق كاملين، ولا يقدرون على الثبات على القوة الإيمانية والصدق والصفاء الكامل التي يدّعونها إلى نهاية الأمر، ويخسرون الدين من أجل حب الدنيا ولا يقدرون على الثبات في وجه أدنى ابتلاء، ولا ينتهي حبّهم للحياة المادية حتى بعد انضمامهم إلى الجماعة التي أسّسها الله. ولكن الحمد لله ألف ألف مرة بأنّ هناك أناسًا آمنوا بصدق القلب وإخلاصه وبهما اختاروا هذا السبيل، وهم مستعدون لحمل كلّ عناء فيه، غير أن القوة التي دفعت هذا البطل لتقديم هذا النموذج المثالي لا تزال في طور الخفاء بالنسبة إلى باقي الجماعة. أدعو الله أن يرزق الجميع مثل هذا الإيمان، وأن يمنحهم ذلك الثبات الذي أبداه هذا الشهيد المرحوم. إنّ هذه الحياة الدنيا التي هي معرضة لهجمات الشيطان تحول دون كمال الإنسان. سوف ينضمّ الكثيرون إلى هذه الجماعة، ولكن قليل منهم الذين سيُبدون مثل هذا النموذج للأسف." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠ ص ٥٧-٥٨)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن الشهادة التي كانت مقدّرة لصاحبزاده عبد اللطيف قد تحققت، وبقي الآن أن ينال الظالم جزاءه ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾. والمؤسف أن الأمير قد وضع نفسه تحت طائلة الآية القائلة ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا...﴾، وما خاف الله أدنى

خوف، وقتل مؤمنا لو بحثوا عن مثيله في أرض أفغانستان كلها لتعذر عليهم إيجاده؛ فقد كان من الذين هم كالإكسير الأحمر[11] ويضحون بأرواحهم بإخلاص وصدق قلب في سبيل الحق والإيمان ولا يأبهون بأهل ولا ولد.

يا عبد اللطيف، عليك آلاف الرحمات، فإنك قد برهنتَ على صدقك أثناء حياتي، ولا أدري ماذا سيفعل بقية أتباعي من بعدي". (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠ ص ٦٠)

كما يقول عليه السلام أيضًا:

"عندما أنظر إلى الثبات والتضحية اللتين أبداهما المرحوم شاهزاده المولوي محمد عبد اللطيف المرحوم، فإنّ أمَلي بالنسبة إلى جماعتي يزداد بشكل كبير. فإن الله الذي وفّق بعضَ أفراد هذه الجماعة ليضحّوا بحياتهم، دعك عن ممتلكاتهم في هذا السبيل، يبدو أنه يريد خَلقَ الكثير من الناس في هذه الجماعة من الذين ستكون لهم روح صاحبزاده مولوي عبد اللطيف، وسيكونون شجيرات جديدة من روحانياته." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠ ص ٧٥)

لقد استُشهد صاحبزادة عبد اللطيف رضي الله عنه قبل مئة سنة بالتحديد.

فيا مسيح الزمن الأخير، طوبى لك، فإن جماعتك الحبيبة قد حققت

---

[11] - "الإكسير الأحمر" تعبير معروف في اللغة الأردية والفارسية، والمراد منه أولياء الله وأحباؤه الذين هم بمنـــزلة بلسم أو ترياق أو رقية لبني جلدهم، وبوجودهم يُحفَظ الناس من البلايا والآفات. (المترجم)

آمالك والتوقعات التي كنت تتوقعها منهم، فلم يتأخروا مطلقًا عن التضحية بأموالهم وأوقاتهم وحياتهم؛ إذ ما زلنا نرى مشاهد هذه التضحيات اليوم أيضا. فلقد وُلد أمثالُ هؤلاء في الجماعة من بعدك أيضا.

كان المسيح الموعود عليه السلام قلقًا على ما سيحدث في الجماعة من بعده، فنشهد أنه قد وُلد وما زال يولَد بعد وفاته عليه السلام مَن لم يبال بالإغراءات الدنيوية، ولم يُحجِم عن التضحية بحياته؛ ولقد شاهد آباءٌ أبناءَهم يُستشهدون على مرأى منهم، وكان أبناءٌ شهودَ عيان لآباء يُستشهدون، ولكن لم تتزلزل أقدامهم، بل بَقوا جميعًا عازمين على التضحية بحياتهم من غير إحجام ولا وجل.

فيا أيها المسيح الطاهر، طوبى لك، فإنّ واحدًا من نسلك أيضًا قد ضحّى بحياته ليُنقذ الجماعة من بلاء كبير.

أدعو الله تعالى أن يستمر في منح جميع هؤلاء الشهداء الدرجات العليا في الفردوس. وندعو الله تعالى أن يُوفقنا نحن أيضًا أن نكون من الذين يُؤثرون الدينَ على الدنيا، ونكون مستعدين دائمًا لتقديم كل تضحية، وأن نُبقي هذا الحماس حيّا في ذرياتنا أيضًا. وفقنا الله تعالى لذلك دائما، آمين.

(خطبة الجمعة في مسجد بيت الفتوح لندن، ١٠-١٠-٢٠٠٣)

نماذج نادرة للإخلاص والولاء وخدمة الإنسانية

تركِّز جماعتنا على الخدمة الاجتماعية وخدمة الإنسانية بشكل كبير؛ فكلّ واحد منّا غنيًا كان أم فقيرًا يتحين الفرص ليخدم الإنسانية قدر وسعه ابتغاء مرضاة الله تعالى. لماذا نجد كلّ أحمدي متحمسًا جدًا لخدمة الإنسانية؟ السبب هو أن المسيح الموعود عليه السلام جعل التعليم الإسلامي الجميل الذي نسيه الناس شرطًا أساسًا من شروط البيعة، وهو التعليم الذي يحثّنا على أننا إذا أردنا رضا الله تعالى فإنّ علينا أن نحسن إلى بني البشر وأن نهتم بسدّ حاجاتهم، فإنّ ذلك وسيلة كبيرة جدا للفوز بقرب الله تعالى. فقال عليه السلام يجب عليكم بعد تأسيس علاقة معي استخدام كل ما أعطاكم الله من كفاءات ونِعَم في سبيل راحة الإنسانية والعطف على الناس. فلذلك ترون الأحمديين في طليعة المساعدين، سواء كانت الحاجة لمساعدة ضحايا هزّة أرضية أو فيضانات. ولقد ضحّى الشباب الأحمديون في بعض المناسبات بحياتهم عند حدوث موجات الطوفان العارمة، ولكنهم أوصلوا المشرفين على الغرق إلى برّ الأمان.

عندما طلب الخليفةُ تبرّعات لتأسيس مدارس ومستشفيات في أفريقيا من أجل تعليم الأطفال الفقراء ولتزويد المرضى البائسين بالمساعدات الطبّية، فإن الجماعة لَبَّت نداءه بعاطفة يجب أن تكون في قلب كل

أحمدي تجاه الإنسانية البائسة، وقدَّم أفرادُها لحضرته تبرعات تزيد عمّا طلب بأضعاف مضاعفة. وحين قال الخليفة بأن النقود قد توفرت ولا ينقصنا الآن إلا الأيدي العاملة لإدارة المستشفيات والمدارس، تطوع أطباء ومعلمون أحمديون بإخلاص وحماس كبيرين. لقد تحسّنت الحالة في أفريقيا الآن إلى حد كبير، ولكن عندما ابتدأ مشروع "نصرت جهان" في السبعينيات كانت الظروف صعبة جدًا؛ فعاش هؤلاء المتطوعون هذه الظروف القاسية، وقد كان لدى الكثير من هؤلاء الأطباء والمعلمين وظائف جيّدة قبل أن يُكرّسوا أنفسهم لهذا الهدف، ولكنهم وبعد نذر حياتهم عاشوا في قرى نائية في أفريقيا، إذ إن معظم مدارس الجماعة ومستشفياتها في القرى، حيث لا كهرباء ولا شبكات ماء. وبما أنهم كانوا حريصين على أن يَفوا بوعدهم في البيعة لخدمة الإنسانية البائسة؛ فلم يبالوا بأيّ نوع من العراقيل أو فقدان أسباب الراحة. في البداية كانت المرافق في المستشفيات شبه معدومة، فكان عليهم أن يضعوا المرضى على أي طاولة من الطاولات الخشبية ليُجْروا لهم عمليات جراحية تحت ضوء مصابيح الكيروسين أو الغاز؛ مستخدمين ما توفر لديهم من سكاكين ومقصّات ومعدات أخرى. ثم كان الطبيب يدعو الله تعالى قائلا: "يا ربّ إنني قد عالجت هذا المريض بما توافر لدي من وسائل؛ وقد أمرني الخليفة قائلا: عالِجْ بالدعاء والله تعالى سيجعل الشفاء في علاجك؛ فهب لي يا الله من لدنك الشفاء." فقدّر الله تعالى مساعي هؤلاء الأطباء المضحّين، فشفي كثير من المصابين بأمراض

مستعصية مما أدهش الناس حولهم. وأمّا فيما يتعلَّق بحاجاتهم فقد سدها الله من خلال الأشخاص الأغنياء الذين كانوا يُفضّلون مستشفياتنا الريفية الصغيرة على المستشفيات الكبرى في المدن. وبالمثل كان معلّمونا يعلّمون الأطفال مندفعين بحماسهم لخدمة الإنسانية. وما زالت هذه الخدمات مستمرة من قِبل الأطباء والمعلمين حتى اليوم. وأدعو الله تعالى أن يهبنا القدرة على الاستمرار بها، وأن يجزي جميعَ المشاركين في هذه الخدمات من لدنه أجرا عظيما.

على الأطباء الأحمديين أن ينذروا أنفسهم للخدمة

خلال الجلسة السنوية الماضية في المملكة المتحدة، ناشدتُ الأطباء أن يكرّسوا خدماتهم للمستشفيات في أفريقيا مؤقتا أو دائما. الأحوال هناك الآن بفضل الله تعالى أفضل بكثير، فالصعوبات والمشقّات التي واجهها المتطوعون الأوائل لم تعد موجودة، والأمور في معظم الأماكن أحسن بكثير، وجميع التسهيلات متوفرة. وإذا بقيت هناك بعض الصعوبات فعليكم أن تتذكّروا عهد البيعة، حيث عاهدتم أنكم سوف تنفعون البشرية لوجه الله تعالى بمواهبكم التي وهبكم الله إياها.. فتقدَّموا وأوفوا بوعدكم مع مسيح الزمان لترثوا دعواته. وبالمناسبة أُذكّركم بأن الأطباء مطلوبون للعمل في مستشفى "فضل عمر" في ربوة بباكستان أيضًا، وعليهم أن يقدّموا خدماتهم له.

إن أفراد الجماعة يقدّمون المساعدةَ المادّية بالتنسيق مع نظام الجماعة

بصورة مستمرة لتعليم الأطفال ومعالجة المرضى في باكستان وفي بلاد أخرى أيضا. وإنّ الذين يقدّمون مساعدة مادية للفقراء في بلاد مثل باكستان والهند التي يكثر فيها الفقراء ينالون دعوات المرضى، فعلى أفراد جماعتنا أن يستمرّوا في هذا العمل الصالح بحماس أكبر من ذي قبل لخدمة الإنسانية، لأن آلام الدنيا والمآسي أيضا في ازدياد مستمر.

والآن أذكر بعض الأحداث من سيَر بعض صلحاء الأحمديين القدامى الذين كانوا متحمسين بعاطفة خدمة الإنسانية.

يقول الذين يعرفون عن أسوة حضرة الطبيب ميرزا أيوب بيك ﷺ: "كان مثالا حيًّا للحديث الذي يعلّمنا أن نحبَّ لإخواننا ما نحب لأنفسنا، وألا نعاملهم بما نكره لأنفسنا. كان يبحث دائمًا عن فرصة لخدمة أيّ أخ أو صديق. يُروى أنه كان أثناء دراسته الجامعية يحضُر اجتماعات الجماعة المحلية، وكان يلتقي كلَّ أحمدي هناك، وإذا علم بمرض أحد سارع لعيادته في بيته، وكان يزور هؤلاء المرضى أحيانًا يوميا. وذات مَرّة مرض مفتي محمد صادق ﷺ بشدة فأقام في بيته لعلاجه أيامًا عديدة، وكان يعتني به ليل نهار حتى لو اضطر لتنظيفه في بعض الأحيان لم يتردد." (تلخيصا عن 'أصحاب أحمد'، المجلد ١، ص ٩٨، طبعة ١٩٩٧).

وكتب شودري محمد ظفر الله خان ﷺ عن أمه أنها كانت تقول: "إذا لم يكن الله تعالى عدوًّا للعبد، فهل بوسع أي عدوّ أن يصيبه بأي أذى؟ ولهذا فأنا لا أعدّ أحدًا عدوًّا لي". كانت تعامل كلّ مُعادٍ

بالحسنى، وكانت تقول: "مَن ترضى عنه فإنك ترغب في معاملته بالحسنى تلقائيا، فأي ثواب في هذا؟ فللفوز برضا الله تعالى ينبغي أن يحسن الإنسانُ ويبرّ بمن لا يرضى عنه.

وقال عن والدته إنها كانت تقيم في مدينة "دسكه" وكانت تُعامل جميعَ الناس هناك بكرم وإحسان، وكان الناس أيضا يحترمونها كثيرا. وكتب يقول: "لما اندلعت فتنة الأحرار وصل تأثيرها الضارّ إلى منطقتها أيضا وصار الناس الذين اعتادت أن تساعدهم في صف المعادين، ولكن ذلك لم يؤثّر على والدتي، فإذا قال لها أحد أقاربها بأن فلانا قد انضمّ إلى الأحرار وصار من أعداء الجماعة ومع ذلك تساعدينه، ضاقت من قوله وقالت: "لماذا تمنعني من خدمة الإنسانية"؟

يقول أحد الرواة أنها كانت ذات مرّة تُحضّر بعض الثياب، وعندما سألتها لمن تحضّرها، قالت إنها لأطفال فلان، فقلتُ لها: أمرك عجيب، هو من "الأحرار" وعدو لدود لجماعتنا وأنت تحضّرين هذه الملابس له؟! فأجابت: "إذا أراد هؤلاء الناس إيذاءنا، فإنّ الله عَزَّ وَجَلَّ سيحمينا، وما دام الله معنا فإنّ مكائد الخصوم لن تضرّنا. وهذا الشخص فقير مفلس، وليس لديه القدرة على تأمين الثياب لأولاده وأحفاده. إنّني أحضر هذه الثياب له باعتباره محتاجًا ولا يهمني غير ذلك. وبما أنّك تعترض على ذلك فإنّ عقوبتك هي أن توصل أنت الثيابَ إلى بيت ذلك الرجل بعد أن أجهزها". وقالت أيضًا: "هذا الشخص هو واحد من "الأحرار" وربما يراقبه الأحراريون، فعليك أن تذهب إليه ليلا كي لا يُزعجه أحد

لاستلامه ملابس من أحمديين." (أصحاب أحمد، المجلد ١١، ص ١٧٥-١٧٦، طبعة ١٩٦٢)

كانت العناية بالأرامل والأيتام والاهتمام بهم من أحب الأعمال إليها. ويقول الراوي بأنها كانت أحيانا تُعِدُّ جهاز العروس لبعض الفتيات الفقيرات فكانت تقوم بكل شيء من ثياب وغيرها بيدها بشغف شديد." (تلخيصا عن "أصحاب أحمد"، المجلد ١١، ص ١٨٦، طبعة ١٩٦٢)

كان حضرة مير محمد إسحاق رضي الله عنه يسعى كثيرا للعناية باليتامى، وقد كثر اليتامى في دار الأيتام وكانت تُدعى "دار الشيوخ". وقد ورد عن حضرته أنه كان مستلقيا في سريره بسبب حمّى شديدة، وكان في غاية الضعف حين جاءه عامل وأخبره أنه لم يعُد هناك مؤونة لإطعام الأيتام، ولم نستطع أن نؤمن لهم ذلك، وبالتالي لم يفطروا صباح هذا اليوم. فطَلبَ عَربة حصان، ومضى عليها إلى بيوت بعض الموسرين، وجمع بعض المؤونة، وهكذا دبّر إطعام أولئك الأطفال الأيتام.

هذا مثال على المواساة والعطف اللذين تحلّى بهما كبارنا؛ إذ إن حضرة سيد مير محمد إسحاق ضحى براحته حتى في حالة الحمّى، وخرج من بيته للعناية بالأيتام. وكيف لا يتصرف بهذه الطريقة؟ لقد كان أمامه بشارة من سيده وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَى. هذه هي أسوة كبارنا.

هناك رواية عن الحافظ معين الدين ﵁ الذي كان ضريرًا، يقول الراوي: كان الحافظ يمشي بصعوبة كبيرة في طريق موحل جدًّا في ليلة باردة في قاديان، فسأله أحد عن المكان الذي كان يريد الذهاب إليه، فأجاب: "يا أخي، هناك كلبة ولدت عددًا من الجِراء، وكان عندي رغيف خبز، فأحببت أن أطعمها إياه بدل أن آكله لأن السماء ماطرة."

الذي فعله الحافظ المحترم هو اتّباع سنة الرسول ﷺ في الشفقة على الحيوانات؛ فقد ورد في الحديث الشريف أن شخصا نزل البئر فملأ خفّه بالماء وسقى الكلب العطشان فغفر الله له، فقالوا: يا رسول الله، وإنّ لنا في البهائم لأجرًا؟ قال: في كلّ ذات كَبِد رطبة أجر. (تلخيصا عن 'أصحاب أحمد' المجلد ١٣، ص ٢٩٦، طبعة ١٩٦٧)

وهناك رواية عن أحمدي اسمه نور محمد ﵁:

كان مسافرًا في قطار، والشتاء قارس شديد البرودة، وهو مرتدٍ قميصين فقط، الواحد فوق الآخر، إذ لم يكن لديه معطف أو حِرام، فشاهد عجوزًا مُعاقًا عاريًا يرتجف من البرد، فخلع واحدًا من قميصيه فورًا، وألبسه إياه. فلما شاهد ذلك رجلٌ من السيخ كان مسافرًا معهما قال: "أخي العزيز، لسوف تنال النجاة؛ أما أنا فلا أعرف ما الذي سيحدث لي."

وبعد بضعة أيام حدث أن جاء "نور محمد" هذا إلى مسجد في لاهور ليؤدي صلاة الفجر، وكان يرتدي حِراما صوفيا جديدا، فشاهد شخصًا اسمه فتح الدين يرتجف من المرض والبرد؛ وكان قد أفلس بعد أن كان

غنيًا، فنـــزع "نور محمد" حِرامه الجديد بسرعة وألبسه إياه." (تلخيصا عن "روح برور يادين" (الذكريات المنعشة للروح) ص ٦٨٧ الطبعة الأولى)

عند تأسيس باكستان في عام ١٩٤٧، سافر مئات الألوف من اللاجئين المنهوبين والمنكوبين إلى قاديان في قوافل. وكانت الظروف في ذلك الوقت غاية في القسوة. ولم يكن أي ضمان لحماية شرف النساء المسلمات وأعراضهن، وكان جميع المسلمين يروْن أنهم لو وصلوا قاديان لصاروا في مأمن. فعيّن حضرةُ المصلح الموعود ﷺ ابنَه ميرزا ناصر أحمد مسؤولا عن اللاجئين الذين كانوا يصلون إلى قاديان في حالة بائسة، وكان الكثير منهم يفتقرون إلى الملابس. فقام حضرته قبل أن يتوجه إلى غيره بفتح صناديق الملابس الثمينة الخاصّة بعائلته ووزعها على اللاجئين. ثم غادرت القوافل من قاديان تحت نظام مدروس إلى باكستان، ووصلوا بفضل الله تعالى إلى غاياتهم بأمان. وقد أدّى الأحمديون واجب حماية كل هؤلاء اللاجئين جميع الناس مضحّين حتى بحياتهم.

من شروط بيعة المسيح الموعود عليه السلام أنّنا بعد الانضمام إلى جماعته لا نملك لأنفسنا شيئًا. وستكون الآن جميع انتماءاتنا وصِلاتنا تابعة للمسيح الموعود عليه السلام ونظام الجماعة. ولا يمكن لأية قرابة أو صلة أن تُبعدنا عن المسيح الموعود عليه السلام. لقد صرنا متسولين على بابه، وهذه أولويتنا. ولقد أوفى الأحمديون بهذا العهد أيّما وفاء. وأقدم لكم الآن أمثلة لأحمديين قد أثنى عليهم إمام العصر نفسُه عليه السلام.

كتب المسيح الموعود يقول:

"…. وكذلك حِبي في الله المولوي محمد أحسن الأمروهي فهو نشيط في تأليف كتب رائعة تأييدا لهذه الجماعة. وصاحبزاده بير سراج الحق فقد قطع صلته بالآلاف من أتباعه وقَبِل أن يعيش هنا درويشا فقيرا. وميان عبد الله السنوري، والمولوي برهان الدين الجهلمي، والمولوي مبارك علي السيالكوتي، والقاضي ضياء الدين القاضيكوتي، والمنشي شودري نبيّ بخش البطالوي من مقاطعة غورداسْبور، والمنشي جلال الدين يالاني وغيرهم من الأحباب يشاركون في خدمات على قدر وسعهم. أنا مندهش من الحب والإخلاص اللذين تبديهما جماعتنا حتى ذوو الدخل الزهيد منهم، فمثلا إن الإخوة الثلاثة ميان جمال الدين وخير الدين وإمام الدين الذين هم من كشمير ويعيشون قرب قريتنا هم عمّالٌ من ذوي الموارد الشحيحة، وربما يكسبون فقط ١٢ أو ١٦ مليما في اليوم، ومع ذلك يشاركون في تبرعات شهرية بحماس كبير. ويُذهلني كذلك إخلاص صديقهم ميان عبد الله عزيز جابي الضرائب الزراعية، فمع افتقاره حتى إلى موارد العيش الزهيدة أعطاني ذات يوم تبرعًا بقيمة ١٠٠ روبية، وقال إنه يرغب في أن يُنفَق هذا المبلغ في سبيل الله تعالى. ولربما كان ذلك الإنسان الفقير قد ادّخر مئة الروبية تلك على مدى سنوات عديدة، لكن حماسه للإنفاق في سبيل الله تعالى وللفوز برضاه جعله يفعل ذلك." (ضميمة أنجام آتم، خزائن روحانية، المجلد ١١، ص ٣١٣-٣١٤، الحاشية)

كتب المسيح الموعود عليه السلام عن حضرة الخليفة الأول رضي الله عنه: "لقد رأينا كثيرين ينفقون القليل في سبيل الله تعالى مع أنهم من ذوي الثروة العظيمة، أما أن ينفق أحدٌ ثروته الحبيبة ابتغاء رضا المولى ويبقى جائعًا عطشان وألاّ يهتمّ بادخار شيء لنفسه في الدنيا، فإن هذه الصفة لم نرها بصورة كاملة إلا في حضرة المولوي نور الدين.... وما نفعني مال أحد مثل ماله قط." (نشان آسماني، (الآية السماوية) الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٠٧)

كتب حضرة الخليفة الأول رضي الله عنه إلى المسيح الموعود عليه السلام: "نفسي فدى في سبيلك. إن كلّ ما أملكه ليس لي، بل هو مِلكك. يا سيدي ومرشدي، أقول لك بكل صدقٍ لو أُنفقَ كل مالي وثروتي في سبيل نشر الدين فقد فزتُ بمرادي." (فتح الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٦)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام عن حضرة منشي ظفر أحمد رضي الله عنه ضمن ذكر عدد من أصحابه المخلصين: "..... وحِبي في الله المنشي ظفر أحمد شاب صالح قليل الكلام شديد الإخلاص ودقيق الفهم، وآثار الاستقامة وأنوارها بادية في وجهه، وأمارات الوفاء وعلامات الولاء ظاهرة فيه، يدرك الحقائق الثابتة جيدًا ويسعد بها. يحب الله ورسوله حبا صادقا، ويتحلى بالأدب الذي هو المدار لنيل جميع الفيوض الروحانية وبحسن الظن الذي هو مرْكب هذا السبيل. جزاهم الله خير الجزاء." (إزالة أوهام، ص ٨٠٠-٨٠١، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٥٣٢-٥٣٣)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام عن حضرة ميان عبد الله السنوري رضي الله عنه:

"حِبي في الله ميان عبد الله السنوري هذا الشاب الصالح جُذب إلي لفطرته الصالحة. أنا على يقين أنه من أولئك الأصدقاء الأوفياء الذين لا يهزّهم أي ابتلاء، فلقد بقي أحيانًا في صحبتي، في مختلف الأوقات، لمدة شهرين أو ثلاثة أو أكثر، وكنت أراقبه عن كثب لمعرفة حالته الإيمانية الداخلية، فما توصلتْ إليه فراستي من خلال التعمق فيه أن هذا الشاب شديدُ الحماس حقًّا في حب الله ورسوله الكريم ﷺ. وليس سبب حبه الشديد لي إلا يقينه بأنّني من عشاق الله ورسوله." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٥٣١)

كتب المسيح الموعود عليه السلام عن منشي محمد أرورا رضي الله عنه: "حِبي في الله منشي محمد أرورا يعمل محررًا في المحكمة. إن قلبه عامر بالحب والإخلاص والولاء، وهو عاشق للصدق ويدرك الحقّ فورًا، ويؤدي جميعَ الخدمات بنشاط وسرور كبيرين، بل يبحث ليل نهار عن أيّة فرصة لخدمة يقوم بها. إنَّه متسم بانشراح الصدر وروح التضحية، وأشعر أنه يحبّني إلى حد العشق، ولعله لا يفرح بشيء أكثر من أن يخدمني بكل قواه وماله ونفسه. فتى وفيّ ومخلص ومستقيم الأحوال وشجاع. أدعو الله تعالى أن يجزيه أحسن الجزاء، آمين." (إزالة أوهام، ص ٧٩٨-٨٠٠، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٣٢)

ثم يقول عليه السلام: "حِبي في الله ميان محمد خان موظف في ولاية كبورتهله. إنه متواضع للغاية ونقي الباطن ودقيق الفهم ومحب للحقّ. لا أستطيع تقويم درجة إخلاصه وحبه وحسن ظنه بي. لا أخاف عليه من

أن يقلّ إخلاصه وولاؤه لي، إنما أخاف أن يبالغ في ولائه لي. إنه صادق الوفاء وفدائي ومستقيم الأحوال. أدعو الله أن يكون معه. لقد انضم أخوه الشاب سردار علي خان إلى جماعتي. وهذا الشاب أيضا سعيد ورشيد كأخيه. أدعو الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحفظهما كليهما." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٥٣٢)

وكتب حضرته قائلا: "لقد أحزننا موت أخينا الحبيب المرحوم المغفور له ميرزا عظيم بيك رئيس "سامانا" من ولاية بتياله. توفاه الله في ٢ ربيع الثاني ١٣٠٨ هـــ. ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. "العين تدمع، والقلب يحزن، وإنّا بفراقه لمحزونون." لا أجد كلمات أعبّر بها عن حبّه وتفانيه في طاعتي لوجه الله تعالى، ولا أجد في حياتي نظير الحزن الذي واجهته بسبب موته الذي جاء في غير أوانه. كان لنا فَرَطًا وسلَفًا، رحل عنّا في طرفة عين. لن ننسى حزن فراقه ما بقينا على الحياة...... عند تذكر فراقه نشعر بالحزن والضيق والالتياع. فالقلب يحزن والعين تدمع. كان وجوده كله مفعمًا بالحب والإخلاص، وكان جريئًا جدًا في إظهار عواطف الحب الجياشة." (فتح الإسلام، ص ٦٥-٦٦، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٣٩)

يروي حضرة قاضي ضياء الدين رضي الله عنه أنه قال ذات مرة للمسيح الموعود عليه السلام: "سيدي، أجد في قلبي أفكارا متعارضة؛ فمن ناحية أرغب بإخلاص شديد أن يطّلع العالمُ كلّه بأسرع ما يمكن على صدقك وأنوارك الروحانية، وأن يأتي الناس من جميع الأمم والأديان ويرتووا من

هذا النبع الروحي الذي أجراه الله ﷻ هنا. ومن ناحية أخرى يحزنني أنه عندما يعرفُكَ الناس ويأتونك بأعداد كبيرة، فأفقد السعادة التي أتمتع بها في قربك وصحبتك. فابتسم المسيح الموعود عليه السلام لقولي هذا." (أصحاب أحمد، المجلد ٦ ص ١٠)

وهناك مثال آخر لقاضي ضياء الدين رضي الله عنه: "يقول القاضي عبد الرحيم إنّ أباه قد روى ذات مرة بكل سرور قائلا: كنت مرة أتوضّأ فسأل المسيحَ الموعود عليه السلام خادمُه الحافظُ حامد علي عمَّن أكون، فأخبره عليه السلام عن اسمي وعنواني وقال: هذا الشخص يحبنا لدرجة العشق. وكان حضرة القاضي يفتخر بذلك كثيرا ويتساءل: كيف عرف المسيح الموعود عليه السلام حالة قلبي؟ وكانت نتيجة حبه أنه أوصى أولادَه عند قرب وفاته قائلا: لقد أَتيتُ بكم إلى باب المسيح الموعود عليه السلام بصعوبة كبيرة، فلا تتركوا هذا الباب بعدي أبدا." ولقد عمل أولاده بوصيته بشكل كامل. (أصحاب أحمد، المجلد ٦، ص ٨-٩، طبعة ١٩٥٩)

استُشهد حضرةُ المولوي نعمة الله رضي الله عنه في كابول عام ١٩٢٤، وكان قد كتب قبل استشهاده رسالةً من سجنه إلى صديق أحمدي قال فيها: "أدعو الله دائمًا في السجن بهذه الكلمات: إلهي، اجعل هذا العبد الحقير ناجحًا في خدمة الدين، إني لا أرغب في أن يُطلق سراحي أو أن أنجو من القتل، بل أتوسل إليك يا رب أن توفّقني للتضحية بكلّ ذرّة من هذا العبد الحقير في سبيل الإسلام." (تاريخ الأحمدية، المجلد ٥، ص ٤٥٠، طبعة ١٩٦٤)

العلاقة الفريدة مع المسيح الموعود عليه السلام

ورد في الشرط العاشر للبيعة أن تكون للمبايع مع المسيح الموعود عليه السلام علاقة لا نظير لها. ففي هذا الصدد هناك رواية عن سيد عبد الستار شاه رضي الله عنه. في عام ١٩٠٧م مرض الابن الأصغر للمسيح الموعود عليه السلام، صاحبزادة ميرزا مبارك أحمد وأصيب بنوبة شديدة من التيفوئيد. وفي أيام مرضه رأى أحد في المنام أن مبارك أحمد يتزوج. وقد قال فئة من علماء تعبير الرؤى إذا كان الزواج في الحلم بامرأة غير معروفة فهذا يعني الموت، بينما يرى آخرون أنه إذا أمكن تحقيق تلك الرؤيا بالمعنى الحرفي فقد يزول عنه الموت. وكان الشخص الذي رأى الرّؤيا قد ذكرها للمسيح الموعود، فقال عليه السلام: "إنّ المعبرين يقولون إنّ تأويله هو الموت، ولكن إذا أمكن تحقيق الرؤيا بشكل حرفي فيمكن أن يزول الموت، لذا تعالوا نزوِّجْ مبارك أحمد. ومع أنّ الطفل كان أصغر من أن يعرف شيئًا عن الزواج، إلا أن المسيح الموعود عليه السلام اهتمّ بتزويجه. وبينما كان حضرته في هذا الحديث جاءت السيدة سيدة سعيدة النساء زوجةُ الدكتور عبد الستار شاه رضي الله عنه إلى باحة بيت المسيح الموعود عليه السلام حيث كانت ضيفة فيه، فناداها وقال: نريد تزويج مبارك أحمد، وعندك ابنتك مريم، فإذا أحببتِ فإنّنا نودّ أن نزوّجها لمبارك أحمد. فقالت: ليس لديّ أيّ اعتراض، ولكن إذا ما سمح حضرتُكم فإنني أودّ أن تمهلني حتى أشاور زوجي.

كان المرحوم الدكتور شاه يمكث في تلك الأيام مع عائلته في الغرفة المستديرة في بيت المسيح الموعود عليه السلام، فنَزَلَت السيدة سعيدة النساء إلى الطابق السفلي....... ولكنّ زوجها لم يكن هناك، فانتظرته حتى أتى، فتحدثتْ إليه قائلةً: "عندما يَدخل المرء في دين الله تعالى، فإنّه يُمتحن في إيمانه أحيانا، فإذا اختبر الله تعالى إيمانك بتجربة فهل ستثبُت؟ كان في ذهنها فكرتان تجعلانها تظن أنّ زوجها قد يتردد في قبول هذا الزواج، الأولى أنه حتى ذلك الوقت لم تُزَوَّج أية فتاة من عائلته مطلقًا إلى واحد من غير السادات[١٢] والثانية أنّ مبارك أحمد كان مريضًا بشكل حَرِج، وكان زوجها يُعالجه بنفسه، فلا بد أن يفكر أن هذا الزواج مهدد بالخطر والفشل بنسبة ٩٩%، وهكذا ستصاب ابنتهم بوصمة عار الترمّل في مقتبل العمر. لهذين السببين خافت أن يبدي زوجُها ضعفًا، فيفقد إيمانه، لذا سألته: إذا ابتلاك الله بابتلاء فهل ستظلّ ثابتًا؟ فأجاب: آمل أن يهبني الله تعالى الثّبات. فلما سمعت ذلك منه أخبرته القصة كلها بأنّ المسيح الموعود عليه السلام قد اقترح زواج مريم من مبارك وأنه ينتظر موافقتنا. فقال: حسنًا، إذا كان المسيح الموعود عليه السلام يُحِبّ ذلك، فلا مانع عندنا. فبدأتْ بالبكاء وانهمرت الدموع من عينيها، فسألها زوجها: ما الأمر؟ ألاّ تحبين هذا الزواج؟ فأجابت:بل أُحبه، ولكن عندما اقترح المسيح الموعود عليه السلام هذا الزواج كان قلبي يخفق خوفا من أن ترفض هذا

---

[١٢] - "السادات" اصطلاح يطلق على نسل النبي صلى الله عليه وسلم. (المترجم)

الاقتراح فيضيع إيمانك. والآن عند سماعي جوابك لا أتمالك نفسي من شدة الفرح. وهكذا فقد تمّ هذا الزواج، وبعد بضعة أيام صارت تلك الفتاة أرملة." (الفضل اليومية الصادرة في قاديان، آب ١ عام ١٩٤٤، ص ١-٢، نقلاً عن سيرة حضرة الدكتور سيد عبد الستار شاه صاحب، ص ١٢٢-١٢٤)

انظروا الآن كيف أنّ الله ﷻ قد بارك في إخلاص حضرة الدكتور. فقد زُوِّجت هذه الفتاةُ، مريم، فيما بعد من المُصلح الموعود ؓ، وصارت تُعرف باسم أم طاهر مريم صديقة رضي الله عنها.

وكتب المسيح الموعود ؑ، عن حضرة صاحبزاده عبد اللطيف الشهيد ؓ:

" في تلك الأيام حين تواتر نزول هذا الوحي الإلهي عليّ، وظهرت الآيات الباهرة والقوية، وانتشر في العالم دعواي المقرون بالأدلة بأني أنا المسيح الموعود، صَدَفَ أن وصلتْ كتبي إلى رجل صالح اسمه عبد اللطيف في منطقة خوست الواقعة على تخوم كابول. ووقع نظره على جميع الأدلة النقلية والعقلية والتأييدات السماوية التي سجلتها في كتبي. ولما كان هذا الرجل الصالح طيب الباطن جدا وصاحب علم وفراسة وخاشعا لله وورعا وتقيا تركَت هذه الأدلةُ في قلبه تأثيرا قويا، ولم يجد في تصديق هذه الدعوى أدنى صعوبة، وأقرَّ طبعه النقي دون أدنى تردد أن هذا الشخص مبعوث من الله وأن هذه الدعوى صحيحة. فبدأ يقرأ كتبي بكل حب وشغف، وجُذبتْ روحه المهيّأة والصافية إليَّ جذبًا،

حتى تعذر عليه البقاء بعيدا عني دون اللقاء. وكانت نتيجة هذا الجذب القوي والحب والإخلاص أنْ عقد العزم على الحج مستأذنًا لذلك من ولاية كابول، وقدّم طلبه بالسفر إلى حاكمها. ولما كان (السيد عبد اللطيف) يُعتبَر عالما كبيرا بل رئيس العلماء في نظر حاكم كابول فلم يقتصر الأمر على نيله الإذن فقط، بل أُعطِي بعض المال أيضا مساعدةً له، وبعد هذا الإذن وصل إلى قاديان. والذي نفسي بيده لقد وجدتُه في طاعتي وتصديق دعواي صادقا متفانيا بما لا مزيد عليه. لقد وجدتُه مفعمًا بحبي كزجاجة مليئة بالعطر. كان وجهه نورانيا كما كان قلبه نورانيا". (تذكرة الشهادتين، ص ٧، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٩-١٠)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام عن المولوي نور الدين البهيروي رضي الله عنه:

"لا يسعني هنا إلاّ أن أعبر عن شكري لله عز وجل أنه تعالى لم يتركني وحدي؛ فالذين قد أنشأوا صلة الأُخوّة بي وانضمّوا إلى جماعتي - التي أسسها الله عز وجل - مصطبغون بصبغة عجيبة من الحبّ والإخلاص. وهذا ليس باجتهاد منّي، بل إن الله تعالى بمنّته الخاصة قد وهب لي هذه النفوس المليئة بالإخلاص. قبل كلّ شيء أجد في قلبي حماسا شديدا لأذكر أخًا روحيًّا لي اسمه كنور إخلاصه "نور الدين". إنني أنظر دائما بحسرة إلى بعض خدماته الدينية التي يقوم بها لإعلاء كلمة الإسلام بإنفاق ماله الحلال، وليتني أنا قمت بمثل هذه الخدمات. إن الحماس في قلبه لنصرة الإسلام يذكّرني بقوّة الله ومجده، إذ كيف أنّه سبحانه وتعالى يجذب

عباده إليه. إنه مستعد دائمًا لإنفاق كل ما يملك من مال وثروة وقوة وأسباب طاعةً لله ورسوله. وإني لأعرف ذلك بناء على خبرتي وليس بحسن ظني معرفة صحيحة أنّ هذا الرجل لم يتردد في إنفاق حياته وشرفه في سبيلي، فضلا عن ماله. والواقع أنني لو سمحتُ له لضحّى بكل ما يملك في هذا السبيل وبقي في صحبتي المادية دائما كما يظل هو في صحبتي الروحانية. وأسجّل فيما يلي سطورًا قليلة من بعض رسائله - كنموذج - ليتمكّن القرّاء من معرفة مدى ما بلغ أخي الحبيب المولوي الحكيم نور الدين البهيروي الطبيب الملكي في ولاية جامون من الحب والإخلاص لي. وفيما يلي هذه الفقرات:

"مولانا، مرشدنا، إمامنا! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يا عاليَ الجناب، أدعو الله تعالى أن أبقى في حضرتك طول الوقت، وأحقق الأهداف التي بُعثتَ من أجلها كإمام هذا الزمان ومجدده. لو سمحتَ لي فإني أستقيل من وظيفتي وأبقى في حضرتك ليل نهار، وإذا أمرتني فأترك كل شيءٍ وأتجول في العالم كله لدعوة الناس إلى الدين الحق، حتى أموت في هذا السبيل. نفسي فدى في سبيلك. إن كلّ ما أملكه ليس لي، بل هو مِلكك. يا سيدي ومرشدي، أقول لك بكل صدقٍ لو أُنفقَ كل مالي وثروتي في سبيل نشر الدين فقد فزتُ

بمرادي...... إن بيني وبينك نسبةً فاروقية[١٣]. وإني مستعدٌّ لبذل كل ما عندي في هذا السبيل. فادْعُ لي أن أموت موت الصدّيقين".

إنّ الصدق والهمة والمواساة والفداء جميعها كما هي جليّة في أقوال حضرة المولوي؛ فإنها أكثر وضوحا في خدماته المخلصة؛ فهو يرغب بإخلاص وحب كاملين في أن يُضحّي في هذا السبيل حتى بالضرورات الأساسية لحياته العائلية. إنّ روحه تدفعه من شدة الحب والنشوة لأن يفعل أكثر مما في طاقته. وهو منشغل في كلّ لحظة وآن في تقديم خدمات عظيمة." (فتح الإسلام، ص ٥٩ - ٦٣، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٥ - ٣٧)

وفي ردّه على مُنتقِد كتب المسيح الموعود عليه السلام:

"أنت تقول إنّ ليس في جماعتنا من يتميّز بالنشاط والعمل غير الحكيم المولوي نور الدين، وأما الآخرون فهم مصابون بكذا وكذا من العيوب. لا أعرف كيف ستجيب الله عز وجل على هذا الافتراء. أستطيع أن أحلف أنه يوجد في جماعتي مئة ألف شخص على الأقل ممّن قد آمنوا بي بصدق القلب ويقومون بالأعمال الصالحة، وتفيض أعينهم من الدمع عند سماع حديثي حتى تبتلّ جيوبهم. إنّني أرى تغيّرًا كبيرًا في الآلاف ممن بايعوني بحيث أعدّهم أفضل بآلاف المرات من أتباع موسى عليه السلام الذين آمنوا به في حياته. وأرى على وجوههم نور الإيمان والتقوى مثل نور صحابة

[١٣] - يعني: كما أن إسلام عمر الفاروق رضي الله عنه كان سببًا لعز الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم، كذلك أُحبّ أن أكون سببًا لقوتك. (المترجم)

رسول الله ﷺ. وإذا كان هناك من لم يصل إلى الدرجة المطلوبة من الصلاح بسبب ضعفه الفطري فهو في حكم النادر.

أرى أن التَقدّم الذي أحرزته جماعتي في البر والصلاح لهو معجزة في حد ذاها، فآلاف منهم يفدونني بصدق القلب، فلو دعوهم اليوم إلى التخلي عن جميع أموالهم لسارعوا إلى ذلك. ومع أني أحثّهم على المزيد من التقدّم في هذه السبيل ولا أحدثهم عن فضائلهم، إلا أنني أشعر بسعادة كبيرة في قلبي." (سيرة المهدي، الجزء ١، ص ١٦٥ الطبعة الثانية ١٩٣٥)

واجبات ذرية كبار المخلصين

كانت هذه مجرد أمثلة قليلة قدمتُها لكم. إذ توجد مئات الألوف من أمثلة شبيهة في جماعة المسيح الموعود الحبيبة. ولقد قال حضرته عليه السلام إن عدد أتباعه قد وصل مئات الآلاف، أما الآن فقد ازداد جدًّا عدد الذين أحرزوا مستوى عاليًا في الإخلاص والوفاء والتضحية، ولكن هناك الكثير ممّن لم تُحفظ أحداث وفائهم وإخلاصهم وحبهم وطاعتهم، إذ جاءوا بصمت وذهبوا بصمت مع أهم كانوا قد بلغوا أعلى مستوى في الحبّ والولاء والوفاء والطاعة، فمن واجب ذريّات هؤلاء المخلصين تسجيل أحداث حياهم لدى الجماعة، كما ينبغي أن يحتذوا حذوهم ويخبروا أولادهم أن أجدادهم قد تركوا لهم هذه النماذج المثالية وأن عليهم الحفاظ عليها بالتأسي بها.

وفي الوقت الذي نغبط فيه أجدادنا أهم ورثوا دعوات إمام العصر

نتيجة تضحياتهم، علينا أن ننتهز كل فرصة للانتفاع من تلك الدعوات. تعالوا نحافظ على هذه الأمثلة السامية للحب والإخلاص والولاء والوفاء والطاعة لنرث أفضال الله تعالى باستمرار. واعلموا أننا ما دمنا نقدم مِثْل هذه النماذج فإنّ المعارضة الدنيوية لا يمكنها أن تضرنا شيئا، وتذكروا دائمًا كلمات المسيح الموعود عليه السلام حيث قال: "لا يمكن للأرض أن تضركم مطلقًا ما دامت صلتكم بالسماء قوية."

اعترافات الأغيار

لقد لمس الأغيار أيضًا هذه التغييرات الطيبة واعترفوا بها. لقد كانت تغييرات واضحة جلية بحيث لم يجدوا بُدًّا من الاعتراف بأنّ الأحمديين قد أحدثوا العديد من التغييرات الإيجابية بعد قبولهم إمامَ العصر، ورغم هذا الاعتراف لا يزالون مُصرّين على الرفض والإنكار. وأُقدّم الآن بعض الأمثلة من اعترافاتهم:

كتب العلاّمة إقبال: "إذا أراد أحد مشاهدة نموذج حقيقي للسيرة الإسلامية فليشاهدها في هذه الجماعة التي تسمى الفرقة القاديانية." (الجماعة الإسلامية- دراسة اجتماعية، للعلامة الدكتور محمد إقبال، الناشر: آئينه آدم، لاهور، ص ٨٤ الطبعة الأولى ١٩٧٠م)

وكتب العلامة نياز الفتحبوري عن المسيح الموعود عليه السلام: "لا يمكننا إنكار أنه قد أحيا الأخلاق الإسلامية من جديد حقًّا وأسس جماعةً يمكننا الجزم أنها انعكاس حقيقي لأسوة النبي صلى الله عليه وسلم." (ملاحظات نياز

فتحبوري، ص ٢٩، جمعها محمد أجمل شاهد، ماجستير، طبعة ١٩٦٨)

وكتب محرر جريدة "The Statesman" الصادرة في دلهي يقول: "لقد وُلد في مدينة قاديان المقدّسة نَبيّ هندي ملأ محيطَه بصلاحه وأخلاقه العظيمة. وقد انعكست هذه الصفات الطيبة في حياة ألوف من أتباعه" (The Statesman، ١٢ شباط، ١٩٤٩، الدكتور شانكر داس مهرا، M.B.B.S.؛ دلهي، ص ٢٧-٢٨)

وكتب "عبد الرحيم أشرف آزاد" عن الثورة الروحانية التي حدثت في الجماعة الأحمدية فقال: "هناك ألوف ممن هجروا عائلاتهم من أجل هذا المذهب الجديد، فتحمّلوا الخسائر المادية وضحّوا بأموالهم وأنفسهم...... إننا لنعترف بصدر رحب أنّ عددًا كبيرا من القاديانيين هم مِن الذين يؤمنون بإخلاص أنّ دعوتهم صادقة، ويضحُّون في سبيلها بأموالهم وأنفسهم، ومواردهم وعلاقاتهم الدنيوية، وهم الذين قد قبل بعضهم برحابة صدر عقوبة الإعدام في كابول، ورضي العديدُ منهم بحياة الفقر في البلاد النائية." (المنبر الأسبوعية، لائلبور، ٢ آذار، ١٩٥٢، ص ١٠)

ومع ذلك كلّه، فإنَّ من سوء حظّ هؤلاء القوم أنّهم لم يَقبلوا المسيحَ الموعود عليه السلام، ونحمد الله تعالى أنّ اعترافنا هذا قد زادنا إيمانا على إيمان.

أدعو الله تعالى أن يزيد إيماننا ويقيننا باستمرار لِنَفِي بكلّ شرط في عهد البيعة بسعادة بالغة باعتباره فرضا واجبا علينا ولنرث رضى الله تعالى. آمين.

(خطبة الجمعة ١٧-١٠-٢٠٠٣ في مسجد الفضل بلندن)